kurt

vonnegut

المسلخ رقم 05





ترجمة:

يونس بن عمارة



المسلـــخ رقـــم ٥

Slaughterhouse-Five

رواية

كورت فونيغوت

Kurt Vonnegut

ترجمة:

يونس بن عمارة

٢٠١٦



- المسلخ رقم ٥
- كورت فونيغوت
- دار كلمات للنشر والتوزيع
- الطبعة الأولى ٢٠١٦

دولة الكويت / محافظة العاصمة

تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤

تويتر : @Dar_kalemat

إنستجرام : Dar_kalemat

Dar_Kalemat@hotmail.com

* This translation published by arrangement with Delacorte Press an imprint of Random House, a division Penguin Random House LLC

رقم الإيداع : (2015/607)

ردمك : ISBN: 978-99966-92-03-1

مقدمة الترجمة العربية
لرواية «المسلخ رقم خمسة»

بقلم: بندر الحربي

- «أتعتقد أنَّ العرب مُغفَّلون؟ إذا حاوِل القيام بالقسمة المطولة باستخدام الأرقام الرومانية!»

كانت هذه عبارة كورت فونيغوت الشهيرة في كتابه (رجل بلا وطن) في ختام إجابته على سؤال: لماذا يعتقد أنَّ جورج بوش الذي دخل مستنقع الحرب حانقًا على العرب؟ حيث بدأ حديثه بالقول: «لقد قدَّموا لنا علم الجبر، وأيضًا الأرقام التي نستخدمها، بما في ذلك الصفر، الذي لم يَعرف له الأوروبيون مثيلًا من قبل».

بهذا المزيج من الفكاهة، والكوميديا السوداء، والخيال، عُرفت أعمالُ الكاتب الأمريكيِّ كورت فونيغوت، وكان موضوع الحرب وبشاعتها من أبرز ما ميَّز أدبه؛ ففي هذه الرواية الساخرة والأكثر شهرة من بين جميع أعماله (المسلخ رقم خمسة) (١٩٦٩) سرد تجربته المريرة مع أهوال الحرب العالمية الثانية، هذا السرد الذي أهّل الرواية لتوصف بأنها من أفضل الرواياتِ الإنجليزية في القرن العشرين، وتوضع في قائمة أفضل ١٠٠ رواية كُتبت باللغة الإنجليزية منذ عام ١٩٢٣.

كانت بداياتُ رحلة فونيغوت الأدبية مع كتابة القصص القصيرة للمجلاتِ في سنٍّ مبكرة ، ونُشِرت أولُ رواية له عام (١٩٥١) وكانت بعنوان (عازف البيانو) ، ومنذ ذلك الحين استمر في كتابة العديد من الأعمال الشيقة من المجموعات القصصية والمقالات ، بالإضافة إلى سبع مسرحيات ، والعشرات من القصص القصيرة ؛ وأربع عشرة رواية ، ومجموعة شعرية واحدة بعنوان (أناشيد لعيد الميلاد) في عام (١٩٦٩) . ومن بين أعماله : (صفارات إنذار تيتان) (١٩٥٩) ، (ليلة الأم) (١٩٦١) ، (مهد القط) (١٩٦٣) ، (مرحبًا في بيت القرود) (١٩٦٨) ، (فطور للأبطال) (١٩٧٣) ، (أليف السجون) (١٩٧٩) ، (غالاباغوس) (١٩٨٥) ، وآخر أعماله (رجل بلا وطن) الذي صدر في عام (٢٠٠٥) قبل وفاته في (٢٠٠٧) .

في عام ١٩٤٥ كان فونيغوت ابن الثالثة والعشرين جنديًا في فرقة المشاة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية عندما وقع في الأسر ، واقتادها الألمان إلى مدينة درسدن -أجمل المدن الأوروبية- ، وهناك سِيقَ إلى المعتقل وهو قبو عميق في المدينة ، حيث كان هذا القبو المنيع سببًا في نجاته - مع عدد قليل من الأشخاص - من أهوال قصف طائرات الحلفاء ، والتي قضى بسببها أكثر من مئة ألف إنسان في هذه المدينة . وبعد ٢٤ عامًا من هذه الأحداث ، وُلدت رواية (المسلخ رقم خمسة) أو «حروب الأطفال الصليبية : مهمة الرقص مع الموت» كشهادة

شخصية لفونيغوت ، واتخذت من مدينة درسدن المنكوبة مسرحًا للأحداث .

فونيغوت الذي عُرف بمناهضته الشديدة للحروب فيما بعد ، كان شاهدًا على «أكبر مجزرة في تاريخ الحروب» ، والتي كانت في رأيه أشد فظاعةً وتدميرًا حتى من القنابل الذرية التي أُلقيت على هيروشيما وناجازاكي ، فمنذ صدور هذه الرواية لاقت انتشارًا كبيرًا ، تعبيرًا من الناس عن رعبهم من فكرة الحرب ، وهي تمثل محاولة صادقة ومؤلمة في مواجهة جرائم الحروب الوحشية في القرن العشرين ، وتؤكد أنَّنا قد لا نستطيع تجنب الحرب أحيانًا ، ولكن بإمكاننا التقليل من فظاعتها ، ومثَّل لذلك بالقصف البشع لدرسدن ، والذي يصفه قائلًا : «لا يوجد أيُّ شيء ذكي ليقال عن المجزرة!» .

ظهر أسلوبه المميز كروائيٍّ عندما بدأ الحديث عن «موت الرواية» ، فبينما كان النقاد يرون أنَّ الحياة الحديثة ، بما فيها من الاغتيالات السياسية ، وأخطار الحروب النووية ، جعلت من المستحيل على الروائي تقديم أيٍّ تقييم منطقي للواقع ؛ جاء أسلوب فونيغوت المبتكر ليدحض هذا الرأي ؛ فقد كتب في إحدى المقالات التي نُشرت بعد سنوات من صدور الرواية : «لقد كتب فونيغوت في المسلخ رقم خمسة عن درسدن بطبيعة الحال ، ولكن لا يحتاج المرء سوى أنْ يستبدل اسم «ألمانيا» بـ«العراق» في هذه الرواية ؛ لتبين له ذلك الأسلوب التنبؤي

الفريد الذي كان يكتب به فونيغوت في ثقافتنا الأدبية» .

ارتبط اسم فونيغوت بأسلوب الخيال العلمي شديد الغرابة ، وقدم من خلاله الأبعاد المتداخلة بين الخيال والواقع الحقيقي ؛ فالخيال العلمي يساعد على تقديم وجهة النظر إلى العالم دون أنْ يفرضها عليه ، وهو يعرف كل حيل لعبة الكتابة ، فاخترع هنا نوعًا روائيًا جديدًا ، على عكس الروايات التقليدية ، جمع بين الخيال والواقعية ، وبين عناصر التاريخ والاجتماع والنفس والسيرة الذاتية ، مع إضافات من المذكرات الشخصية ، صاغها في أسلوب فكاهيٍّ ، وإنْ كان يتسم بالرعب ، ففي هذه الرواية جاءت الأحداث متداخلة ، توظف مفهوم الموت ، وينتقل السرد إلى موضوع آخر ، بكثير من العنف العبثي ، حيث يقفز إلى المستقبل والماضي في الوقت المناسب ، متحررًا من قيود التسلسل الزمني وكأنه محاولة أخيرة رائعة لفهم هذا العالم الفوضوي .

لقد أثار أسلوب فونيغوت إعجاب الكثيرين لسهولته وطبيعية سرده للرواية ، ووصفوه بأنه كمن يجلس ساكنًا وأفكاره تجوّل بعيدًا ، بمعنى آخر ، إنه بدلًا من كتابة رواية واقعية عن الحرب ، فقد اخترع نوعًا مختلفًا تمامًا من الروايات تتداخل فيه أحداث الخيال العلمي الفريدة في قصة حزينة ، فهو لا يخبرنا عن عبثية الحرب فقط ، بل أيضًا يعلمنا قيمًا أخلاقية ؛ ومنها التركيز على اللحظات الإيجابية في الحياة ، حتى إنَّ

بعض القراء تساءلوا بعد قراءة الرواية : كيف لهذا الشاب الذين عاش قصف مدينة درسدن المرعب أنْ يكبر ليكون الرجل الذي كتب هذا الكتاب؟!

تعرضت هذه الرواية منذ صدورها للعديد من محاولات فرض الرقابة في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتم حظرها من المدارس ، وإزالتها من المكتبات بدعوى احتوائها ألفاظًا ومشاهد وصفية غير مناسبة . وعلى الرغم من هذه المحاولات ، فقد أخرجت الرواية سينمائيًا في عام ١٩٧٢ ، وحصل الفيلم على جائزة لجنة التحكيم في مهرجان (كان) السينمائي ، كما عُرضت مسرحيًا في المملكة المتحدة والولايات المتحدة ، كما أُذيعت كدراما إذاعية .

إنَّ رفد المكتبة العربية بهذه التحفة الأدبية من كلاسيكيات الأدب الأمريكي ، إنجاز رفيع ، يستحق بالغ الإشادة وعظيم الثناء للمترجم يونس بن عمارة ؛ فهناك الكثير والكثير الذي يقوله هذا المؤلف المناهض للحرب والعنف ، والمحلل للثقافة والمجتمع والسياسية الأمريكية ؛ ما ينعكس على الواقع العربي الراهن ، ويكشف بلغته الرائعة ، وأسلوبه الفكاهي الفريد ، بشكل جريء وصريح ، عن لطائف الحياة ، وشدائد الحرب ، لأن الفكاهة كما يقول وسيلة لمدافعة فكرة كم هي الحياة صعبة! .

بندر الحربي

كاتب ومترجم من السعودية

المسلخ رقم ٥

أو حروب الأطفال الصليبية
مُهمة الرقص مع الموت

إلى ماري اوهير
وجيرارد ميللر

نسمعُ خوار الماشية
الطفل يستيقظ .
لكن السيد المسيح الصغير
لا يبكي بعد الآن .

الفصل الأول

كل ما أرويه هنا حدث فعلا بشكل أو بآخر، أو على الأقل الأجزاء التي تحكي عن الحرب كانت حقيقية جدا. عرفتُ رجلا أطلقوا عليه النار في مدينة درسدن عندما أخذ ابريق شاي لا يخصه، ورجلٌ آخر هدّد بجدية أن يقتل أعدائه الشخصيين بعد الحرب باستئجار قتلة مسلحين وما إلى ذلك، لكنني غيّرتُ كل الأسماء..

عدتُ الآن إلى درسدن مع نقود كسبتها من منحة غوغنهايم العام ١٩٦٧ (ويا لحظيّ بها!). تشبه درسدن كثيرا مدينة دايتون أو أوهايو لكن مع مساحات مفتوحة أكبر من تلك الموجودة في دايتون. ويبدو أن هناك أطنانا من العظام البشرية تستقر تحت تربة هذه المدينة.

عدتُ هناك برفقة صديق حرب قديم اسمه برنارد فِ .اوهير، وكوّنا صداقة مع سائق تاكسي أخذنا إلى المسلخ أين أُحتجزنا هناك في الليل كسجناء حرب. وكان اسمه جيرارد ميللر.

أخبرنا جيرارد أنه كان سجينا لدى الأمريكيين لفترة، وسألناه كيف كان العيش تحت ظل الاشتراكية؟ فأجاب أنه

كان مريعا أول الأمر ، لأنه كان يجب على كل شخص أن يعمل بشكل كادح ، وكان العمل صعبا لأنه لم يكن هناك ملجأ أو مسكن كاف ولا غذاء كاف ولا ملابس كافية .

لكن الحال الآن أفضل بكثير . فهو يملك الآن شقة مريحة وابنته تتلقى تعليما ممتازا . وكانت أمه قد أُحرقت في درسدن على يد قوات العاصفة .

وقد أرسل بطاقة معايدة في عيد الميلاد لاوهير كتب فيها :

«أتمنى لك ولعائلتك وأصدقائك عيدا مجيدا ، وسنة جديدة سعيدة وأتمنى أن نلتقي مجددا في عالم يعمه السلام والحرية ، في سيارة أجرة لو شاءت المصادفة»

أعجبتني هذه العبارة جدا «لو شاءت المصادفة»

أكره أن أخبركم كم كلفني هذا الكتاب الرديء من المال والقلق والوقت ، وعندما عدت للمنزل بعد الحرب العالمية الثانية ، قبل ثلاث وعشرين سنة ، كنت أعتقد أنه من السهل علي أن أكتب حول دمار درسدن .

كل ما أردته هو أن أكتب بشكل تقريري عما رأيته . واعتقدتُ أنها ستكون تحفة أدبية أو على الأقل ستجني لي الكثير من المال بما أن الموضوع كان مهما .

لكنني لم أجد الكثير من الكلمات في ذهني لوصف ما حدث في درسدن . أو أنه لم يكن هناك منها ما يكفي كي تُكوّن كتابا ، وعلى كل حال وحتى الآن لم تأتني هذه

الكلمات كي أكتب ، ليس بعد أن أصبحت عجوزا متداعيا ، مثقلا بذكرياته ، مع سجائره من نوع بول مول ، وقد كبر كل أولاده . فكرت في كم كان جزء درسدن في ذاكرتي عديم الفائدة وكيف أنها لا تزال تغريني بالكتابة عنها متذكرا أبيات الشعر الطريفة المشهورة :

«كان هناك فتى من اسطنبول
كان يناجي عضوه قائلاً :
لقد أخذتَ كل ثروتي
وأفسدتَ كامل صحتي
والآن لا تستطيع حتى التبول
أيها العجوز الأحمق!»

وأتذكر أيضا الأغنية التي تقول :

اسمي هو يون يونصون
أعمل في ويسكنصون
أعمل في مصنع للخشب هناك .
والناس الذين أصادفهم عندما أمشي على الرصيف
يقولون لي ما اسمك؟ وأنا أقول
اسمي يون يونصون
أعمل في ويسكنصون . .»
وهكذا بلا نهاية . .

وكان الناس الذين يلتقون بي خلال السنوات الماضية

يسألونني غالبا ما الذي أعمل عليه الآن؟ وعادةً ما تكون إجابتي هي أن الشيء الرئيسي الذي أعمل عليه الآن هو كتاب حول درسدن .

ولقد أخبرت منتج الأفلام هاريسون ستار مرة عن الكتاب ، فرفع حواجبه متعجبا وسأل : هل هو كتاب مناهض للحرب؟

- نعم . أعتقد هذا .

- أنت تعلم ماذا أقول للناس عندما أسمع أنهم يكتبون كتبا مناهضة للحرب؟ صح؟

- لا . ما الذي تقوله لهم يا هاريسون ستار؟

- أنا أقول لهم : لماذا لا تكتبون كتابا مناهضا للأنهار الجليدية أيضا؟

كان ما يقصده -بالطبع- هو أن الحروب كانت تحدث دائما ، كما أن الأنهار الجليدية لا تجري مياهها ، وأنا أعتقد هذا أيضا .

وحتى لو توقفت الحروب كما يتوقف الماء في تلك الأنهار الجليدية . فسيبقى هناك الموت لأسباب طبيعية .

عندما كنت أصغر سنا- نوعا ما- من الآن . . وكنت أعمل على كتابي الشهير حول درسدن . سألت صديقي الذي كان جندي حرب عجوز اسمه برنارد ف .اوهير إذا ما كان يمكن أن آتي لرؤيته .

وكـان يشـغل منصب المدعي العـام في ولاية بنسلفـانيـا آنذاك . وكنت كاتبا في مدينة كابي كود ، وقد كنا جنودا دون رتب في الحـرب ، كـشـافـةً مـشـاة ، لم نكـن نتـوقع أن نجني أي مال ، لكننا أبلينا حسنا على أية حال .

اتصلتُ بشركة الهاتف «بِل» وطلبت منهم أن يصلوني به . وكانوا يجيدون عملهم فعلا في هذا الأمر . . كنت أعاني من بلوى البـقـاء حـتى وقت مـتـأخـر رفقـة الـكحـول والهـاتف . ثم أثمل . . واجعـل زوجـتي تهـرب مني بتنهـيـدة تشـبـه رائحـتـهـا رائحة غاز الخردل ورائحة الزهور .

كنت أتحدث إليهم على الـهاتف بصوت عـميق أنيق طالبا من مـتـعـامل الشـركـة أن يصلني بهـذا الصـديق أو ذاك ممن لم أسمع منه أو عنه منذ سنوات .

واتصلت باوهير بهذه الطريقة .

كـان قصـيـرا وكنت طويلا ، مـثل الـشـخـصـيـات الكرتونيـة المضحكة التي تُدعى «مات وجيف» ، كنا «مات وجيف» في الحرب ، وتم أسرنا معا هناك ، أخبرته على الهاتف بمن أكون ، ولـم يواجـه أي صعوبة في تصديق الأمر ، وقد كـان مـسـتيـقظا حينها يطالع كتابا ، بينما كان الجميع نياما .

« اسمـع « قلت له «أنا بصـدد كـتابة كـتاب حول درسـدن . أتمنى أن تساعـدني في تـذكـر بعض الأحداث ، أتسـاءل مـا إذا كـان بالإمكان أن آتي لرؤيتك؟ يمكن أن نلتـقي ونتـحـدث

ونشرب شيئا ونسترجع ذكرياتنا معا؟»

جاء رده مُحبِطا ، فقد أخبرني أنه لا يتذكر الكثير ولكن رغم ذلك يمكننا أن نلتقي ونتحدث .

- أعتقد أن حبكة الكتاب ستكون قصة إعدام المسكين ادجار ديربي . السخرية فيها عميقة ، مدينة كاملة أُحرقت وألوف مؤلفة من الناس قُتلت ، ثم إن هذا الجندي الأمريكي الوحيد أُعتقل بين أطلال هذه المدينة بتهمة أخذه ابريق شاي وتمت محاكمته ، فإعدامه رميا بالرصاص .

أجاب اوهير بـ 'امم'

- أين تعتقد أن نضع هذه الحبكة ضمن الحكاية؟

- لا أعلم شيئا عن هذه الأمور ، إنه عملك أنت وليس عملي .

وكمحرر يهتم بالحبكة والتشويق والوصف والإثارة والحوارات الرائعة ، كنتُ قد كتبت العديد من المرات الخطوط العامة لقصة درسدن . وكان أفضلها مكتوبا على الجزء الخلفي من لفافة ورق الجدران .

استعملت أقلام رصاص ابنتي ، واستعملت لونا مختلفا لكل شخصية رئيسية ، كان إحدى طرفي ورق الجدران يحوي بداية القصة ، ونهايته كانت تحتوي على نهاية القصة وجزئه الأوسط يحوي مضمونها ، وكان الخط الأزرق قد تقاطع مع الخط الأحمر ثم بالخط الأصفر ثم انتهى الخط الأصفر لأن

الشخصية التي يمثلها ماتت ، وهكذا . .

كان دمار درسدن مُمثلا بشريط عمودي برتقالي ، ومرّت كل الخطوط التي لا تزال شخصياتها حية في القصة عبر هذا الشريط . وخرجت من الجانب الآخر . . .

وفي النهاية ، تتوقف كل الخطوط . وقد كانت النهاية عند حقل شمندر على سفوح جبال الألب ، خارج مدينة هاله الألمانية . كان المطر يهطل ، وقد انتهت الحرب منذ بضع أسابيع في أوروبا .

كنا نشكل تحت حراسة الجنود الروس صفوفا من الانجليز والأمريكيين والألمان والبلجيكيين والفرنسيين والكنديين وجنود جنوب افريقيا ونيوزيلندا والاستراليين ، وكان الألوف منا على وشك أن يتحرروا .

وعلى الجانب الآخر من الميدان كان هناك ألوف من الروس والبولنديين واليوغوسلافيين تحت حراسة الجنود الأمريكيين .

وهناك تمت المبادلة واحدا بواحد تحت المطر . . .

صعدنا أنا واوهير في شاحنة أمريكية مع العديد من الجنود الآخرين . ولم يحمل اوهير معه أي تذكارات . لكن أغلب الجنود كانوا يحملون معهم التذكارات . أما أنا فكنت أحمل سيفا شرفيا من قوات الجو الألمانية -اللوفتفافه- ولا أزال أملكه حتى الآن .

في حين كان المعتوه الأمريكي الصغير الذي سأسميه في

هذا الكتاب بول لازارو يحمل معه حفنة من الألماس والزمرد والياقوت وما شابه ، وقد أخذ هذه الأشياء من الناس الذين ماتوا في أقبية درسدن . وما إلى ذلك من هذه الأمور .

وكان هناك جندي إنجليزي ، غبي آخر ، فَقَد أسنانه كلها في مكان ما ، يحمل تذكاره في حقيبة قماشية كان يضعها فوق أصابع قدمي . وكان يلقي نظرة خاطفة عليها بين الحين والآخر ، ثم يلتفت بعنقه الهزيل إلى الناس باحثا عمن يمكن أن يطمع في الاستيلاء عليها ، ثم يعيدها إلى مكانها على قدمي . وكنت أعتقد أن هذا قد حدث عفوا . لكنني كنت مخطئا ، إذ تبين أنه كان يرغب في أن يكشف لأحد ما عما تحتويه الحقيبة ، واعتقد الرجل أن بإمكانه الوثوق بي . فلفت انتباهي ثم غمز لي ، وفتح الحقيبة التي كانت تحتوي تمثالا لبرج ايفل من الجص ، ذهبي اللون ، وساعة ، وقال لي : «هناك شيء ما قد تحطم فيها» .

نُقلنا جوا إلى معسكر في فرنسا للراحة وهناك أطعمونا شوكولاتة ممزوجة بالحليب المخفوق وبعض الأطعمة الدسمة الأخرى حتى استعدنا قوانا وامتلأنا وازداد وزننا . ثم عدنا إلى الوطن ، وهناك تزوجت أنا فتاة جميلة وممتلئة أيضا ، وأنجبنا أطفالا .

وقد كبر جميعهم ، وصرت الآن عجوزا هرما مثقلا بالذكريات مع علبة سجائر من نوع بول مول . واسمي هو يون

يونصـون وأعـمل في ويسكنصـون . أعـمل في مـصنع خـشب هناك .

أحيانا أحاول أن أتصل في وقت متأخر من الليل عبر الهاتف بإحدى من صادقتهم من النساء بعد أن تذهب زوجتي للنوم .

«سيـدي ، أتساءل إن كان بإمكانك إيصالي بهاتف السيـدة فلانة أو علانة . أعتقد أنها تعيش في مدينة كذا وكذا»

ويخـبرني «أنا آسف سيـدي ، لا يوجد لدينا قائمـة هاتفيـة عن ذلك المكان .»

«أشكرك جدا سيدي»

وسواء تركتُ الكلب خارجا أو أدخلته ، فإنني أتحدث إليه قليـلا ، وأجـعله يعـرف أنني أحـبه ، وهو كـذلك يُشـعـرني بأنه يحبني ، كما أنه لا ينزعج من رائحة الزهور وغاز الخردل!

«لقد كنت محقا يا ساندي» أخاطبُ الكلب .

«أنت تعرف هذا يا ساندي؟ صح؟ لقد كنتَ محقا .»

وأحـيـانا أدير الراديو واستـمع لبرنامج إذاعي من بوسطن أو نيويورك .

لا أطيق الاسـتـمـاع إلى الموسـيـقى المسـجلة إذا مـا شـربت كثيرا .

ثم عـاجـلا أو آجـلا أذهـب للسـرير . فـتسـألـني زوجـتي كم السـاعة الآن؟ وهي تسأل دوما عن الوقت ، وأحيانا أنا لا أدري ، فأجيبها «فتشيني» .

وأفكر أحيانا أخرى في أيام دراستي . لقد ارتدتُ جامعة شيكاغو لفترة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، وكنت طالبا في كلية الانثروبولوجيا . في ذلك الوقت ، كانوا يدرسوننا بأنه لا يوجد فرق بين أي إنسان وإنسان . وربما مازالوا يدرسون ذلك حتى الآن!

والأمر الآخر الذي كانوا يُدرّسونه لنا هو أنه لا يوجد شخص سخيف أو سيء أو رديء ، وقبل مدة قصيرة من موت والدي قال لي : «أتعلم أنك لم تكتب قصة فيها شرير من قبل؟»

فقلت له أن هذا من بين الأمور التي تعلمتها في الكلية بعد الحرب .

وفي الوقت الذي كنت أدرس فيه لكي أصبح عالم انثروبولوجيا ، كنت أعمل أيضا كمراسل صحفي لدى مكتب الوكالة الإخبارية الشهيرة في شيكاغو مقابل ثمانية وعشرين دولارا للأسبوع .

وفي إحدى المرات نقلوني من النوبة الليلية إلى النوبة الصباحية فعملت يومها لمدة ستة عشر ساعة متواصلة ، وقد كنا مدعومين من قِبل كل الجرائد في المدينة ومن قبل أسوشيتد برس وما شابه من الوكالات وكنا نغطي أخبار المحاكم ومراكز الشرطة والمراكز الاطفائية وحرس الشواطئ في بحيرة ميتشغان وما إلى ذلك . . كما كنا متصلين بالعديد من المؤسسات التي ساعدتنا

من خلال أنابيب التهوية تحت شوارع شيكاغو .

وكان المراسلون يهاتفون الصحفيين الكُتّاب الذين كانوا يرتدون سماعات ، ويكتبون الأخبار على ورق كربوني وكانت الأخبار تنسخ بهذه الطريقة ، ثم تُحشى في خراطيش اسطوانية نحاسية مبطنة بالمخمل وتلقى عبر أنابيب التهوية تلك .

كان الصحفيون والمراسلون الأكفاء من النساء اللواتي تولّين هذا العمل حين ذهب الرجال إلى الحرب .

وفي أول خبر غطيت أحداثه ، هاتفتُ إحدى هؤلاء الفتيات البغيضات وأُمليت عليها الخبر ، وكان الخبر حول شاب من الجنود السابقين اضطر للعمل كبواب يشغّل مصعدا قديم الطراز في إحدى المباني المخصصة للمكاتب .

وكان باب المصعد في الطابق الأول مزينا بدانتيلة حديدية . وكان هناك شجيرة لبلاب حديدية أيضا تخرج وتدخل في الثقوب ، وغُصين حديدي تجثم فوقه عصافير حديدية .

قرر هذا الشاب أخذ سيارته إلى الطابق السفلي من البناية وأغلق الباب ونزل بها ، لكن خاتم زواجه كان قد علق بتلك الزخارف . لهذا ارتفع الشاب في الهواء وصدمه سقف السيارة ساحقا اياه فيما تابعت السيارة سقوطها إلى الأسفل . . .

وهذا ما هاتفت به الصحفية التي كانت ستكتب هذا الخبر لكنها سألتني :

- وماذا قالت زوجته؟
- هي لا تعلم بعد . لقد حدث هذا للتو .
- اتصل بها حالاً واحصل على تصريحها حول الحادث .
- ماذا؟
- قل لها أنك الكابتن فِين من مركز الشرطة . وأن لديك أخبارا سيئة وأخبرها ، ثم استمع ما الذي ستقوله .

وهذا ما فعلته . وقالت المرأة كل ما يمكنك أن تتوقع أن تقوله في هكذا حالة . . كان هناك طفل . . وما إلى ذلك . .

ولما عدت لمكتب العمل سألتني الصحفية من باب الفضول كيف كان يبدو شكل الرجل الذي سُحق هناك ، فأخبرتها كيف يبدو ، فقالت لي هل أزعجك هذا؟ كانت تأكل حلوى كاندي على شكل الفرسان الثلاثة ، «أبدا ، لم يزعجني ، لقد رأيت ما هو أسوأ في الحرب .»

حتى في ذلك الوقت كان من المفترض أنني أكتب كتابا حول درسدن ، ولم تكن هذه الحملة الجوية معروفة في أمريكا آنذاك ، ولم يكن الكثير من الأمريكيين يعرفون أنها كانت أفظع من هيروشيما . ولم أكن أنا أيضا أعرف ذلك كما أنها لم تحظى بتغطية إعلامية .

وحدث مرة أن أخبرت بروفيسورا في جامعة شيكاغو خلال حفلة كوكتيل حول الحملة كما رأيتها وحول الكتاب الذي أنوي كتابته ، وكان ذلك البروفيسور عضوا في هيئة ما

تسمى «لجنة الفكر الاجتماعي» .

فحكى لي عن معسكرات الاعتقال وعن الألمان الذين صنعوا من اليهود البدينين الميتين الصابون والشموع وما إلى ذلك . . وكل ما أمكنني قوله في غضون كل ذلك «أعرف . أعرف . أعرف» .

ومن المؤكد أن الحرب العالمية الثانية جعلت الناس أكثر قسوة وأكثر جدية . على سبيل المثال عملتُ أنا في العلاقات العامة لشركة جينرال الكتريك في شينكتادي نيويورك . وكنت متطوعا أيضا في الإطفائية في قرية ألباوس أين ابتعت أول منزل لي . وكان مديري في العمل من أقسى الرجال الذين عرفتهم . فقد كان كولونيلا يعمل أيضا في إدارة العلاقات العامة في بالتيمور . ولما كنت في شينكتادي انضم هو إلى الكنسية الهولندية البروتستانتية والتي كانت بالطبع من الكنائس المتشددة . وكان معتادا على سؤالي بازدراء لماذا لم أصبح ضابطا ، كما لو أنني كنت أرتكب جريمة بعدم فعلي لذلك .

في ذلك الوقت فقدت أنا وزوجتي بعض الوزن ، فقد كانت تلك السنوات من أصعب السنوات التي مررنا بها . وكانت أياما صعبة على جميع أصدقائنا من المحاربين القدامى وزوجاتهم فقد أصيبوا كلهم بالهزال جراء ذلك .

لكنني الآن أعتقد أن خيرة المحاربين القدامى وألطفهم

وأحسنهم والذين كانوا يكرهون الحرب أشد الكره ، كانوا هم أنفسهم أكثر الناس الذين قاتلوا فيها بضراوة .

وهكذا كاتبتُ القوات الجوية ، أسألها عن بعض التفاصيل حول حملة درسدن ، من أمر بها؟ وكم طائرة شاركت فيها ؟ ولماذا قاموا بها؟ وما هي النتائج المتوقعة منها؟ وما إلى ذلك .

فأجابني رجل كان مثلي يعمل في العلاقات العامة ، وأخبرني أنه آسف فقد كانت هذه المعلومات مصنفة على أنها سرية جدا . وكنت أقرأ الرسالة بصوت عال لزوجتي . . وأقول . . «سرية جدا؟ يا الهي! سرية عن من؟»

لقد كنا نحن هناك ، في الماضي ، قوات الحلفاء المتحدة . لكننا الآن لا أدري ما نكونه .

أعتقد أننا أصبحنا مهووسين جدا بالهواتف ، أو على الأقل هذا ما أفعله أنا في وقتٍ متأخر كل ليلة .

وبعد عدة أسابيع من اتصالي بصديق الحرب العجوز . برنارد ف . اوهير . ذهبت فعلا لرؤيته . ربما كان ذلك سنة ١٩٦٤ أو أظن أنه كان العام الذي يلي العام الذي أقيم فيه معرض نيويورك الدولي .

«وا حسرتاه ، ثم انقضت تلك السُنون . .»[١]

(١) وردت العبارة في الأصل باللاتينية وترجمناها بذوق شعري مقتبس من بيت لأبي تمام (المترجم)

اسمي هو يون يونصون .

وكان هناك فتى من اسطنبول . .

أخذتُ معي فتاتين صغيرتين ، ابنتي ناني وصديقتها المفضلة اليسون ميتشل ، إذ لم يسبق لهما أن خرجتا من قبل من كابي كود . ولما رأينا نهرا ، كان علينا أن نتوقف كي تقفا بالقرب منه تتأملانه .

لم تكونا قد رأتا نهرا من قبل ، وكان النهر عذبا . كان نهر الهدسن وكان فيه سمك الشبوط ، رأيناه جميعا يسبح هناك ، وقد كان كبيرا بحجم الغواصات الذرية .

رأينا الشلالات أيضا ، والجداول الصغيرة تنساب من على المنحدرات الصخرية نحو وادي ديلاوير ، وكان هناك العديد من الأشياء التي توقفنا لرؤيتها وأخيرا حان الوقت لكي نغادر . .

لطالما وُجد هناك وقتُ «كي نغادر»! .

كانت الفتاتان ترتديان فستاني حفلات أبيضا اللون مع حذائي حفلات أسودان كي تظهرا للناس كم هما جميلتان .

«حان الوقت . يا بنات» . قلت لهما .

وهكذا مضينا . وغربت الشمس وتعشينا في مطعم ايطالي . ثم توجهت إلى المنزل الحجري الجميل لبرنارد ف . اوهير حاملا زجاجة ويسكي ايرلندية وطرقت الباب .

التقيت بزوجته اللطيفة ماري ، وأهديتها هي وزوجها هذا الكتاب مع إهدائي أيضاً لسائق التاكسي جيرارد ميللر .

كانت ماري اوهير ممرضة متمرسة . وهو الأمر الجميل الذي يمكن أن تكونه المرأة .

أُعجبت ماري بالفتاتين اللتان أحضرتهما معي ، وعرفتهما بأولادها وأرسلتهما إلى الطابق العلوي ليلعبوا ويشاهدوا التلفاز . وبمجرد أن ذهب الأطفال ، أحسست بأن ماري لا تستلطفني ، أو أنها تتوجس من هذه الليلة تحديدا . كانت لطيفة معي لكنها عاملتني بفتور .

- «أنت تملك منزلا جميلا ومريحا» قلت له . وفعلا كان منزله كذلك .

- «لقد جهزت لكما مكانا حيث يمكن أن تتكلما فيه براحتكما دون إزعاج» قالت ماري .

- «جميل» قلتُ ، وتخيلت كراسي مريحة أمام موقد ناري في غرفة مزينة الجدران ، حيث يجلس جنديان عجوزان يشربان ويتحدثان ، لكنها أخذتنا إلى المطبخ!

وضعت لنا كرسيين عاديين أمام طاولة المطبخ التي كان سطحها الخزفي يعكس لمعان ضوء مصباح من نوع ٢٠٠ وات .

كانت ماري قد هيأت غرفة عملية جدا ، ووضعت فقط كأسا واحدا وكان هذا الكأس مخصصا لي . وشرحت هذا الأمر بأن اوهير لا يستطيع أن يشرب النبيذ القوي منذ عودته من الحرب .

وهكذا جلسنا . كان صديقي اوهير محرجا ، لكنه لم يخبرني

لماذا ، ولم أكن أعتقد أن هذا بسبب ماري . فمهما يكن فقد كنتُ أب عائلة أيضا ، وتزوجت مرة واحدة ، ولم أكن سكيرا ، ولم أفعل أي شيء سيء لزوجها عندما كنا معا في الحرب .

جلبتْ لنفسها زجاجة كوكاكولا . . محدثة ضجة مفتعلة بخلط صوت مكعبات الثلج في كأسها ، ثم ذهبت للجانب الآخر من المنزل .

كانت تتحرك في جميع أنحاء المنزل ، تغلق وتفتح الأبواب وتحرك الأثاث بعصبية وغضب .

سألت اوهير ما إذا قلتُ أو فعلت شيئا جعلها تتصرف هكذا .

- لا شيء ، لا تزعج نفسك . ليس للأمرعلاقة بك .

كان هذا الرد منه كذبا ، فالأمر كله كان يتعلق بي .

وهكذا تجاوزنا موضوع ماري وبدأنا نتذكر الحرب .

فتحتُ علبتي جعة كنت قد جلبتهما معي . وخلال الحديث كنا نكتم أحيانا ضحكة أو نبتسم معا ، اعتقدنا أننا سنستعيد ذكرياتنا في الحرب لكن لا أحد منا تذكر شيئا مُهما حولها .

تذكر اوهير رجلا أدمن الخمر في درسدن ، قبل أن تُقصف ، وكنا قد اضطررنا لحمله إلى المنزل على عربة يدوية . .

لم يكن هناك الكثير لأكتب عنه كتابا كاملا . تذكرتُ جنديين روسيين كانا قد نهبا مصنع ساعات ، وجرّا معهما

عربة خيول مليئة بالساعات . كانا ثملين وسعيدين ، يدخنان سجائر طويلة لُفت بورق الجرائد .

هذا ما كان حول الذكريات . أما ماري فكانت لا تزال تصدر الضجة ، وفي الأخير عادت إلى المطبخ لتأخذ علبة كوكا أخرى . وأخذت أيضا مكعبات الثلج من الثلاجة ووضعتها في كأسها على الرغم من أنه كان بالفعل مملوءً إلى الحافة بمكعبات الثلج .

ثم استدارت تجاهي ورأيتُ كم كانت غاضبة ، وكان هذا الغضب منصبا عليّ بالطبع ، ثم شرعت تحدث نفسها وكان ما قالته جزءا من حديث طويل سمعتُ منه جزءا يقول «إذن لم تكونا سوى طفلين»

قلت : ماذا؟

- لقد كنتما مجرد طفلين في الحرب . كنتم أطفالا ، تماما مثل الأطفال الذين يلعبون في الأعلى .

أومأت برأسي موافقا ، كان هذا صحيحا . كنا شبابا يافعين في الحرب . شبابا كان قد خرج للتو من طفولته .

- لكنك لا تفكر بكتابة الكتاب بهذه الطريقة .

لم يكن هذا سؤالا بل كان اتهاما .

- أنا . . أنا لا أدري .

- حسنا أنا أدري . أعلم أنك ستكتبه متظاهرا أنكم كنتم رجالا بدل كونكم أطفالا . وستُعرض القصة على الشاشة

ويلعب الدور فـرانك سـيناترا أو جـون واين أو بعض هؤلاء الأشخاص اللامعين كبار السن ، هؤلاء القذرين الذين يعشقون الحروب . . وستبدو الحرب شيئا رائعا . . وهكذا سنخوض الكثير منها ، وسندخل هذه الحروب بأطفال آخرين بالضبط مثل الأطفال الموجودين في الطابق العلوي .

هنا فـهمت الموضوع . لقد كـانت الحرب هي ما يجعلها تغـضب هكذا . لم تكن تريد أن يقـتل أطفـالهـا ولا أطفـال الآخرين في الحرب .

كـانت تعـتـقـد بشـدة أن الكتب والأفـلام تشـجع على الحروب .

لهذا رفعت يدي اليمنى وقدمت لها وعدا قائلا :

- مـاري! أنا لا أظن أنني سـأنهي هذا الكتـاب أصـلا . لو كنت قد بدأت بكتابته في وقته لكنت قد كتبت خمسة آلاف صفحة حتى الآن . . ولألقيت بها جانبا . لكنني أعدك وعد شرف ، لو حـدث وأن أنهيت هذا الكتـاب يوما ما ، فلن يكون فيه أي مكان لفرانك سيناترا أو جون واين .

«أو دعيني أخبرك . . سأسمي الكتـاب : حروب الأطفال الصليبية .»

وهكذا أصبحنا أصدقاء .

وفي النهـاية ، أصـابنا اليـأس أنا واوهيـر في أن نتـذكـر ، وهكذا ذهبنا لغرفة المعيشة . تحدثنا عن أشياء أخرى ، وبدأ

ينتابنا الفضول عما يمكن أن تكون حروب الأطفال الصليبية هذه في الحقيقة ، لهذا بحث عنها اوهير في كتاب «الأوهام الشعبية الخارقة ، وجنون الجماهير» لتشارلز ماكاي ، والذي نشر لأول مرة في لندن العام ١٨٤١ .

لم يُبدِ ماكاي اهتماما كبيرا بالحروب الصليبية ككل ، بينما كانت حملة الأطفال الصليبية أقل تأثيرا بالنسبة له من الحملات الصليبية العشر التي قام بها البالغون .

قرأ اوهير هذا المقطع المميز بصوت عالٍ :

«يخبرنا التاريخ الرسمي للحملات الصليبية أنها كانت حملات همجية قام بها أناس متوحشون ، وأن دوافعها كانت التعصب الشديد لا غير . وكان طريقها هو طريق الدم والرغبة الحيوانية . وفي جانب آخر كان الفكر الرومانسي قد طغى على فكر التقوى والمجد .

وتُصَوَر هذه الحملات في أشد إشكالها بريقا وإشعاعا على أنها رمز للشهامة والفضيلة والشرف التليد العتيد ، والمجد الذي كسبه هؤلاء الجنود لأنفسهم بما قدموه من خدمات جليلة لصالح الديانة المسيحية»

ثم قرأ اوهير هذا : «والآن ما نتيجة كل هذه الكفاح؟»

«أنفقت أوروبا الملايين من القطع الذهبية ، وأُهرقت دماء قرابة المليونين من أبنائها . بينما استولى حفنة من الفرسان الصعاليك على فلسطين لمدة تزيد على الألف سنة!»

يخبرنا ماكاي «أن حملة الأطفال الصليبية بدأت عام ١٢١٣ أين خطرت الفكرة لراهبين بأن ينشؤوا جيشا من الأطفال في ألمانيا وفرنسا ، ويبيعوهم كعبيد في شمال افريقيا . فتطوع ثلاثون ألف طفل ، ظانين أنهم سيذهبون إلى فلسطين ، وبلا شك كان سوادهم الأعظم من الأطفال المهجورين والمتخلي عنهم والذين تغص بهم المدن الكبرى ، والذين تربوا على الرذيلة والوقاحة» يتابع ماكاي «والمستعدين لفعل أي شيء .»

حتى البابا اينوسنت الثالث كان يظن أيضا أنهم سيذهبون إلى فلسطين . وكان متحمسا جدا . حتى أنه قال «هؤلاء الأطفال استيقظوا بينما نحن لا نزال نائمين!»

صعد معظم هؤلاء الأطفال إلى السفن وانطلقوا من مدينة مرسيليا . فغرق نصفهم مع حطام السفن في عرض البحر ، أما النصف الآخر فتم بيعه في شمال أفريقيا ، وبسبب سوء فهم ، اقتيد بعض الأطفال للعمل في جنوة ، حيث لا توجد هناك سفينة عبيد تنتظرهم ، وهناك أطعمهم جيدا أناسٌ طيبون وآووهم وعاملوهم بلطف ، ثم قُدمت لهم مساعدة مالية متواضعة ونصائح مهمة جدا وأعيدوا إلى أوطانهم .

«مرحى للناس الطيبين من جنوة!» هتف اوهير .

نمتُ هذه الليلة في غرفة أحد الأطفال ، ووضع اوهير كتابا قرب الطاولة . كان عن درسدن : التاريخ والمسرح والمعرض ، من تأليف ماري إيندل . وكان قد نشر سنة ١٩٠٨ وتبدأ المؤلفة

مقدمتها بأملها أن يكون هذا الكتاب الصغير مفيدا .

كان الكتاب معدا ليعطي نظرة عامة عن درسدن للقارئ الانجليزي العام كما هي في الواقع ، من ناحية معمارية وكيف بنت سمعتها الموسيقية بواسطة بعض العباقرة ، ويلفت الكتاب الانتباه إلى بعض المعالم الفنية التي جعلت معرضها قِبلةً لهؤلاء الذين يبحثون عن تجربة فنية أصيلة .

قرأت بعض الأمور عن تاريخها حتى الآن . ففي عام ١٧٦٠ خضعت درسدن لحصار البروسيين . وفي ١٥ يوليو بدأ القصف المدفعي . احترق معرض الصور ، ونقلت العديد من اللوحات الفنية إلى تل كونيغشتاين لكن بعض اللوحات أصيبت بضرر نتيجة تطاير الشظايا بالأخص لوحة الرسام فرانشيسكا الشهيرة (معمودية المسيح) .

إضافة إلى أن برج كنيسة الصليب المقدس الفخم - والذي كان مُراقبا من قبل الأعداء ليلا نهارا- قد احترق . ثم استسلم لاحقا . وبالإضافة للمصير المؤسف لبرج كنيسة الصليب ، أمطر البروسيون قبة كنيسة «السيدة العذراء» بالقذائف .

وفي الأخير اضطر فريدريك إلى فك الحصار ، لأنه تعلم الدرس من سقوط غلاتز . وغلاتز هذه كانت هي النقطة الحرجة من بين كل غزواته الجديدة . «يجب أن نعود إلى ساليزيا . . وهكذا لا نخسر كل شيء» .

كان الدمار الذي حصل لدرسدن بلا حدود ، وعندما كان

غـوته طالبـا شـابا وزار المدينة ، كـان لا يزال بإمكانه أن يرى الأطلال المحزنة للمدينة وقد كتب قائلا :

«من قبة كنيسة السيدة ، رأيتُ هذه الأطلال التي يرثى لها متناثرة هنا وهناك بين النظام المعماري البديع للمدينة ، بيّن لي الموظف في هذا المكان فن العمـارة رغم إصابة القـبة والكنيسة بأضـرار القنابل الظاهرة على محـياها ، ومن ثَم بيّن لي أيضـا كاهن الكنيسة الطيب الأضـرار التي وقعت في كل الجوانب الأخرى وقال بإيجاز غامض : «هذا ما فعله الأعداء»!» .

أخـذتُ الفـتـاتين وعـبرت نهر ديلاوير حيث عبـر جورج واشنطون من قبل . وفي الصبـاح التـالي ذهبنا إلى مـعـرض نيويورك العالمي لنرى كيف كان الماضي حسب ما تعرضه شركة فورد للسيارات وشركة والت ديزني ، ولنرى المستقبل حسب ما تعرضه شركة جينيرال موتورز .

وسألت نفسي عن الوقت الحاضر : كم يتسع؟ كم عمقه؟ وكم يمكن أن أحتفظ منه لنفسي .

درستُ الكتابة الإبداعية في ورشة كتابة إبداعية شهيرة في جامعة أيوا ، وبعد بضع سنوات وقعت لي بعض المشاكل الجميلة والصعبة لكنني خرجتُ منها . كنت أدرس في المساء وأكتب في الصبـاح . ولم أكن أجد أي مـشكلة بخصوص الأفكار ، فقد كنت أعمل على كتابي الشهير حول درسدن..

وفي مكان ما هناك ، التقيت صدفة برجل طيب اسمه

سيمور لورنس منحني عقدا لثلاث كتب فقلت له «حسنا! الكتاب الأول من الثلاثة سيكون كتابي الشهير عن درسدن» .

كان أصدقاء سيمور لورنس ينادونه بـ 'سام' ، وهكذا قلت لسام «سام ها هو الكتاب» .

إنه كتاب قصير ومشوش وضبابي لأنه لا يوجد شيء ذكي لقوله حول مجزرة كان من المفترض أن يموت فيها الجميع . ولو حدث هذا فلن يستطيع أي أحد أن يحكي أي شيء أو يريد أي شيء أبدا . ومن المفترض بعد مجزرة ما أن يكون كل شيء هادئا وصامتا باستثناء الطيور طبعا . والآن لنرَ ما الذي يمكن أن تقوله الطيور؟ كل ما يمكنها أن تقوله حول المجزرة هي أشياء من قبيل «بوو تويت»!

أخبرت أبنائي أنه لا يجب عليهم- تحت أي ظرف - أن يشاركوا في أي مجزرة ، أو حتى أن يكونوا جزءا منها ، حتى لو كانت تلك المجزرة ضد الأعداء . ولن ينفعهم وقتها الشعور بالأمان أو بالفرح لمجرد أن المجزرة قد وقعت على أعدائهم وليس عليهم .

أخبرتهم أيضا ألا يعملوا في الشركات التي تصنع آليات الحروب ، وأن يعبّروا عن اشمئزازهم واحتقارهم للناس الذين يعتقدون أننا نحتاج لمصانع وآلات كهذه .

وكما قلت ، عدتُ مؤخرا إلى درسدن مع صديقي اوهير وحظينا برحلة ممتعة عبر هامبورغ وبرلين الغربية وبرلين الشرقية

وفيينا وسالزبورغ وهلنسكي ولينينغراد .

وكان هذا جيدا بالنسبة لي ، لأنه أعطاني خلفيات أصيلة لكتابة القصص عنها في وقت لاحق . ستكون إحدى القصص بعنوان «عن المعمار الروسي الباروكي» وأخرى عن «ممنوع التقبيل» ، وأخرى عن «حانة الدولار» ، وأخرى بعنوان «لو شاءت المصادفة» وهكذا . . .

كانت هناك طائرة لوفتهانزا ستطير من فيلادلفيا إلى بوسطن ومن ثم إلى فرانكفورت ، وكان من المفترض أن يستقلها اوهير من فيلادلفيا وأستقلها أنا من بوسطن ، وهكذا انطلقنا . لكن مطار بوسطن لم يكن في الخدمة ، لهذا انطلقت الطائرة من فيلادلفيا إلى فرانكفورت مباشرة .

وأصبحت وحيدا في ضباب بوسطن ما دفع بإدارة اللوفتهانزا إلى وضعي في ليموزين مع عدة أشخاص لا أعرفهم وأرسلتنا إلى موتيل كي نقضي ليلة ليلاء .

أبى الوقت أن يمضي . كأن هناك من يعبث بالساعات ، ولم يكن عبثه مقتصرا على الساعات الالكترونية فحسب ، بل حتى ساعات الزنبرك الميكانيكية كانت أيضا تُجزي الوقت ببطء . وهكذا فإن عقرب ساعتي كان يتحرك مرة ، ثم تمر سنة ، ليتحرك مرة أخرى .

لم يكن باستطاعتي أن أفعل أي شيء حيال هذا . وككائن أرضي محكوم بالمكان ، ليس بيدي إلا أن أقبل بحكم

الميقات والأوقات والأزمان .

كنت قد أخذت كتابين معي ، كان من المفترض أن أقرأهما على الطائرة . كان أحدهما بعنوان 'كلمات لأجل الرياح' تأليف تيودور روثكي وهذا ما قرأته فيه :

«استيقظتُ لأشرب .

ولكي أبطئ استيقاظي .

أنا أخطو متأخرا نحو ما لا أخافه .

وأتعلم عبر ذهابي إلى ما يجب أن أذهب إليه .»

كان كتابي الآخر بقلم سيلين ايريكا اوسترفسكي ، وكان سيلين جنديا فرنسيا شجاعا في الحرب العالمية الأولى ، إلى أن تهشمت جمجمته ، ومن ثم فإنه لم يعد يستطيع النوم . كانت هناك أصوات وضجة في رأسه ، ثم أصبح دكتورا وبدأ يعالج الفقراء في النهار ، ويكتب روايات مريعة في الليل . «لا يوجد فن من دون الرقص مع الموت» هكذا كتب مرة . «الحقيقة هي الموت . لقد حاربته بكل ما أملك وأستطيع . . رقصت معه ، تراقصت ، رقصت الفالس حوله . . زينته بالأشرطة الملونة ، داعبته . .»

كان الزمن يشكل هاجسا بالنسبة له . وذكرني اوسترفسكي بالمشهد الجميل عن الموت الذي حدث أمام مبنى القروض ، أين كان سلين يريد إيقاف الحشود التي كانت تسير في الشارع .

كان يصرخ فيهم وهو يحمل ورقة . .«توقفوا . . لا تدعوهم يتحركون . . جمدوهم! جمدوهم كلهم هنا مرة واحدة . . هكذا لن يستطيعوا الاختفاء بعد الآن .»

وهكذا بحثت في الكتاب المقدس الموضوع في غرفتي بالفندق عن حكايات حدث فيها دمار كبير ، وقرأتُ :

«وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلى صُوغَرَ ، فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وعَمُورَةَ كِبْرِيتًا ونَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ . وَقَلَبَ تِلْكَ المُدُنَ ، وَكُلّ الدَّائِرَةِ ، وجَمِيعَ سُكَّانِ المُدُنِ ، وَنَبَات الأَرْضِ .»

وهذا ما حصل .

كان أهالي هذين المدينتين أشرارا وبالطبع كان العالم أفضل من دونهم .

وزوجة لوط ، كما هو معروف قيل لها ألا تلتفت إلى الوراء عندما ينزل العذاب على هؤلاء . . لكنها التفتت ، وأنا أحبها لأجل هذا . . لأنها كانت حركة إنسانية جدا . وهكذا تحولت إلى عمود من ملح . .

يجب على الناس ألا ينظروا خلفهم .

ومن المؤكد أنني لن أفعل ذلك بعد الآن . لقد أنهيت الآن كتابي عن الحرب ، وسيكون الكتاب القادم كتابا أكثر مرحا . هذا الكتاب فاشل ، ويجب أن يكون كذلك لأنه كُتب بيد عمود من ملح . ويبدأ كالتالي :

اسمع :

أصبح بيلي بيلغريم عالقاً عبر الزمن .

وانتهى كالآتي :

«بو تويت»

الفصل الثاني

اسمع إذاً :

أصبح بيلي بيلغريم عالقا عبر الزمن .

ذهب بيلي للنوم وهو أرمل خَرِف واستيقظ في يوم زفافه .

دخل من بابٍ وهو في سنة ١٩٥٥ وخرج من آخر وهو في سنة ١٩٤١ ، فعاود الرجوع إلى الباب الأول ليجد نفسه في العام ١٩٦٣ .

رأى لحظة ميلاده وموته مرات عديدة كما قال . وقام بزيارة العديد من الأحداث بينهما .

كان بيلي متذبذبا عبر الزمن . لا يمكنه التحكم في أين سيذهب المرة القادمة ، ولم تكن تلك الرحلات ممتعة بالضرورة . يقول بيلي أنه في حالة مستمرة من الفزع لأنه لا يدري أي حدث من حياته سيزور في المرة المقبلة .

ولد بيلي سنة ١٩٢٢ في ايليوم بنيويورك . وكان الابن الوحيد لأب يعمل حلاقا . كان طفلا جميلا ومن ثم أصبح فتى وسيما وطويلا وضعيف البنية ، كان يبدو كزجاجة كوكاكولا .

تخرّج من ثانوية ايليوم العامة ، وكان من بين الأوائل في

صفه . وحضر الدروس المسائية في كلية ايليوم للبصريات لموسم واحد قبل أن يُستدعى للخدمة العسكرية في الحرب العالمية الثانية . توفي والده في حادثة صيد خلال الحرب .

خدم بيلي عسكريته في قوات المشاة في أوروبا ، وأخذه الألمان أسيرا وقتها .

وبعد تسريحه المُشرِّف من الجيش سنة ١٩٤٥ ، عاد للالتحاق بدروس كلية البصريات في ايليوم وفي عام تخرجه خطب ابنة مؤسس ومالك المدرسة ، ثم تعرض لانهيار عصبي عارض .

عولج بالصدمات الكهربائية في مستشفى لقدماء المحاربين بالقرب من ليك بلايزد ، وانتهى علاجه وتزوج خطيبته وأنهى دراسته وأسس عملا له في ايليوم بمساعدة صهره .

كانت ايليوم مدينة جيدة بالنسبة للعاملين في البصريات لأن شركة فورج العامة كانت هناك ، وهي شركة صناعة وسباكة وإعادة تدوير . وكان من المطلوب إجباريا على كل العاملين ارتداء نظارات أمان خلال العمل .

كانت شركة فورج توظف ٦٨ ألف عامل في ايليوم وكانت تطلب كميات كبيرة من العدسات والإطارات ، ما يعني الكثير من النقود .

وهكذا أصبح بيلي غنيا ، وصار أبا لطفلين ، باربارا وروبرت . وفي تيار الزمن تزوجت باربرا من أخصائي بصريات

آخر . وألحقه بيلي للعمل معه . أما روبرت فقد كان سيء التحصيل والسلوك في الثانوية ، لكنه انضم لاحقا إلى القبعات الخضر المشهورة . واستقام حاله ، وأصبح فتى طيبا ، وحارب في فيتنام .

وفي سنة ١٩٦٨ قامت مجموعة من أخصائيي البصريات ، بما فيهم بيلي ، باستئجار طائرة للذهاب إلى مؤتمر في مونتريال لعقد اتفاقية عالمية لعلماء البصريات ، فاصطدمت الطائرة بقمة جبل شوجربش في فيرمونت ومات الجميع ما عدا بيلي .

وخلال تعافي بيلي في المستشفى في فيرمونت ، ماتت زوجته بحادثة تسمم بالكربون .

وفي الأخير لما عاد بيلي إلى منزله في ايليوم بعد تحطم الطائرة أصبح هادئا لفترة وكان يحمل ندبة كبيرة أعلى الجمجمة . لم يتابع عمله . كانت لديه مدبرة منزل وكانت ابنته تزوره تقريبا بشكل يومي .

ثم وبدون سابق إنذار ذهب بيلي إلى نيويورك ، وأصابه الهوس ببرنامج إذاعي مخصص للحديث ، فتحدث عن كونه كيانا عالقا عبر الزمن . وقال أيضا أن صحنا طائرا قد اختطفه في سنة ١٩٦٧ .

كان الصحن الفضائي قادما من كوكب ترالفامادور كما قال بيلي ، وكانوا قد أخذوه إلى ذلك الكوكب أين تم عرضه

عاريا فيما يشبه حديقة حيوانات هناك وتزاوج مع بشرية كانت نجمة أفلام إباحية سابقة تدعى مونتانا وايدهاك .

واستمع بعض المصابين بالأرق ليلا في ايليوم لحديث بيلي على الراديو ، وكانت من بينهم ابنته باربارا . استاءت باربرا جدا ، ولهذا ذهبت هي وزوجها إلى نيويورك وأعادت بيلي إلى المنزل ، لكن بيلي أصر على أن كل ما قاله على الراديو كان حقيقيا .

قال بيلي أنه خُطف في ليلة زفاف ابنته ، خطفه سكان كوكب ترالفامادور .

قال أنه لم يفقد وعيه وقتها ، لأن الترالفامادوريين نقلوه لكوكبهم عبر التفاف زمني مما يعني أنه يمكن أن يقضى أعواما على ترالفامادور بينما تمر على الأرض ميكرو ثانية واحدة فقط .

ثم مر شهر آخر دون حوادث تذكر ، بعدها كتب بيلي رسالة إلى أهم جريدة في ايليوم يصف فيها المخلوقات من ترالفامادور .

قالت الرسالة أنهم كانوا بطول قدم واحدة ، ولونهم أخضر . وقال أنهم يشبهون معدات السمكرة في الشكل ، حيث أن أرجلهم تشبه أكواب الشفط مثبتة على الأرض بينما كانت الأذرع شديدة المرونة متجهة نحو الأعلى مشيرة إلى السماء وفي نهاية كل ذراع كانت هناك يد صغيرة تحوي عينا في راحتها .

كانت المخلوقات مسالمة وتستطيع رؤية البعد الرابع . وكانت تشفق على الأرضيين لأنهم يستطيعون رؤية ثلاثة أبعاد فقط . ووعد بيلي في رسالته المقبلة أن يتحدث عن بعض الأمور الرائعة والمثيرة .

كان بيلي يكتب رسالته الثانية حين نُشرت رسالته الأولى .

أما رسالته الثانية فبدأت بالعبارات التالية :

«أهم شيء تعلمته في كوكب ترالفامادور ، أنه عندما يموت إنسان فإنه يبدو لنا فقط أنه يموت وإلا فإنه حي يرزق في الماضي . لهذا فمن السخيف جدا أن نبكي عليه في جنازته ، كل اللحظات لدينا من ماض ومستقبل وحاضر موجودة دائما وستبقى وبشكل متزامن . . وسكان كوكب ترالفامادور يمكنهم أن يروا كل هذه اللحظات المختلفة للزمن في وقت واحد ، تماما كما نرى نحن مثلا سلسلة جبال الروكي .

وهم يستطيعون رؤية كل اللحظات في وقت واحد ، وبإمكانهم تركيز أنظارهم على أية لحظة تثير اهتمامهم ولهذا فإن إحساسنا هنا على الأرض بأن الزمن متتابع أومستمر ، أي لحظة تلي أخرى ، وأن اللحظة التي تمر تذهب بلا عودة هو مجرد وهم .

وعندما يرى فرد من الترالفامادوريين جثة ، فكل ما يعتقده حول الأمر هو أن هذا الشخص الميت هو في حالة سيئة في

هذه اللحظة بالذات ، أما في غيرها من اللحظات فيكون ذلك الشخص نفسه سليما ومعافى ، لهذا فإنني عندما أسمع الآن عن موت إنسان أتجاهل الأمر وأقول كما يقول الترالفامادوريين : 'كل ذلك سيمضي' .»

كتب بيلي هذه الرسالة في غرفة مليئة بالفوضى في الطابق الأرضي من منزله الخالي . كان يوم عطلة بالنسبة لمدبرة منزله ، وكانت هناك آلة كاتبة قديمة وقبيحة الشكل في قبو منزله ، كانت ثقيلة كأنها بطارية سيارة لهذا لم يتمكن بيلي من تحريكها بسهولة . ولهذا أيضا تركها هناك وكتب رسالته في تلك الغرفة بدل أي مكان آخر في منزله .

كانت المدفئة قد توقفت عن العمل لأن فأرا قرض كابل التوصيل الحراري . وهكذا انخفضت درجة حرارة المنزل إلى عشرة درجات مئوية لكن بيلي لم يلاحظ هذا ولم يكن يرتدي حتى ملابس تقيه البرد . . كان حافي القدمين ويرتدي بيجامته معتقدا أن الوقت هو المساء ، وكانت قدماه بيضاء شاحبة تميل للزرقة .

لكن أعماق قلب بيلي كانت تتوهج بالدفء لإيمانه أنه يؤدي واجبه بإيضاح حقيقة الزمن لإخوته من البشر .

كان جرس الباب في الطابق الأول يرن ويرن ، لقد كانت ابنته باربرا في انتظاره ، ثم فتحت الباب بمفتاحها ودخلت المنزل ، عبرت الطابق الأول وهي تنادي «أبي . . أين أنت؟ . .»

لم يجبها بيلي ، فأصابها الهلع معتقدة أنها ستجد جثته . ثم بحثت في آخر مكان يمكن أن تتوقعه فيه : القبو .

«لماذا لم تجبني عندما ناديتك؟» قالت باربرا وهي تقف أمام باب الغرفة السفلية . كانت تحمل معها جريدة المساء ، والتي تحتوي الرسالة التي وصف فيها بيلي أصدقائه من ترالفامادور .

أجاب بيلي «لم أسمعك» .

وكانت هذه من اللحظات المهمة : كانت بابرا في الواحدة والعشرين ، وكانت تفكر أن والدها قد أصبح مسنا حتى وإن كان عمره ست وأربعين عاما وحسب ، لكنها تعتقد أن سبب حالته المزرية لم يكن السن بل الصدمة التي تعرض لها رأسه في حادث الطائرة . وهي تفكر أيضا أنها هي المسؤولة الآن عن العائلة بعد وفاة أمها . فهي من جهزت كل شيء لجنازتها وهي من تدبرت مدبرة المنزل لأبيها . وكانت هي وزوجها من يديران كل أعمال بيلي التجارية ، بينما بدا بيلي وكأنه قد فقد كل اهتمامه بالعمل .

كل هذه المسؤوليات في هذه السن الصغيرة جعلتها امرأة صعبة المراس نوعا ما وغريبة الأطوار . وفي نفس الوقت كان بيلي يحاول إنقاذ كرامته بمحاولة إقناع باربارا والآخرين أنه لم يخرّف بعد ، وهكذا وعلى عكس التوقعات وبدل أن يعود لعمله زاد من هوسه .

في اعتقاد بيلي ، فإن عمله السابق كان كله بلا أي فائدة . فقد كان العمل الحقيقي في نظره هو أن يقوم بصقل عدسات الرؤية ، لكن ليست عدسات الرؤية المادية بل تلك الروحية ، لأرواح إخوته البشر وذلك بكشفه كل هذه الحقائق عن الزمن . ويعتقد بيلي أن مرايا النفوس قد صدأت وأصبحت رديئة لهذا لا يتمكن البشر من الرؤية الصحيحة كما يفعل أصدقائه الصغار الخضر من كوكب ترالفامادور .

قالت باربارا : لا تكذب عليّ يا أبي . أعرف تماما أنك سمعتني لما ناديت عليك .

كانت باربارا فتاة جميلة على كل حال ماعدا أن ساقيها تشبه أرجل طاولة البيانو الكبيرة .

ثم أثارت جلبةً حول رسالته التي نشرتها الجريدة . قالت أنه قد جعل من نفسه وكل من يرتبط به أضحوكة .

صرخت باربرا «أبي! أبي! أبي! . ما الذي سنفعله بشأنك الآن؟ . أتريد أن تجبرنا على وضعك مع أمك؟»

كانت والدة بيلي لا تزال حية وتعيش في دار للعجزة تدعى «بِين نول» في ضواحي مدينة ايليوم .

قال بيلي : ما الشيء الذي قرأته في رسالتي وجعلك تغضبين هكذا؟

- كلها ، هذا جنون ، لا شيء حقيقي فيها .
- كل ما فيها حقيقي .

لم يكن بيلي غاضبا . وبالمناسبة لم يكن يغضب من أي شيء وكان هذا خُلقا مذهلا في شخصيته .

- لا يوجد هناك كوكب اسمه ترالفامادور .

- لا يمكن رصده من الأرض . إن كان هذا ما تقصدينه ، ولا يمكن أيضا رصد كوكب الأرض من ترالفامادور . وبالتالي فإن كِلا الكوكبان صغيران وبعيدان جدا عن بعضهما .

- من أين حصلت على اسم مجنون كترالفامادور؟

- هذا ما تسميه به الكائنات التي تعيش في ذلك الكوكب .

- يا إلهي!

وصفقت باربرا بيديها معبرة عن إحباطها من هذه المحادثة ثم استدارت نحوه وقالت :

- هل يمكن أن أسألك سؤالا؟

- بالطبع .

- لماذا لم تذكر لنا أي شيء من هذا قبل تحطم الطائرة؟

- لم يكن الوقت قد حان بعد .

قال بيلي أن أول انتقال له عبر الزمن كان في سنة ١٩٤٤ ، مباشرة قبل رحلته إلى ترالفامادور . ولم يكن سكان ذلك الكوكب هم من تسبب في سفره عبر الزمن هكذا .

كل ما كان بمقدورهم فعله هو أن يعطوه بعض التلميحات حول ما يحدث له .

أول ما بدأ بيلي سفره عبر الزمن ، كان خلال الحرب العالمية الثانية . حيث كان مساعد كاهن في الحرب يرافق الجيش الامريكي . وكما هي الصورة النموذجية لمساعد كاهن والتي كانت أضحوكة وموضوع التندر ، لم يكن بيلي استثناء ولم يكن لديه القدرة على إيذاء الأعداء ولا حتى مساعدة أصدقائه . وفي الحقيقة لم يكن لديه أصدقاء . كان أقرب إلى الخادم منه إلى كاهن . دون رتبة أو ميداليات ولا يحمل أي سلاح . ولكنه كان يملك إيمانا قويا بالسيد المسيح مما جعل الجنود يسخرون منه . وأثناء المناورات في كارولينا الجنوبية أدى بيلي الأناشيد الدينية التي كان يعرفها منذ الطفولة ، أداها على آلة أورغن سوداء اللون مضادة للماء ، ذات تسع وثلاثين مفتاحا ، وكان بيلي مسؤولا أيضا عن المذبح المتنقل للجيش والذي يحوي وعاء الزيت المقدس ، وكانت أرجل المذبح تطوى إلى الداخل كالتلسكوب العادي . وكان مزينا بقطيفة قرمزية فاخرة تنتهي بصليب مطلي بالألمنيوم بالاضافة إلى الكتاب المقدس .

كان المذبح المتنقل وآلة الأورغن قد صنعا في شركة تصنع المكانس الكهربائية في مدينة كامدن بنيوجرسي . هكذا قال بيلي .

وفي إحدى المرات التي كانت تجرى فيها المناورات . أدى بيلي ترنيمة «إلهُناَ العزيز هو حصننا» بموسيقى جوهان سبستيان

باخ وكلمات مارتن لوثر . كانت صبيحة يوم الأحد . وكان بيلي والقسيس قد اجتمعا مع حوالي خمسين جنديا في إحدى تلال كارولينا ، عندما ظهر الحَكَم . وكما نعرف كان هناك حُكام في كل مكان .

كان الحكم هو الشخص الذي يعلن من خسر ومن ربح المعركة الافتراضية ، وأيضا من مات ومن بقي حيا . كان الحكم يحمل معه أخبارا مضحكة . فمجموعة الجنود التي قصفت افتراضيا عبر الجو بنيران الأعداء ، والذين كان من المفترض أن يكونوا جميعهم -نظريا- موتى الآن ، كانت جثثهم -الافتراضية- تضحك الآن وتتناول طعام الغداء الدسم .

وعندما تذكر بيلي هذا الأمر بعد سنوات ، قارن بينه وبين ما حدث معه مع الترالفامادوريين وما معنى أن تكون ميتا وتأكل في نفس الوقت . ولما شارفت المناورة على الانتهاء كان بيلي قد أُعطي الإذن باجازة طارئة بسبب وفاة والده ، الحلاق بايليوم بنيويورك ، بطلق ناري أصابه به صديقه عن طريق الخطأ عندما كان يريد اصطياد أيل .

وعندما عاد بيلي من إجازته ، كانت هناك أوامر بنقله إلى الخارج . فقد كانوا يحتاجون اليه في فوج المشاة الذي يقاتل في لوكسمبورغ لأن مساعد القسيس السابق قُتل أثناء تأدية مهامه .

ولما تسلم بيلي مهامه . كانت رحى الحرب تدور لصالح الألمان في معركة الثغرة الشهيرة . ولم يستطع بيلي حتى الذهاب لرؤية الكاهن الذي من المفترض أن يكون هو مساعده ، ولم يعطوه حتى خوذة أو حذاء عسكريا . كان هذا في ديسمبر ١٩٤٤ خلال آخر هجوم كبير للألمان في هذه الحرب .

نجا بيلي ، لكنه كان هائما حائرا بالقرب من الخطوط الدفاعية الألمانية الجديدة . كان هناك ثلاثة جنود آخرين مثله . لكن ليسوا بنفس حيرته ، اثنين من الكشافة والآخر كان مدفعيا في طاقم مدفعية ضد الدبابات .

كانوا بلا طعام أو خرائط ، يحاولون تجنب الألمان الذين كانوا ينسلون بصمت وعمق نحو المناطق الريفية . لقد اضطروا لأكل الثلج .

كانوا يسيرون متتابعين على خط واحد . يأتي أولا الكشافان اللذان يبدوان هادئين وماكرين ويحملان البنادق ، ثم يأتي المدفعي الذي يبدو أخرقا وفظا محاولا إخافة الألمان بمسدس أوتوماتيكي في يد وسكين في اليد الأخرى .

وأخيرا يأتي بيلي بيلغريم خاوي الوفاض ، مهيأ تماما للموت . كان بيلي طويلا بشكل غريب : ستة أقدام وثلاث انشات ، مع صدر وأكتاف تشبه علبة عود ثقاب . لم يكن لديه لا خوذة ولا معطف ولا سلاح ولا حذاء عسكري . كان يرتدي حذاء مدنيا عاديا رخيص الثمن كان قد ابتاعه لحضور جنازة

أبيه ، كان قد فقد كعب حذائه مما جعله يتواثب راقصا في مشيته ، وسبب له هذا التراقص القسري ألما في فخذيه .

كان بيلي يرتدي سترة ميدانية رقيقة ، وقميصا وبنطلونا من الصوف ، وكانت ملابسه الداخلية قد غرقت في العرق . وكان الوحيد من بين أربعتهم من يملك لحية وكانت مشعثة وبها بضع شعرات بيضاء ، وبالرغم من أن بيلي لم يجاوز الواحدة والعشرين ، إلا أن الصلع كان قد بدأه وكانت الريح والبرد والتجربة العنيفة التي مر بها قد جعلت وجهه محمّرا .

لم يبدو على الإطلاق كجندي . . كان يشبه بالأحرى طائر فلامينغو متسخ .

وفي اليوم الثالث من مسيرهم على غير هدى ، أطلق أحدهم عليهم النار أربع مرات من مكان بعيد . حدث هذا عندما كانوا يقطعون ممرا ضيقا . وكانت طلقة موجهة للكشافين والأخرى كانت للمدفعي الذي كان اسمه رونالد ويري ، والثالثة كانت لطائر الفلامينجو القذر ، الذي توقف في مرمى النيران تماما ، فمرت نحلة قاتلة من فوق أذنه . وقف بيلي هناك كولد مهذب معطيا الرامي فرصة أخرى لقتله ، وحدث هذا لفهمه المعكوس لقواعد الحرب التي تقول «يجب أن نعطي الرامي فرصة ثانية!» ، الطلقة الثانية أخطأت ركبتي بيلي بسنتمترات فقط .

كان رونالد ويري والكشافين في أمان في خندق ما .

وصـرخ ويري ببـيلي «اخـرج من الطريق أيهـا الأحـمق ابن العـاهرة!» ، وكـانت كلمـة «ابن العـاهرة» جـديدة في لغـة الناس البيض ذلك الوقت في سنة ١٩٤٤ ، ولم يسبق لبيلي أن مارس الحب مع أي أحـد ، وكل مـا كـان يقوم بفـعله هو عـمله . لهـذا كـانت الكلمـة جـديدة عليه ومـدهشـة ومن ثم فـإنها جعلتـه يستعيد تركيزه ويتنحى عن الطريق .

«لقـد أنقـذت حـياتك مجـددا أيها الأحـمق اللقـيط» قـال ويري لبيلي وهما في الخندق . وقد كان ويري ينقذ حياة بيلي طيلة الأيام الماضيـة بضربه وركله وصفعه وجعله يتحـرك . . كـانت الفظاظة ضـرورية لأن بيلي لـم يكن يفعل شـيئـا لإنقـاذ نفسه .

كـان بيلي يريد أن يرتاح ، فـقـد كـان يشـعـر بالبـرد والجوع والارتبـاك وأنه غـيـر كفء ، وبالكاد كـان يميز الآن بين اليـقظة والنوم . وفي اليـوم الثـالث لـم يجـد أي فـرق بينهـمـا ، بين النوم واليـقظة أو الـوقوف أو المشي ، لدرجة أنه تمنى أن يتـركه الجميع لوحده ويمضوا .

«هيا يا رفاق اذهبوا دوني» قال لهم مرارا وتكرارا .

كان ويري أيضا جنديا جديدا في الحرب مثل بيلي . وكان قـد تم تعـويضـه في طاقـم المدفـعيـة بعـد أن سـاعـد من قـبل في إطلاق قذيفة من مدفع مضاد للدبابات عيار ٥٧ ميلمتر يُحدث صوتا وضجة كبيرتين .

كان المدفع مغطى بالثلوج والشجيرات ، ولما أطلق المدفع النار ترك أثرا أسودا على طول مسار الطلقة موضحا للألمان مكانه بالتحديد ، بينما لم تصب طلقة المدفع الهدف الذي كان دبابة نمر ألمانية . وهكذا استدارت الدبابة بفوهتها ذات العيار ٢٢ ميلمتر ولاحظت الأثر الذي تركته طلقة المدفع . . وسددت نحوه تماما وأطلقت النار مسببة مقتل كل الطاقم ما عدا ويري .

كان عمر ويري ثمانية عشر عاما فقط وكان قد خرج لتوه من طفولة غير سعيدة قضى معظمها في بيتسبورغ ، بنسلفانيا . لم يكن يحظى بأية شعبية هناك ، ولم يكن شعبيا لأنه كان غبيا وسمينا ، ورائحته تشبه لحم خنزير مقدد لا تذهب مهما حاول الاغتسال . وكان الناس يتخلون عنه دوما لأنهم لا يريدون أن يكون معهم .

وكان التخلي عنه بهذا الشكل يجعله نزقا ، لهذا كان يبحث عن شخص آخر لا يحبه الناس ، ويتسكع معه لفترة ، ويتظاهر بأنه لطيف ، ثم يجد ذريعة ليلقي عليه هراءه .

كان يصور صداقته على أنها صداقة مجنونة وجميلة وقاتلة . وهكذا يخبر من يريد مصادقته عن مجموعة البنادق والسيوف وأدوات التعذيب والقيود الحديدية وما شابه ذلك التي كان يملكها والده . كان والده سباكا ، وكان فعلا يجمع مثل هذه الأشياء ، وكانت مؤمّنة بقيمة أربعة آلاف دولار . ولم

يكن والد ويري فقط من يجمع هكذا أشياء بل كان عضوا في نادي يجمع كل أفراده أشياء كهذه .

وفي أحد المرات ، أعطى والد ويري لأمه أداة تعذيب اسبانية لـ«قلع الأظافر» احتاجتها كي تصلح أداة ما في المطبخ . وفي مرّة أخرى أعطاها مصباح طاولة كان على شكل تمثال الفتاة الحديدية المشهور في نورنمبورغ .

كان تابوت الفتاة الحديدية الأصلي أداة تعذيب في القرون الوسطى ، وكان عبارة عن مِرجل فولاذي على شكل امرأة له بابان ومجهز بالمسامير من الخارج .

يتم تعذيب الضحية بإدخالها إلى التابوت الحديدي وإغلاق البابين حيث يضمان مسامير على مستوى عيني الضحية لقلعهما ، وكان هناك ثقب تتجمع فيه الدماء أسفل التابوت .

أخبر ويري بيلي عن الفتاة الحديدية ، وعن الوعاء الذي في الأسفل وفيما يستعمل ، وحكى له عن المسامير وعن مسدس الدرينجر الذي يملكه والده والذي كان مخبأً في جيب سترته والذي يمكنه أن يثقب رجلا بحيث يمكن أن يمر من خلاله خفاش دون أن تلامسه أجنحتُه .

تحدى ويري بيلي بازدراء إن كان يعرف حتى ما هو 'مزراب الدم' ، ظن بيلي أنه اسم الوعاء أسفل الفتاة الحديدية والذي يشبه بالوعة المياه لكنه للدم ، لكن بيلي كان مخطئا . «مزراب

الدم» . . أخبره ويري «مزراب الدم هو أخدود صغير كالخدش في شفرة السيف أو الحربة» .

وحكى ويري لبيلي عن فنون التعذيب البارعة التي قرأها أو شاهدها في الأفلام أو سمع عنها في الراديو . كانت هناك أنواع من التعذيب اخترعها ويري بنفسه . وإحدى طرق التعذيب تلك كانت ثقب أذن الضحية بمثقاب طبيب الأسنان .

ثم سأل بيلي عما يمكن أن يكون أسوأ أنواع التعذيب؟ فلم يعرف بيلي الجواب . وكانت الاجابة كالآتي : «أن تثبت رجلا فوق عش نمل في الصحراء . ويكون رأسه فوق . ثم تطلي عضوه وخصيتيه بالعسل ، وتقطع جفون عينيه وهكذا يضطر أن يحدق بالشمس المحرقة حتى الموت .»

والآن بعد أن أطلق بيلي والكشافين النار عليهم من الخندق ، تمكن بيلي من أن يلقى نظرة عن قرب إلى سكين ويري . لم يكن من سكاكين الجيش لقد كان هدية من أبيه .

كانت شفرة السكين بطول خمس وعشرين سنتمترا ، مثلثة الشكل ، ذات قبضة مكونة من حلقات نحاسية وإبر حديدية متشابكة يقبض عليها ويري .

أراح ويري مسامير القبضة على خد بيلي .

وتمالك بيلي رباطة جأشه بشكل مثير للدهشة .

- كيف تريد أن تُطعن بهذا السكين؟ همممم؟ كان ويري يريد أن يعرف .

- لا أود أن أُطعن . قال بيلي .

- أتعلم لماذا الشفرة مثلثة الشكل؟

- لا .

- كي تجعل الجروح غير قابلة للالتئام .

- أوه .

- هذه الشفرة تثقب الرجل من ثلاث جهات ، أما لو طعنت رجلا بسكين عادية فهي تسبب شقا من جهة واحدة ، صح؟ صح؟ والشق يلتئم . . صح؟

- صحيح .

- تبا! ماذا تعرف أنت؟ ما الذي درسته بحق السماء؟

- «لم أبقى في المدرسة طويلا» قال بيلي وكانت هذه هي الحقيقة ، لأنه درس في مدرسة لستة أشهر فقط ولم تكن المدرسة نظامية حتى ، بل كانت مدرسة ليلية للبصريات في ايليوم .

- مدرسة للرعاع . انتقده ويري .

تجاهله بيلي .

- هناك الكثير في الحياة لا يمكن أن تطالعه في الكتب . قال ويري . «وستعرف ذلك .»

لم يرد بيلي على هذا ، ومنذ أن دخل الخندق لم يرد أن يتكلم أكثر مما هو ضروري ، لكنه كان يرغب أن يقول حتى ولو بصوت خافت أنه يعرف بعض الأمور عن الظلم والأذى .

كان بيلي على الرغم من كل شيء يملك جروحاً داخلية

وآثار تعذيب نفسي بشعة كانت قد رافقته في كل يوم من أيام طفولته .

كان بيلي يملك مجموعة بشعة جدا من الصُلبان معلقة على جدار غرفة نومه في ايليوم .

وبشكل أو بآخر كانت الصلبان تعكس حالته النفسية المصلوبة وكانت تمثل بصدق الحالة النفسية البائسة لبيلي المسكين .

لم يكن بيلي كاثوليكيا ، حتى وإن كان قد تربى وتلك الصلبان المروعة معلقة على الجدار . ولم يكن والده مؤمنا أما والدته فقد كانت تعزف الأورغن في العديد من الكنائس في المدينة . وكانت تأخذ بيلي معها عندما تذهب لتؤدي الترانيم الدينية وهكذا تعلم منها كيف يعزف على الأورغن ، وكانت تقول أنها ستنضم للكنسية حين تعرف أيّ من هذه الكنائس على حق أولا ، وهكذا لم تنضم إلى أي كنيسة أبدا .

كانت لديها لهفة شديدة للصلبان ، وهكذا ابتاعت واحدا من سوق سانتافهِ للهدايا ، وكان ذلك خلال رحلة عائلية نحو الغرب في فترة الكساد الكبير . ومثل العديد من الأمريكيين حاولت أن تبني لأسرتها حياةً ذات معنى وذلك بإضفاء المعاني على الأشياء التي ابتاعتها من سوق الهدايا .

وانتهى المطاف بذلك الصليب معلقا على جدار غرفة بيلي بيلغريم .

كانا الكشافان المسلحان ببنادقهم المشحونة في الخندق يهمسان بأنه قد حان الوقت للتحرك . فقد مرت عشرة دقائق ولم يظهر أحد في المكان كي يرى ما إذا ما أصيبوا وينهي الأمر ، لذا فمهما كان من أطلق النار فمن الواضح أنه قد ابتعد وهم لوحدهم الآن .

وهكذا زحف أربعتهم خارجين من الخندق إلى الغابة تماما مثل أسلافهم من الثدييات الكبيرة عديمة الحظ في غابر الازمان . ثم وقفوا وبدأوا بالمشي سريعا . . كانت الغابة مظلمة وباردة .

كانت أشجار الصنوبر مزروعة بشكل صفوف ، الواحدة وراء الأخرى ، ولم تكن هناك أي شجيرات صغيرة ، وكانت الأرض مغطاة بأربع انشات من الثلج .

لم يكن لهم خيار في ترك آثار على الثلوج تبدو واضحة جدا كالرسوم البيانية في كتاب لتعلم الرقص . خطوة أولى ، قف ، استدر ، خطوة أخرى . .

«أغلقه وأبقيه مغلقا!» صاح ويري ببيلي بيلغريم لما خرجوا من الخندق .

كان ويري يبدو وكأنه شخصان في جسد واحد . وكلاهما معدان للقتال . كان قصيرا وممتلئا .

وكانت في حوزته كل قطعة من المعدات يمكن أن تفكر بها ، وقد حملها كلها معه من المنزل .

خوذة وخوذة طيّار، قبعة من الصوف، وشاح، قفازات، قميص قطن تحتي، وقميص صوفي تحتي، وقميص صوف، سترة، وبلوزة، ومعطف، ومعطف آخر ثقيل، وملابس تحتية قطنية، وملابس تحتية صوفية، سراويل صوفية، وجوارب قطنية، وجوارب صوفية، وأحذية عسكرية، وقناع غاز، وكانتين للطعام، وصندوق معدات الطعام، علبة إسعافات أولية، سكين صيد، وبطانية وحقيبة فراش ومعطف للمطر وآخر مضاد للرصاص والكتاب المقدس، وكتيبان أحدهما بعنوان اعرف عدوك والآخر لماذا نقاتل؟ وكتيب آخر يشرح العبارات الألمانية بالكتابة الانجليزية، والذي يسمح لجندي مثل ويري أن يسأل الألمان بالألمانية «أين يقع مقر قيادتكم العليا؟» و«كم مدفع هاوتزر تملكونه؟» أو ليقول لهم شيئا مثل «استسلموا. لقد انتهى أمركم» وهكذا.

كان ويري يحمل معه أيضا قطعة من خشب البلزا كان من المفترض أن تكون وسادة للمبيت، وكان يحمل معه عدة وقائية تتضمن واقيين ذكريين من النوع الجيد «لأسباب الوقاية من الأمراض وحسب!»، وصافرة عسكرية لم يكن سيريها لأي أحد حتى يرقّى إلى رتبة عريف، وأيضا صورة فوتوغرافية لامراة ومهر حصان صغير كانا يحاولان القيام باتصال جنسي بين عمودي بناءٍ يبدوان من المعمار اليوناني القديم، أمام ستائر مخملية مزخرفة، وكان ويري قد عرض هذه الصورة عدة مرات على بيلي.

كانت الصورة التي يحملها ويري من أوائل الصورة الإباحية في التاريخ كله .

أُستعملت كلمة «فوتوغرافي» لأول مرة سنة ١٨٣٩ ، وفي هذا العام أيضا كان لويس جيه .إم . داغير قد قدّم للأكاديمية العلمية الفرنسية اكتشافه أن بالإمكان التقاط صورة عبر شريط رقيق من يود الفضة مع استعمال بخار الزئبق .

في سنة ١٨٤١ ، أي بعد عامين فقط ، تم اعتقال مساعد داغير «اندري لوفيفر» في حدائق التويلري لمحاولته أن يبيع لرجل صورةً إباحية لامرأة ، وهذا المكان أي «حدائق تويلري» هو نفس المكان الذي ابتاع فيه ويري الصورة .

جادل لوفيفر أن الصورة كانت فنية بحتة وأنها لإحياء بعض الأساطير اليونانية القديمة . والدليل على ذلك الديكور الخلفي للمشهد .

وعندما تم سؤاله أي أسطورة تمثلها هذه الصورة بالضبط؟ أجاب لوفيفر بأن هناك الآلاف من الأساطير المشابهة ، وهكذا تم حبسه لست أشهر في السجن حيث مات بالالتهاب الرئوي . .

كان بيلي والكشافين نحيفين نوعا ما أما رونالد ويري فكان لديه الكثير من الدهون كي يحرقها ، وكان يتأرجح تحت كل أكوام الصوف والملابس والأقمشة التي يرتديها وكان مليئا بالنشاط ، حيث كان يروح ذهابا وايابا بين الكشافين وبيلي

ناقلا رسائل سخيفة لم يرسلها أحد ولا يريد أحد أن يتلقاها .
ثم بدأ يعتقد أنه القائد لأنه كان مشغولا أكثر من أي أحد .

كان يبدو قويا ، ومن الواضح أنه لم يكن يحس بأي خطر . . فقد كان يرى العالم من حوله بطريقة محدودة جدا من خلال الشق الضيق بين خوذته ووشاحه الصوفي الذي يخفي وجهه الطفولي بدءا من أنفه إلى ذقنه وحول عنقه .

كان يشعر بالاطمئنان كما لو أنه يشعر أنه قد عاد إلى الوطن ونجا من الحرب وحكى لأبيه وأخته قصة حقيقية عن الحرب . بينما الحقيقة أن قصة الحرب ما زالت تحدث الآن .

كانت رواية ويري حول الحرب لتكون هكذا : وقع هجوم ألماني كبير ، وقاتل ويري وطاقم المدفعية المضادة للدبابات بضراوة شديدة حتى قُتلوا جميعا ما عدا ويري .

ثم التقى بجنود كشافة ، وأصبحوا على الفور أصدقاء وقرروا أن يقاتلوا العدو على خطوطه الأمامية ، ثم تحركوا بسرعة ، وتعاهدوا على النصر أو الموت وتصافحوا بالأيدي وسموا أنفسهم الفرسان الثلاثة .

لكن تأتي فيما بعد حقيقة وجود صبي المدرسة هذا ، الذي كان ضعيفا وغير مؤهل لأن يلتحق بالجيش ، والذي قال لهم مرارا أن يتركوه ويرحلوا . . لم يكن يملك حتى مسدسا أو سكينا ، ولا خوذة أو حتى قبعة ، ولا يمكنه حتى المشي بطريقة صحيحة ، فهو يتأرجح صعودا وهبوطا ، صعودا وهبوطا! مما يثير

جنونه . . لأنه يجعلهم متفرقين كمجموعة . . فقد كان حالةً يرثى لها فعلا .

كان الفرسان الثلاثة يدفعون ويجرّون صبي المدرسة هذا ويعتنون به طيلة الطريق إلى خطوطهم الدفاعية .

أما في الواقع ، فقد كان ويري يتتبع آثار أقدامه مفكرا فيما يفعله بيلي الآن . أخبر الكشافة أن ينتظروا لحظة حتى يعود باللقيط صبي المدرسة هذا .

اجتاز غصن شجرة منخفض ، فضرب الغصن خوذته محدثا صوتا لم يسمعه ويري ، ومن مكان ما نبح كلب ضخم . لم يسمعه ويري أيضا إذ أنه وصل إلى مستويات حاسمة في قصته المتخيلة .

كان قد وصل إلى أن ضابطا هنأهم لشجاعتهم في الحرب وتوجهم بأوسمة من نجوم برونزية .

- هل هناك أي شيء آخر يمكن أن أفعله من أجلكم يا أولاد ؟

- نعم سيدي . قال أحد الكشافة .

«نريد أن نبقى معا حتى نهاية الحرب . هل هناك طريقة كي تمنع أيّا كان من فك وحدة الفرسان الثلاثة هذه؟»

كان بيلي بيلغريم قد توقف في الغابة ، واتكأ على شجرة مغمضا عينيه ، وكان رأسه للوراء وأنفه محمرا ، كان يشبه شاعرا في البارثينون .

وكانت هذه هي المرة الأولى التي جرب فيها بيلي التنقل عبر الزمن . فأصبحت رؤيته لحياته كأنها قوس يحوي كل جزء منه لحظات من الزمن ، مرورا بالموت الذي كان لونه بنفسجيا حيث لم يكن هناك أي أحد ولا أي شيء . . فقط اللون البنفسجي وصوت مبهم .

وانتقل بيلي من تلك النقطة وعاد التأرجح بين لحظات حياته في ذلك القوس ، منتقلا عبر الزمن إلى ما قبل ولادته ، والذي كان باللون الأحمر مع صوت انفجار الفقاقيع الصغيرة .

ثم اجتاز المرحلة إلى حياته وتوقف . كان وقتها مجرد صبي صغير يأخذ حماما مع والده في جمعية الشبان المسيحية بمدينة ايليوم . شم رائحة الكلورين منبعثة من حوض السباحة وراء الباب ، وسمع من مكان ما صوت طلقة انطلاق لسباق ما .

كان بيلي الصبي خائفا لأن والده قد أخبره أنه سيعلمه السباحة بطريقة لن يساعده فيها بل يتركه لمفرده إن نجح أو فشل . وكان سيرمي به في حوض عميق أين من المفترض عليه أن يسبح!

كان هذا أشبه بحكم بالإعدام ، ولما كان الأب يحمله ليلقيه في الحوض ، كان بيلي مخدرا ، فاقدا الإحساس ، مغلقا عينيه . وعندما فتحهما كان في قاع الحوض ، وسمع هناك موسيقى جميلة جدا تأتي من جميع الأرجاء .

فقد بيلي وعيه ، لكن الموسيقى استمرت . . وأحس من

بعيد جدا وكأن أحدا يحاول إنقاذه . . فأثار هذا الإستياء في نفسه .

ومن هذه اللحظة انتقل بيلي عبر الزمن إلى سنة ١٩٦٥ حيث كان عمره واحدا وأربعين سنة . وكان في زيارة لأمه المسنة في دار العجزة «بين نول» ، وكان قد وضعها هناك قبل شهر فقط ، فقد كانت تعاني من الالتهاب الرئوي ولم يكن يتوقع لها أن تعيش طويلا ، وعلى الرغم من ذلك فقد عاشت لسنوات بعدها .

كان صوتها خافتا يكاد لا يبين ، لهذا وحتى يسمعها بيلي ، وضع أذنه بالقرب من شفتيها ، وبدا كأن لديها شيئا مهما جدا لتقوله .

«كيف . . .» بدأت بقولها ، ثم توقفت فقد كانت جد متعبة . لم تكن تود أن تكمل باقي الجملة ، لكن بيلي أراد أن يسمع البقية ، إلا أنه لم يكن يعلم أي فكرة تجول في رأسها .

قال بيلي محفزا لها «كيف ماذا يا أمي؟»

ابتلعت ريقها بصعوبة وانحدرت بعض الدموع من عينيها ، ثم استجمعت ما تبقى لها من قوى تحوم في جسدها البالي . وجمعت في الأخير ما يكفي كي تهمس مكملة الجملة :

«كيف أصبحت مسنّة جدا هكذا؟»

توفيت أم بيلي ، وقادته ممرضة جميلة إلى خارج الغرفة . ولما اجتاز بيلي الممر رأى جثة عجوز مسجى يُدفع عبر سرير

المستشفى . كانت جثة رجلٍ كان بطل زمانه في سباق الماراتون . وكان هذا قبل أن يتضرر رأس بيلي في حادثة اصطدام الطائرة ، وقبل أن يتحدث عن الأطباق الطائرة والسفر عبر الزمن .

جلس بيلي في غرفة الانتظار ، لم يكن قد أصبح أرملا بعد . أحس بشيء ما صلب تحت الكرسي ، فاستخرجه واكتشف أنه كتاب «إعدام العميل سلوفيك» تأليف وليام برادفورد هوي .

كانت قصة حقيقية للعميل ايدي دي سلوفيك ٣٦٨٩٦٤١٥ ، الجندي الأمريكي الوحيد الذي قُتل رميا بالرصاص منذ الحرب الأهلية الأمريكية لأنه كان جبانا .

قرأ بيلي رأي المحكمة التي راجعت قضية سلوفيك والتي انتهت كالتالي : انتهك سلوفيك بشكل مباشر شرعية الحكومة ، وتعتمد هيبة الحكومة في المستقبل على كيفية الرد على هذا الانتهاك .

لم يكن لعقوبة الإعدام أن تنفذ لمجرد أن سلوفيك قام بالفرار ، فهي في هذه الحالة بالتحديد ليست إجراء عقابيا أو قصاصا ، بل طُبقت لدعم هيبة الحكومة وانضباط الجيش ، حيث لا يمكن القبول بفرار أي جندي منه إن كنا نريد أن ننتصر على الأعداء .

ولم تكن هناك أي توصية بالرحمة أو العفو في هذه

الحالة . وهكذا كان .

عاد بيلي في الزمن من ١٩٦٥ إلى ١٩٥٨ ، كان وقتها في مأدبة عشاء شرفية لرابطة صغيرة في الجامعة حيث كان ابنه روبرت عضوا فيها . وكان المدرب الذي لم يتزوج أبدا يتحدث صدقا . . «لي الشرف الكبير لمجرد كوني صبي الماء(٢) لهؤلاء الأولاد .»

خرج بيلي من سنة ١٩٥٨ وانتقل عبر الزمن إلى ١٩٦١ ، كانت ليلة رأس السنة الجديدة . وكان بيلي ثملا جدا وفي حالة مخزية في حفلة كان جميع من فيها إما عاملا في مجال البصريات أو متزوجا بأحد أو إحدى العمال في مجال البصريات .

لم يكن بيلي يشرب كثيرا في العادة ، وهذا لأن الحرب أفسدت معدته ، ومن المؤكد أن كمية كهذه يمكن أن تصيبه بالتسمم . ولأول وآخر مرة خان بيلي زوجته فالنسيا .

وجد نفسه بشكل ما يتبع امرأة كانت ذاهبة إلى غرفة الغسيل في المنزل ، ثم جلست على المجفف الهوائي الذي كان يعمل ، كانت هي أيضا ثملة جدا ، وساعدت بيلي على حل حزامها ، «ما الذي تريد أن تتحدث بشأنه؟» قالت له .

«كل شيء على ما يرام» وكان صادقا مع نفسه فقد كان

---

(٢) صبي الماء : عضو من طاقم الفريق مهتم بتوفير الماء والعصير والغذاء لفريق كرة القدم في كرة القدم الأمريكية . (المترجم)

يعتقد أن كل شيء على ما يرام . ولم يتمكن حتى من تذكر اسم المرأة .

- كيف أصبحوا ينادونك بيلي بدل وليام؟

أجاب بيلي : بسبب العمل .

وكان هذا صحيحا ، فصهره ، مالك مدرسة البصريات في ايليوم ، والذي ساعد بيلي في تدربه ، كان عبقريا في ميدانه ، وشجع بيلي على أن يجعل الناس ينادونه «بيلي» لأنه اسم يعلق في الذاكرة ، ويجعله جذابا نوعا ما ، بما أنه لم يكن هناك أي بالغين آخرين يُلقبون «بيلي» ، فالاسم يسقط الكلفة ويجعل بيلي صديقا لزبائنه في الحال .

وفي مكان ما في قوس الزمن ، كان هذا المشهد المخزي لبيلي ، وهو اكتشاف الناس وجوده مع تلك المرأة وهكذا وجد نفسه في سيارته يحاول جاهدا أن يجد المقود .

الشيء المهم الآن هو العثور على عجلة القيادة ، مد بيلي يديه بعشوائية آملا أن يجد المقود بطريق الصدفة ، لكن هذا لم ينجح وهكذا حاول أن يجد طريقة كي يمسك بالعجلة حتى لا تفلت منه .

ألصق نفسه بالباب الأيسر بقوة وفتش كل بوصة حوله عن المقود ، ولم يجده .

تحرك لعدة سنتمترات نحو الباب الأيمن وفتش جيدا . . ويا للعجب لم يجد المقود أيضا وهذا ما جعله يغضب بشدة إذ ظن أن أحدهم قد سرقه .

لم يجد بيلي المقود لأنه كان يجلس في المقعد الخلفي للسيارة .

يحس بيلي الآن أن أحدهم يحاول إيقاظه . كان لا يزال يحس بنفسه ثملا وغاضبا لأن مقود السيارة قد سرق منه . كان قد عاد إلى الحرب العالمية الثانية مجددا ، أمام الخطوط الدفاعية للألمان ، أما الشخص الذي يحاول إيقاظه فكان رونالد ويري .

أمسك ويري بتلابيب سترة بيلي ، وأخذ يهزه بعنف ثم رماه في الاتجاه المعاكس للشجرة عله يستيقظ .

استيقظ بيلي وهز رأسه وقال :

- اذهبوا .

- ماذا؟

- اذهبوا أنتم يا رفاق من دوني . أنا بخير هنا .

- أنت ماذا؟

- أنا بخير .

- رباه! كم أكره أن أرى أحدهم مريضا .

وعبر خمس طبقات من الوشاح الرطب لم يتمكن بيلي من رؤية وجه ويري . وحاول أن يتخيله ، فتخيل ضفدعا في حوض أسماك .

ركل ويري بيلي ودفعه قُدُما .

قاده لمسافة ربع ميل تقريبا ، كان الكشافان ينتظران بين

ضفتي نهر متجمد ، وكانا قد سمعا الكلب ، وسمعا أيضا أصوات رجال يتحادثون فيما بينهم وكأنهم صيادون قد وجدوا آثار فريستهم ويعرفون أين هي الآن .

كانت ضفتيّ النهر مرتفعة بما يكفي كي يختبأ فيها الكشافين . ترنح بيلي فوق الضفة بشكل أخرق تلاه ويري بضجة عدته الكثيفة ولباسه المدجج .

قال ويري : «ها هو ذا إليكم يا شباب . هو لا يريد أن يعيش لكنه سيفعل على أي حال . ولما نخرج من كل هذا بعون الله ، سيدين بحياته للفرسان الثلاثة .»

وهناك وسط مجرى النهر المتجمد كان يقف بيلي بيلغريم ، كان يمكن أن يتحول دون ألم إلى هواء . . فقط لو تركه الآخرون ولو لفترة قصيرة ، لم يكن سيسبب لهم أي مشكلة . وكان ليتحول إلى نسيم يداعب أغصان الأشجار .

ومن مكان ما نبح الكلب مجددا . وبفعل الصدى والخوف وصمت الشتاء بدا صوت الكلب وكأنه صوت غونغ[٣] برونزي ضخم .

دس رونالد ويري ، ابن الثامنة عشرة ، نفسه بين الكشافين

---

(٣) الغونغ بالإنكليزية (Gong) : آلة موسيقية تنتشر في شرق وجنوب شرق آسيا وتعتبر من آلات النقر ، وهي عبارة عن آلات معدنية على شكل آنية تمثل كل منها صوتا من أصوات السلم الموسيقي . (المترجم)

وضرب على كتفيهما «إذاً ، ما الذي يمكن للفرسان الثلاثة أن يفعلوه الآن؟»

أما بيلي بيلغريم فقد كان يعيش حلما لذيذا .

كان دافئا ويرتدي جوارب بيضاء جيدة ويتزلج على أرضية حلبة الرقص ، كان هناك الآلاف يهتفون له . لم يكن هذا كذكرى من ذكريات الماضي أو المستقبل عبر الزمن ، فهذا لم يحدث ولن يحدث قط . لقد كان الجنون المرافق للموت التراجيدي لشاب يرتدي حذاء مليئا بالثلج .

أمال أحد الكشافة رأسه وألقى بصقة وفعل الآخر نفس الشيء . كانا قد درسا التأثير الدقيق للبصاق على الثلج وتاريخه . كانا ضئيلي الحجم وخفيفي الحركة ، ويبدوان في الكثير من الأحيان كأشجار بجانب الخطوط الألمانية . وكانا يعيشان يوما بيوم في رعب مستمر ويفكران بأعصابهما لا بعقليهما .

والآن ها هما بين ذراعي ويري . أخبراه أن عليه وعلى بيلي أن يجدا أحدا لينقذهما وأنهما سيذهبان من دونهما ولن ينتظراهما بعد الآن . ودفعا بهما في مجرى النهر المتجمد .

كان بيلي لا يزال يتزلج في حلمه الوهمي ويقوم بحركات قوية . . حركات ومنعطفات أدهشت الجمهور ، الذي يعتقد أنه من المستحيل تأديتها . استمر الهتاف المجنون . . لكن تبدلت نغمة الهتاف وخفتت كأنها تدل بيلي على انتقاله من الحلم إلى السفر عبر الزمن .

توقف بيلي عن التزلج ووجد نفسه على طاولة في مطعم صيني في ايليوم بنيويورك . في إحدى أمسيات خريف ١٩٥٧ أين أُستقبل بحفاوة كبيرة في نادي الليونز . ولأنه أصبح رئيسه كان من المفترض أن يلقى خطابا . كان خائفا بشدة ويفكر في أنه لابد من أن خطأ فظيعا ما سيحدث .

كان سيتكلم أمام رجال يبدو أنهم محنكون وسيكتشفون أنهم قد انتخبوا للتو رجلا أحمقا نكرة ، وسيسمعون صوته المتقطع ، صوت إنسان كان في الحرب . ابتلع ريقه بصعوبة ، ولم يكن يعرف ما الذي سيقوله أو بالأحرى لا يملك ما يقوله . كان الجمهور صامتا ومبتهجا متوجها إليه في انتظار كلمته .

فتح بيلي فمه ، وخرج منه صوت عميق ورنان كان صوته رائع اللهجة ، بدأ بإلقاء النكات وهكذا ضج الحضور بالضحك . ثم تكلم بجدية ، ثم عاد وألقى النكت مجددا . وختم بتواضع وشرح سر كل هذه الروعة في خطابه ، نعم لقد تلقى دروسا في الخطابة . ومن ثم عاد بيلي من جديد في مجرى النهر المتجمد حيث كان يحاول ويري بصعوبة إنقاذ حياته هناك ، وكان ويري غاضبا جدا .

لقد تم التخلي عنه مرة أخرى ، حشر مسدسه في جرابه ، ودس سكينه في غمده ، بشفراته الثلاث والدم يتقاطر على الجوانب الثلاث ، ثم هز بيلي بعنف ، هز هيكله العظمي ، وألقاه بقوة على ضفة النهر المتجمد .

كان ويري يلهث تحت الملابس الثقيلة ووشاحه الصوفي ، وتحدث عن التضحيات التي قام بها لبيلي من أجل حياته وأن بيلي تصرف بأنانية وتمادى في استغلال بطولة الفرسان الثلاثة لصالحه ، صوّر ويري بكلامه هذا بطولات الفرسان الثلاثة كمثال للشجاعة والشهامة والمروءة والمجد والخدمات الكبيرة والجليلة واللانهائية التي قدموها للمسيحية .

شعر ويري أن انحلال أخوية الفرسان الثلاثة كان خطأ بيلي تماما ، ولهذا فعلى بيلي أن يدفع الثمن . فلكمه ويري لكمة قوية على فكه ، ثم ضربه ملقيا إياه من الضفة إلى مجرى النهر المتجمد . دخلت قدما بيلي ويداه في الثلج ، وركله ويري على فخذه مما قلب بيلي إلى جانبه الآخر ، فحاول التكور ليحمي نفسه .

«لم يكن يجدر بك حتى أن تكون في الجيش» قال ويري .

كان بيلي يصدر أصوات تشنج دون ارادته . أصواتا تشبه كثيرا صوت الضحك .

«هل تعتقد أن هذا مضحك؟ ، هاه؟» قال ويري .

سار ويري حول بيلي متجها نحو ظهره . وكانت سترة بيلي وقميصه والقميص التحتي قد تكشفت بفعل دفعة ويري وكانت قد ارتفعت ثيابه إلى كتفيه ، وبهذا كان ظهره مكشوفا ، فبدت فقرات عموده الفقري واضحة على مسافة خطوة من حذاء ويري العسكري .

حرك ويري قدمه اليمنى موجها ركلة نحو ظهر بيلي قاصدا كسر هذا الأنبوب الذي كان يحوي أسلاك حيوية وعصبية مهمة بالنسبة لبيلي . كان ويري سيكسر هذا الأنبوب .

وفجأة ، اكتشف أن لديه جمهورا ، خمسة جنود ألمان وكلب شرطة ، الكلب الذي كان يبحث عنهم عندما كانوا في الأسفل ، في مجرى النهر المتجمد . كان الجنود ، ذوي العيون الزرقاء ، قد امتلأوا بالفضول البشري الحائر والمتسائل : لماذا يريد أمريكي قتل أمريكي آخر وهما بعيدان جدا عن الوطن ، ثم لماذا كانت الضحية تضحك؟؟

الفصل الثالث

كان أولئك الجنود الألمان مع الكلب ضمن عملية عسكرية يشرح اسمها معناها بدقة على نحو مثير للدهشة . كانت عملية بشرية نادرا ما توصف بشكل دقيق وكامل ، أوتذكر في الأخبار أو التاريخ ، وتمنح هذه العملية الكثيرين من المتحمسين للحرب لذة تشابه لذة ممارسة الحب ، وفي مخيلة المحاربين هي ذلك الاطمئنان الإلهي الذي يتنزل على القلوب بعد نشوة النصر ، كانت العملية تسمى "التمشيط" .

كان الكلب الذي ينبح بضراوة في صمت الشتاء أنثى من فصيلة الراعي الألماني . كان ذيلها بين ساقيها وكانت ترتجف ، كانوا قد اقترضوها هذا الصباح من احدى المزارع ، ولم تكن لها تجربة في الحرب من قبل ، ولا علم لها بسبب حدوث كل هذا .

كان اثنان من هذه المجموعة الألمانية فتيَان في أوائل العشرينات ، لكن أسنانهما كانت متساقطة كأنهما متقدمان في العمر . فقد كانا لا يملكان أسنانا وكأنهما سمكا شبوط ، وكانا يلبسان لباسا غير مهندم ومسلحين بتلفيق القطع والألبسة من جنود آخرين ماتوا حديثا . وهكذا مضى الأمر . فقد كانوا

مجرد مزارعين يعبرون الحدود الألمانية .

كان قائدهم كهلا أحمر العينيين ، برتبة عريف ، وكان هزيلا وصلبا كلحم مقدد وقد ملّ الحرب ، فقد جُرح أربع مرات وعولج ثم أعيد إرساله للحرب مرة أخرى . كان جنديا ممتازا جدا على وشك التقاعد ، وعلى وشك أن يستسلم لعدو ما . كانت ساقاه المنحنيتان ترتديان حذاء فروسية ذهبي أخذه من كولونيل مَجَري على الجبهة الروسية .

كان هذا الحذاء هو كل ما يملكه من الدنيا ، وكان يحتفظ به في منزله .

نكتة كان هناك مجند يمعن النظر في حذاء الفروسية ذاك ، فأخذ العريف فردة وأراها إياه عن قرب وقال له لو أمعنت النظر فيها جيدا لرأيت آدم وحواء .

لم يسمع بيلي بيلغريم بهذه النكتة بالطبع . . فقد كان ملقىً على الثلج الأسود هناك ، وكان يحدق في حذاء العريف الذهبي ، فرأى آدم وحواء القابعين في عمق في تلك الطبقة الذهبية . كان آدم وحواء عاريين ، ضعيفين جدا ، بريئين جدا ويحاولان أن يحسنا التصرف بحرص بالغ ، أحبهما بيلي بيلغريم .

وإلى جانب الحذاء الذهبي كان هناك زوج من الأقدام قد لُفت بالخِرَق ، كانت الأشرطة القماشية تلف تلك الخرق التي تنتهي بأحذية خشبية . نظر بيلي إلى الوجه الذي يرتدي تلك

القباقيب الخشبية ، فكان وجه ملاك . كان صبيا ابن خمسة عشر عاما ، وكان جميلا جدا مثل حواء .

ساعد هذا الملاك المحبوب بيلي على النهوض واقفا . لقد ساعده الملاك السماوي الجميل ، ونفض عنه الثلج والغبار ، ثم فتشه الآخرون بحثا عن أسلحة ، لم يكن يملك أيا منها . وكان أخطر شيء وجدوه لديه هو بقية قلم رصاص بطول أربع سنتمترات .

وهنا سمعوا صوت ثلاثة طلقات من بعيد ، كان صوت بنادق ألمانية . فالكشافين اللذين تخليا عن بيلي وويري تم للتو إطلاق النار عليهما ، وقُضيَ عليهما في كمين للألمان .

اكتشف الألمان وجودهما فأطلقوا عليهما النار من الجانب . وصارا الآن ميتين على الثلج ، لا يشعران بأي شيء ، وتحول الثلج من تحتهما إلى لون أحمر كعصير التوت . وكان رونالد ويري هو آخر الفرسان الثلاثة .

فاتحا عينيه من الرعب ، جُرّد ويري من سلاحه . وقدم العريف مسدس ويري للصبي الجميل ، فتعجب الصبي من سكين ويري ، وقال بالألمانية أنه لا شك من أن ويري يود لو طعنه بتلك السكين في وجهه وقطعه إربا ، أو أنه طعنه في بطنه أو في حلقه . . لم يكن الصبي يتحدث الانجليزية ولم يكن بيلي وويري يفهمان الألمانية .

«أنت تملك أسلحة جيدة» قال العريف لويري ، وأعطى

السكين للرجل المسن .

- أليست هذه تحفة؟ همممم!

مزّق العريف معطف ويري وبلوزته ، وطارت الأزرار كفرقعة الفشار . وصل العريف إلى صدر ويري فظن أنه يريد أن يستخرج قلبه وهو ينبض من صدره ، لكن العريف بدل ذلك أخرج الكتاب المقدس المضاد للرصاص .

والكتاب المقدس المضاد للرصاص هو عبارة عن كتاب مقدس صغير الحجم ، صغير كفاية كي يدخل في جيب صديرية الجندي قرب قلبه تماما ، ويملك الكتاب تجليدا معدنيا من الصلب .

وجد العريف الصورة القذرة للمرأة مع الحصان في جيب سروال ويري .

- يا له من حصان محظوظ! ألا تتمنى أن تكون في مكانه؟ هاه؟ اممم . . . وأعطى الصورة للرجل المسن .

«غنيمة حرب ، خذها إنها لك وحدك أيها الفتى المحظوظ .»

ثم أمر العريف ويري بالجلوس على الأرض كي ينزع أحذيته العسكرية ثم أعطاها للفتى الجميل ، وأعطى لويري قباقيب الفتى الخشبية . وهكذا لم يعد الآن لدى بيلي وويري أحذية عسكرية لائقة . ثم مضوا يمشون لأميال وأميال . . كانت قباقيب ويري تصدر صوتا لدى المشي بينما كان بيلي يتأرجح

كالعادة صعودا وهبوطا ، ثم صعودا وهبوطا في مشيته مصطدما مرات بويري .

كان بيلي يود أن يقول «اعذرني» أو «أرجو أن تقبل اعتذاري ، أتوسل إليك»

وصلوا أخيرا إلى كوخ حجري على مفترق الطريق ، وعرف بيلي وويري أنه مكان لتجميع أسرى الحرب .

أخذوا بيلي وويري إلى الداخل حيث كان الجو مليئا بالدخان ودافئا . كانت هناك نار متوهجة في الموقد ، وكان ينبعث منها صوت التقصف فقد كان وقودها الأثاث الخشبي ، وكان هناك حوالي عشرين أمريكيا آخر ، جالسين على الأرض مستندين بظهورهم إلى الحائط ، يحدقون في لهيب النار ويفكرون في أي شيء يمكن التفكير فيه والذي كان : لا شيء .

لم يكونوا يتحدثون ، ولم يكن لأحد منهم أي قصص حرب جيدة كي يحكيها .

وجد بيلي وويري مكانا لنفسيهما وغط بيلي مباشرة في النوم مستندا برأسه إلى كتف قائد لا حول له ، كان القائد قسا ، كان حاخاما . وقد أصابته طلقة نارية في يده .

سافر بيلي الآن عبر الزمن ، فتح عينيه ووجد نفسه يحدق في العيون الزجاجية لبومة خضراء ميكانيكية . كانت عيونها من حجر اليشم .

كانت البومة معلقة رأسا على عقب على عمود من الصلب المقاوم للصدأ . وكانت هذه البومة هي جهاز القياس البصري في مكتب بيلي بايليوم .

والمقياس البصري هو جهاز لقياس أخطاء الانكسارات في العين لوصف العدسات التصحيحية المناسبة للمريض .

غط بيلي في النوم بينما كان يفحص مريضة كانت تجلس على الجهة المقابلة للبومة المعدنية ، وقد سبق أن غط في النوم في أوقات العمل ، وكان الأمر مسليا في البداية .

لكن بيلي بدأ الآن بالقلق حيال هذا الأمر ، وحيال عقله إن شئنا التعميم . حاول أن يتذكر كم كان عمرها ، ولم يستطع . حاول أن يتذكر في أي عام كان هذا . لم يستطع تذكر هذا أيضا .

بدأت المريضة تتكلم «دكتور»

- همم؟ قال بيلي .
- لقد بقيت ساكتا .
- عفوا! أنا آسف!
- كنت تتحدث ثم فجأة سكت .
- ام . . .
- هل ترى أن هناك مشكلة ما؟
- مشكلة؟
- ربما مرض ما في عيني؟ .

- كلا ، كلا . .

قال بيلي ذلك وهو يريد أن يغفو مجددا ، «عيناك بخير ، تحتاجين فقط إلى نظارات للقراءة .» وأخبرها أن تعبر الممر لتختار من بين اطارات عديدة الاطار المناسب للعدسات التي ستستعملها .

وعندما ذهبت المريضة فتح بيلي الستائر ولم يكن من الحكمة فعل ذلك ، كانت الستائر مغطاة بمانع الرؤية لهذا لم يرى شيئا . حرك بيلي مانع الرؤية في الستائر ليبهره ضوء الشمس في عينيه . كانت هناك ألوف السيارات المتوقفة التي تومض فوق الطريق الاسفلتي . كان مكتب بيلي جزءا من مركز تجاري يقع في ضاحية المدينة .

وفي الخارج ، على يمين النافذة كانت هناك سيارة بيلي التي يملكها كاديلاك الدورادو ، قرأ الملصقات على مصّد السيارة الأمامي ، كان هناك ملصق يقول «زوروا أوزابلشازم»(٤) وآخر يقول «تعاونوا مع الشرطة» .

كان هناك ملصق ثالث يقول «أوقفوا ايرل وارن» . وبخصوص ملصقي الشرطة وايرل وارن فقد كانا هديتين من صهره الذي كان عضوا في جمعية جون بيرتش ، أما التاريخ

---

(٤) هي منطقة سياحية ، وهي عبارة عن مضيق مكون من الحجر الرملي بالقرب من مدينة Keeseville ، ولاية نيويورك . يمر عبرها نهر Ausable ، ويصب بعد ذلك في بحيرة شامبلين . (المترجم) .

على رخصة القيادة فقد كان يشير إلى سنة ١٩٦٧ وهكذا يكون بيلي في الرابعة والأربعين من عمره وقتها ، سأل نفسه «أين ذهبت كل هذه السنوات؟» .

حوّل بيلي انتباهه لمكتبه ، كانت هناك نسخة مفتوحة من مجلة البصريات هناك . كانت مفتوحة على افتتاحية المجلة فبدأ بيلي يقرأ حتى أن شفتيه تحركتا تحركا طفيفا .

«ما حدث سنة ١٩٦٨ سيؤثر على الدخل المالي لأخصائي البصريات الأوروبيين على الأقل للخمسين سنة القادمة!»

قرأ بيلي هذا وتابع . «وبناء على هذا التحذير يحاول الأمين العام للاتحاد الوطني للبصريين البلجيكيين «جين تيريارت» الضغط لتشكيل جمعية أخصائيي البصريات الأوروبية . وكان الحل حسبه هو الحصول على وضع مهني ، وإلا فإنه بحلول العام ١٩٧١ سيكون دور بائعي النظرات محدوداً .»

كان بيلي بيلغريم يحاول أن يرّكز .

انطلقت صافرة انذار من مكان ما ، أخافته حد الموت . وتوقع أن تقوم الحرب العالمية الثالثة في أي لحظة .

كانت صافرة الانذار تعلن عن قدوم المساء فحسب ، وكانت تلك الصافرة في قبة أعلى مركز الاطفائية ، في المبنى المجاور لمكتب بيلي .

أغلق بيلي عينيه ، وعندما فتحهما عاد إلى الحرب العالمية

الثانية من جديد ، كان رأسه على كتف الحاخام المجروح . ركل جندي ألماني قدميه قائلا له استيقظ ، كان وقت المغادرة قد حان .

كوّن الجنود الأمريكيون بما فيهم ببلي موكباً من الحمقى على الطريق . كان معهم مصور ألماني يعمل كمراسل حرب يحمل جهاز تصوير من نوع لايكا . التقط صورا لقدمي بيلي وويري . ونُشرت الصور بعد يومين على نطاق واسع لتُظهِر الحقيقة المؤلمة لتجهيزات الجيش الامريكي بالرغم من سمعة الولايات المتحدة المالية كدولة غنية .

أراد المصور شيئا آخر أكثر حياة ، صورة لحدث فعلّي ، وهكذا دفع له أحد الحراس أسيرا من أجله .

ألقوا بيلي على الشجيرات ولما خرج بيلي ، كان وجهه يبدو كوجه انسان أبله بقلب طيب ، هددوه بمسدساتهم وكأنهم قد قبضوا عليه للتو .

كانت ابتسامة بيلي عندما خرج من بين الشجيرات لا تقل غموضا عن ابتسامة الموناليزا . أما بالنسبة له فقد كان يقف وبشكل متزامن على قدميه في ألمانيا سنة ١٩٤٤ ، ويركب سيارته الكاديلاك في سنة ١٩٦٧ ، حيث كانت ألمانيا قد انهارت .

ثم أصبحت سنة ١٩٦٧ أكثر تألقا ووضوحا . وبدون تداخل مع أي زمن آخر . كان بيلي في طريقة للمأدبة التي

أقامها نادي الليونز . وكان الزمن هو شهر أوت الساخن ، لكن سيارة بيلي كانت مكيفة .

توقف أمام إشارة مرور وسط حيّ للسود في ايليوم . وكان الناس الذين يعيشون هناك يكرهون هذا المكان جدا ، وكانوا قد أحرقوا أجزاء كبيرة من هذا المكان قبل شهر مضى .

كان هذا المكان كل شيء بالنسبة لهم ، وها هم قد دمروه . وذكّر هذا الحي بيلي ببعض المدن التي رآها خلال الحرب . كانت الأرصفة قد تضررت بفعل مرور دبابات الحرس الوطني وشاحنات الجنود عليها .

«أخي في الدم» كُتب باللون الوردي على جانب مخزن بقالة محطم .

وعبر نافذة سيارة بيلي كان هناك رجل أسود يريد أن يتحدث عن أمر ما . تغير ضوء إشارة المرور . وكما هو متوقع استمر بيلي بالقيادة ومضى قدما .

مرّ بيلي على مشهد أكثر دمارا . بدا وكأنه مدينة دِرسدن بعد قصفها ، وكانت الحفر في كل مكان تشبه سطح القمر .

كان المنزل الذي ترعرع فيه بيلي في مكان ما هنا ، لكن مكانه خالٍ الآن ، كان ذلك بسبب التجديد الحضري ، لإعادة بناء مركز جديد لحكومة ايليوم وكلية للفنون ومبنى لتعليم اليوغا ، ومباني شاهقة أخرى ستبنى في هذا المكان قريبا .

لكن هذا لم يكن يقلق بتاتا بيلي بيلغريم .

كان المتحدث في لقاء نادي الليونز رائدا في مشاة البحرية ، وقال أن الأمريكيين لا يملكون خيارا إلا أن يستمروا بالقتال في فيتنام حتى يحصلوا على النصر أو حتى يعي الاشتراكيون أنهم لا يستطيعون فرض أفكارهم على الدول الضعيفة .

كان هذا الرائد قد أدى واجبه العسكري هناك على جولتين . وحكى لهم عن أشياء رهيبة وأخرى رائعة رآها هناك . وكان يؤيد مضاعفة القصف على شمال الفيتنام حتى إعادتهم إلى العصر الحجري تماما ، فيما لو استمرت الفيتنام في العناد ولم تتعقل .

لم يتحرك بيلي ليعارض قصف شمال الفيتنام ، ولم يرتجف بالتفكير حول العواقب الوخيمة للقصف . كان ببساطة يتناول الغداء في نادي الليونز ، النادي الذي كان يترأسه من قبل .

كان لدى بيلي لوحة مؤطرة في مكتبه كتب فيها دعاء ، دعاءً يشرح طريقته للاستمرار في المضي قدما حتى لو كان يحس أنه لم يعد متحمسا للحياة . وقد رأى العديد من المرضى هذا الدعاء المعلق على حائط مكتب بيلي وأخبروه أنه قد ساعدهم في المضي قدما أيضا . وكان الدعاء كالتالي :

«ربِّ ارزقني .
السكينة لقبول

الأشياء التي لا أستطيع تغييرها .
وامنحني الشجاعة
كي أغير الأشياء التي أستطيع تغييرها .
وامنحني الحكمة كي أعرف دوما
الفرق بينهما .»

ومن بين الأشياء التي لم يكن بيلي بيلغريم يستطيع تغييرها ، كان الماضي والحاضر والمستقبل .

والآن يتم تقديم بيلي للرائد من مشاة البحرية . وكان الشخص الذي يُعرّف الرائد لبيلي يقول للرائد أن بيلي واحد من قدامى المحاربين ، وأن ابنه رقيب في القبعات الخضر في فيتنام .

قال الرائد لبيلي أن القبعات الخضر يقومون بعمل جيد . وأنه يجب أن يكون فخورا بابنه .

«أنا . . أنا بالتاكيد فخور به» قال بيلي بيلغريم .

ثم ذهب إلى منزله ليأخذ قيلولة ، كان طبيبه قد نصحه بأخذ قيلولة كل يوم . وكان الطبيب يأمل أن يخفف هذا من شكوى بيلي من أنه غالبا ، ودون سبب واضح ، كان يجد نفسه يبكي .

بالطبع لم ير أحد بيلي وهو يبكي ، وكان الطبيب وحده من يعلم بهذا الأمر . وكان شيئا يفعله بيلي بهدوء تام ، دون الكثير من الدموع .

كان بيلي يملك منزلا جميلا من طراز جورجي في ايليوم ، لقد كان بيلي ذا ثراء فاحش . وهو شيء لم يتوقعه بيلي أبدا ، ولم يكن ليتوقع ذلك ولو عاش لمليون سنة . كان لديه خمس موظفين متخصصين في البصريات في المركز التجاري بالإضافة إلى محله ، وكان ربحه السنوي يفوق الستين ألف دولار . كما كان يملك خُمس فندق «الهوليداي اِن» على الطريق ٥٤ وما يقارب النصف من حصة ثلاثة محلات تايستي فريز ، والتي كانت عبارة عن محلات للحليب المجمد بنفس الطعم اللذيذ للآيس كريم لكن دون الصلابة ولا البرودة المريرة للآيس كريم المعتاد .

كان منزل بيلي فارغا . فابنته باربرا ستتزوج عما قريب ، لذلك فقد خرجت هي وزوجته لاختيار أنواع الآنية الكريستالية وفضيات المائدة . كان هذا قد كُتب على ملاحظة وُضعت فوق طاولة المطبخ .

لم يكن يملك أي خدم ، فالناس لم تعد مهتمة بوظائف الخدمات منزلية بعد الآن . ولم يكن هناك كلب أيضا .

كان لديه في السابق كلب اسمه سبوت لكنه مات ،وكان بيلي يحبه كثيرا ، وكذلك كان سبوت يفعل .

صعد بيلي عبر الدرج المغطى بالسجاد إلى غرفة نومه . وكانت غرفة النوم مزينه بورق حائط زهري . كان هناك سرير مزدوج ، وبالقرب منه طاولة فوقها جهاز راديو وساعة . وكان فوق الطاولة أيضا أجهزة ريموت تتحكم بالبطانية الكهربائية

ومفتاح تشغيل لهزاز يعمل بلطف في قاعدة السرير .

أما الاسم التجاري للهزاز فهو 'الأصابع السحرية' . وبخصوص هذا الهزاز فقد كان فكرة الطبيب أيضا .

نزع بيلي نظارته ثلاثية الطبقات ومعطفه وربطة العنق وحذائه وأغلق الستائر المعدنية للنوافذ ثم الستائر القماشية ثم استلقى على الفراش دون غطاء لكن النوم لم يأتي ، وبدل ذلك أتت الدموع . لقد تسربت منه عفويا . فشغّل الأصابع السحرية ، وصار يهتز وهو يبكي .

رنت أجراس الباب الخارجي ، فنهض بيلي من فراشه ونظر للأسفل عبر النافذة إلى عتبة باب المنزل كي يرى ماذا كان هناك ، فرأى شخصا قد وصل . كان هناك رجل مقعد مصابٌ بالشلل التشنجي . وكما كان هذا الرجل متشنجا بمرضه في بُعد المكان ، كان بيلي يماثله لكن في بُعد الزمان .

كانت التشنجات تجعل الرجل يتمايل ويتراقص مغيرا تعابير وجهه مرارا كما لو كان يريد تقليد نجوم الأفلام .

وعبر الشارع ، كان هناك رجل معاق آخر يدق جرس الباب ، بعكازتيه ، بساق واحدة فقط ، وكان محشورا بين عكازتيه كما لوكانتا كتفيه وأذنيه في نفس الوقت .

كان بيلي يعلم ما الذي يريده هؤلاء المعاقون : لقد كانوا يبيعون اشتراكات في مجلات لم تكن تأتي أبدا . وكانت الناس تشترك فقط لأن البائع كان في حالة تثير الشفقة . وكان

بيلي قد سمع عن هذا الموضوع قبل أسبوعين عبر متحدث في نادي الليونز ، وهو رجل يعمل في مكتب للأعمال التجارية . قال الرجل أنه بمجرد أن يرى أحدكم معاقين يبيعون اشتراكات المجلات في الحي فإنه يجب أن يتصل بالشرطة .

نظر بيلي أسفل الشارع حيث رأى سيارة جديدة من نوع بويك ريفيرا ، مركونة على بعد نصف مبنى من بيته وكان هناك رجل ما بداخلها ، فأدرك بيلي بشكل واضح أنه هو الرجل الذي يوظّف هؤلاء المعاقين للقيام بمثل هذه الأمور . بكى بيلي وهو يتأمل المعاقين ورب عملهم ، فيما استمرت أجراس منزله بالقرع بشكل جحيمي .

أغلق بيلي عينيه ثم عاود فتحهما مجددا . كانتا لا تزالان تدمعان ، لكنه عاد إلى لوكسمبورغ حيث كان يمشي مع مجموعة كبيرة من الأسرى ، وكانت ريح الشتاء هذه المرة هي التي جعلت عيناه تدمعان .

ومنذ أن رمي بيلي على الشجيرات لأجل التقاط الصورة الفوتوغرافية ، أصبح يرى شرر القديس إلمو[٥]– وهو نوع من

---

(٥) شرر القديس إلمو هو عبارة عن تفريغ كهربائي يضيء بشكل مستمر تقريباً ، خفيف إلى متوسط الشدة ، يظهر في الجو على شكل نار مشتعلة تبث وهجاً مضيئاً يتم رؤيته أثناء الليل ، وينبعث هذا الوهج الناري المضئ من الأجسام المرتفعة عن سطح الأرض (مانعات الصواعق ، دوارات الرياح ، صواري السفن) أو من الطائرات أثناء طيرانها (أطراف الأجنحة ، المحركات . . .إلخ) . (المترجم)

الإشعاع الكهربائي- حول رؤوس رفاقه والجنود الذين أسروه . كان يراه أيضا على رؤوس الأشجار وعلى أسطح المنازل في لوكسبمبورغ . . وكانت ظاهرة جميلة .

كان بيلي يمشي ويديه أعلى رأسه وكذلك كان بقية الأسرى الأمريكيين . . كان بيلي يتأرجح صعودا وهبوطا ، صعودا وهبوطا . . والآن اصطدم خطأ بويري . . «أرجو صفحك» قال بيلي .

كانت عينا ويري تدمعان أيضا . . لكن ويري كان يبكي بسبب الآلام الرهيبة التي ألّمت بساقه منذ ارتدى القبقاب الخشبي والذي حوّل قدميه إلى حلوى بودينغ دامية .

وفي كل تقاطع طريق ، كانت المجموعة التي فيها بيلي تستقبل المزيد من الأمريكيين وأيديهم على رؤوسهم . ابتسم بيلي لهم جميعا ، وكانوا يسيرون وكأنهم شلال ماء دافق .

وتدفقت هذه الجموع في الأخير إلى الطريق الرئيسي أسفل الوادي . وإلى ذلك الوادي تدفق هذا الميسيسبي من الأمريكيين الأذلاء .

عشرة آلاف أمريكي كانوا يتوجهون نحو الشرق ، أيديهم على رؤوسهم ، يتنهدون ويتأوهون .

انضم بيلي ومجموعته إلى نهر الذل هذا . وأخيرا وعندما ظهرت شمس الظهيرة من خلال السحب ، لم يكن الأمريكيون لوحدهم على ذلك الطريق ، فالخط الغربي منه كان يعج

بالسيارات والشاحنات التي كانت تروح وتجيء تحضيرا للإمدادات الألمانية لجبهة القتال . كانت تلك الامدادات عنيفة ومدمرة وتضم رجالا تبدو عليهم الخشونة ، وكانت أسنانهم أشبه بمفاتيح البيانو .

كانوا يرتدون أحزمة مدججة بذخيرة الأسلحة الرشاشة ، يدخنون السيجار ويسرفون في الشرب . كانت أكفهم الشبقة تقبض على القنابل اليدوية الألمانية التي كانت تشبه هراسة البطاطا ، وكان هناك جندي أسود فوق الدبابة قد شرب لوحده ما يمكن أن يُسكر مجموعة كاملة من الناس ، بصق على الأمريكيين فأصابت البصقة كتف رونالد ويري ، مقدما له بذلك وساما عسكريا من المخاط والسجق الألماني والتبغ والكحول .

شعر بيلي بأن هذا المساء مثير جدا . وكانت الاثارة متمثلة في رؤية «أسنان التنين» ، ماكينة القتل . والجثث حافية القدمين التي كانت شاحبة وزرقاء اللون .

متأرجحا صعودا وهبوطا ، صعودا وهبوطا ، ألقى بيلي نظرة ودودة على بيتٍ ريفي تحيط به مزرعة خزامى وقد دُمر برصاص الرشاشات . وكان أمام بابه المائل عقيد ألماني برفقة عاهرته .

اصطدم بيلي مجددا بكتف ويري ، فأجهش ويري بالبكاء قائلا «امشِ بشكل صحيح ، بشكل صحيح» كانوا يرتقون ربوة غير عالية الآن . ولما وصلوا إلى القمة لم يعد المكان هو

لوكسمبورغ بعد الآن ، فقد وصلوا إلى ألمانيا .

كانت هناك كاميرا كبيرة قد نصبت على قمه الحدود لالتقاط الصور لهذا النصر الكبير ، وكان وراء الكاميرا رجلين بلباس مدني ومعطف من فرو الدب ، كانوا ينحنون على الكاميرا وعندما أتى بيلي وويري . كان قد نفذ منهم شريط التسجيل .

ركز أحدهم على وجه بيلي للحظة ، ثم عاد وراقب الأفق . كان هناك عمود من الدخان . وكانت هناك معركة وكان الناس يموتون هناك .

ثم غابت الشمس ووجد بيلي نفسه يتمايل فوق خط للسكك الحديدية ، كانت هناك صفوف وصفوف من عربات النقل تنتظر هناك ، كانت هذه العربات قد أوصلت الامدادات للجبهة والآن ستأخذ الأسرى إلى داخل ألمانيا .

كانت أشعة المصباح تتراقص بجنون .

وزع الألمان الأسرى حسب الرتبة ، فوضعوا الرقيب مع الرقيب والرائد مع الرائد وهكذا . كانت هناك مجموعة كاملة من الضباط برتبة عقيد تقف بالقرب من بيلي ، وكان أحدهم مصابا بالالتهاب الرئوي المزدوج ويعاني من حمى شديدة ودوار بسبب الخطوط الملتوية الذاهبة والآتية للسكك الحديدية ، فكان يحاول أن يبقى مركّزا ويحافظ على رباطة جأشه بالتحديق في عيني بيلي .

كان العقيد يسعل ويسعل ثم سأل بيلي «هل أنت واحد من رجالي؟» كان الرجل قد خسر فوجا كاملا ، حوالي أربعة آلاف وخمسمئة جندي معظمهم كانوا أطفالا في حقيقة الأمر . لم يرد عليه بيلي . كان السؤال في حد ذاته بلا معنى .

«في أي فوج كنت؟» سأل العقيد وهو يسعل ويسعل ، كانت رئتيه تهتز كأكياس ورقية في كل مرة يستنشق فيها الهواء .

لم يستطع بيلي تذكر الفوج الذي كان فيه .

- هل كنت من فوج ٤-٥٠-١؟

- ماذا؟

مرت لحظة صمت ثم قال العقيد أخيرا : «فوج المشاة» .

«آه»

ثم مرت لحظات طويلة أخرى من الصمت . كان العقيد يُحتضر ، فسقط على الأرض وصرخ قائلا «ها أنا ذا يا شباب! بوب المتوحش!» وهو اللقب الذي كان يحب دوما أن يناديه به جنوده «بوب المتوحش» .

لم يكن أحد ممن يستطيع سماعه تابعين لفوجه باستثناء رونالد ويري الذي سمعه . لكن ويري لم يكن يستطيع أن يفكر بشيء آخر عدا العذاب الأليم الذي أصاب قدميه .

لكن العقيد كان يحلم بأنه يتحدث لأفراد قواته الحبيبة لآخر مرة . وقال لهم أنه لا يوجد أي شيء ليخجلوا منه . كان

هناك العديد من القتلى الألمان على امتداد أرض المعركة ، والذين دعوا الله ألا يسمعوا بالفوج أربعة-خمسين-واحد . وقال أيضا أنه وبعد الحرب سيجمع كل جنود فوجه في منزله بمدينة كودي في وايمينغ وسيقيم حفل شواء لعجول كاملة على شرفهم .

كان يحدق في عيني بيلي حين قال كل ذلك ، جاعلا صدى هذا الهراء يتردد داخل جمجمة بيلي المسكين .

«فليكن الرب معكم يا شباب!» وتردد صدى هذه الجملة . ثم قال «إذا ما كنتم في مدينة كودي في يامويننغ يوما ما . . اسألوا فقط عن بوب المتوحش! سأكون هناك» .

وهناك أيضا كان يعيش صديقي القديم في الحرب «برنارد ف اوهير» .

وُضع بيلي بيلغريم في عربة نقل مع العديد من المجندين الآخرين بلا رتب ، وانفصل عن ويري . كان ويري في عربة نقل أخرى لكن في نفس القطار .

كانت هناك مراوح تهوئة صغيرة تحت سقف عربة النقل ، وكان بيلي يقف بجانب إحداها وبما أن الحشد كان يضغط عليه فقد انحشر في زاوية العربة ليفسح من المكان المتاح . وهكذا استطاع أن يلقي بنظره من خلال المروحة إلى القطار الآخر الذي كان يبعد بضع أمتار عنهم .

كان الألمان يكتبون على كل عربة بالطبشور الأزرق عدد

الأشخاص في كل واحدة منها ، وكذلك رتبهم وجنسياتهم وتاريخ وضعهم في العربة . فيما كان جنود ألمان آخرون يؤمنون أبواب العربات بالأسلاك الشائكة . وكان باستطاعة بيلي سماع أحدهم يكتب على عربته ، لكنه لم يستطع رؤية من كان يفعل هذا ، كان معظم الجنود في عربة بيلي بلا رتب وصغارا في السن ، وبالكاد أنهوا مرحلة الطفولة . لكن وبجانب الزاوية التي حشر فيها بيلي كان هناك متشرد سابق عمره أربعون سنة .

«لقد عانيت جوعا أكثر من هذا من قبل» قال المتشرد لبيلي «وكنت في أماكن أسوأ من هذه ، وهذا المكان ليس سيئا جدا» .

وعبر السكك الحديدية في عربة نقل أخرى سُمع صوت رجل ينادي عبر فتحة التهوئة أن هناك رجلا قد مات ، سمعه أربعة حراس لكنهم لم يكونوا متحمسين لخبر كهذا .

«مرحبا . مرحبا» أومئ أحدهم برأسه حالما .

لم يفتح الحرس العربة التي مات فيها ذلك الرجل ، لكنهم بدل ذلك فتحوا العربة التي تليها . وكان بيلي بيلغريم مفتونا بما رآه هناك . لقد كانت تلك العربة تشبه الجنة ، كان هناك ضوء الشموع ، وأسّرة مع لحافات وبطانيات فوقها ، وكان هناك موقد فوقه وعاء للقهوة ، وطاولة فوقها زجاجة نبيذ ورغيف من الخبز يحوي النقانق ، كان هناك أربعة أطباق من الحساء . وكانت

هناك صور للقلاع والبحيرات والفتيات الجميلات معلقة على جدران العربة .

كانت هذه هي عربة القيادة لحرس السكك الحديدية ، وكانت تلك هي عربة النقل التي ينقل فيها الرجال المهمين عبر حراسة مشددة . دخل الحراس الأربعة العربة وأغلقوا الباب .

بعد مدة قصيرة خرجوا وهم يدخنون السيجار ويتحدثون بالألمانية العامية وهم يشعرون بالرضا . رأى أحدهم وجه بيلي ينظر إليه عبر فتحة التهوئة ، فأشار له الألماني باصبعه في اشارة تحذيرية متسامحة بأن يحسن التصرف .

نادى الأمريكيون على الحرس مجددا يذكرونهم بالرجل الميت في عربتهم ، فخرج الحرس من عربتهم المريحة وفتحوا العربة التي فيها الرجل الميت ، ودخلوا . لم تكن العربة مليئة ، فقد كان هناك فقط ست ضباط برتبة عقيد أحياء وبقربهم واحد ميت .

أخرج الألمان الجثة للخارج ، وكانت جثة بوب المتوحش .

وخلال الليل بدأت بعض القاطرات بالصفير واحدة تلو الأخرى ، ثم تحركت . وكانت آخر عربة من كل قطار معلمة بشريط برتقالي وأسود وهي علامة تنبه الطائرات لعدم قصف هذا القطار لأنه يحمل أسرى الحرب .

كانت الحرب في نهايتها . وكانت هذه القاطرات تسير شرقا في أواخر ديسمبر ، وكانت الحرب ستنتهي في ماي .

كانت السجون الألمانية مليئة عن آخرها ، ولم يكن هناك أي طعام كاف للأسرى كي يأكلوا ولم يعد هناك أي وقود لابقائهم دافئين ، والآن ها هو قد أتى المزيد من الأسرى .

أما القطار الذي كان فيه بيلي ، والذي كان أطولها ، فإنه لم يتحرك لمدة يومين .

«هذا ليس سيئا» قال المتشرد في اليوم الثاني لبيلي «هذا لا شيء على الاطلاق»

ألقى بيلي نظرة عبر فتحة التهوئة .

كانت محطة السكك الحديدية خالية كالصحراء ، ما عدا عربة مستشفى معلمة بالصليب الأحمر كانت هناك بعيدا جدا ، فصفرت قاطرتها ، وصفر قطار بيلي أيضا ، كأنهما يقولان لبعضهما «مرحبا» .

ومع أن قطار بيلي لم يكن يتحرك إلا أن الأقفال المحكمة على العربات لم تنزع . ولم يكن لأحد أن يخرج حتى يصلوا إلى المكان المحدد . وبالنسبة للحراس الذين كانوا يمشون جيئة وذهابا ، فقد كانت كل عربة عبارة عن كائن حي منفصل يأكل ويشرب ويخرج الفضلات عبر فتحات التهوئة .

كانوا يتكلمون أو يصرخون أحيانا عبر منافذ التهوئة ، يستقبلون عبرها الماء وأرغفة الخبز السوداء والنقانق والجبن ، وتُخرِج الغائط والبول واللغة .

كانت الكائنات البشرية هناك تتغوط في الخوذات المعدنية

التي كانت تمرر لمن هم بالقرب من منافذ التهوئة حيث يلقى بها . وكان بيلي هو من يقوم بهذه المهمة في عربته .

كان هؤلاء أيضا يمررون صناديق الطعام حيث يملأها الحراس بالماء ، وحين يأتي الطعام يصبح الكل هادئا وواثقا وجميلا . ويتشارك الجميع .

كانوا يأخذون دورهم في الاستلقاء للنوم ، وكانت أرجل من يقفون مثل أعمدة السياج تغوص عميقا في طبقة كثيفة ملتوية ودافئة وغريبة من الأجساد البشرية التي شكلت فسيفساء من النّوام المستلقين هناك كملاعق الأكل .

والآن ها قد بدأ القطار بالزحف نحو الشرق .

وفي مكان ما هناك كان الكريسماس . وكان بيلي بيلغريم مستلقيا مثل الملعقة بالقرب من المتشرد في ليلة عيد الميلاد يشعر بالنعاس . وسافر عبر الزمن إلى سنة ١٩٦٧ إلى الليلة التي اختطفه فيها الصحن الطائر القادم من ترالفامادور .

الفصل الرابع

لم يتمكن بيلي بيلغريم من النوم في ليلة زفاف ابنته . كان في الرابعة والأربعين من العمر ، وكان حفل الزفاف قد أقيم في المساء داخل خيمة مخططة في خلفية منزل بيلي . وكانت الخطوط باللون الأسود والبرتقالي .

كان بيلي وزوجته فالنسيا مستلقيين مثل الملاعق فوق سريرهما المزدوج الكبير ، يهتزان بفعل جهاز الأصابع السحرية .

لم تكن فالنسيا تحتاج للهدهدة حتى تنام ، فقد كانت تشخر بصوت يشبه صوت المنشار ، ولم تعد هذه المرأة المسكينة تملك لا مبايض ولا رحم ، فقد تم استئصالها في عملية قام بها أحد شركاء بيلي في مشروع الهوليداي اِن .

كان القمر مكتملا تلك الليلة .

نهض بيلي من فراشه على ضوء القمر ، وكان يشعر بأنه خائف وأنه مشّع حتى وهو يرتدي معطف فرو جيد ، مليء بالشحنات الكهربائية الساكنة ، وألقى نظرة على قدميه العارتين اللتان كانتا بلون عاجيّ مزرق .

نزل الدرج إلى الردهة وهو يعلم أنه سيُختطف قريبا من قبل صحن طائر .

كانت الردهة مخططة بالضوء والظلام ، وكان الضوء يأتي عبر أبواب الغرف الفارغة والتي كانت لابني بيلي . والآن لم يعد هناك أبناء ، لقد مضوا وللأبد . كان بيلي يشعر بالخوف وعدم الخوف ، الخوف يدفعه للمضي وانعدام الخوف يجعله يتوقف .

مضى إلى غرفة ابنته ، كانت أدراجها فارغة ، وكذلك الخزانة ، وكانت باقي أشيائها مكومةً وسط الغرفة ، إذ لم تستطع أن تأخذها معها كلها في شهر العسل .

كان لديها هاتف موضوع على طاولة المرآة ، بدأ الهاتف يومض لبيلي بأضواء صغيرة ثم شرع بالرنين . رفع بيلي السماعة ، وكان الصوت الآخر يبدو ثملا حتى كاد بيلي يشم منه رائحة الخردل والزهور . كان رقما خاطئا ، فأعاد بيلي السماعة . كانت هناك زجاجة خمر على الطاولة ، كُتب على شعارها التجاري أنها لا تحتوي أي مغذيات أو ما شابه . نزل بيلي بيلغريم بقدميه الحافيتين ذات اللون العاجي المزرّق إلى المطبخ ، حيث لفت ضوء القمر انتباهه إلى زجاجة شمبانيا مليئة للنصف كانت موضوعة على الطاولة . تلك الزجاجة كانت كل ما تبقى من الحفل الذي أقيم في الخيمة ، ويبدو أن أحدهم قد أعاد قفلها بالسدادة . وكانت تبدو وكأنها تقول «اشربني» .

فتحها بيلي بإبهامه ، لكن لم تخرج منها أية رغوة ، فقد كانت شمبانيا ميتة .

ألقى بيلي نظرة على الساعة فوق الموقد الغازي . كان لا يزال أمامه ساعة من الزمن قبل أن يأتي الصحن الطائر . وعبر إلى غرفة المعيشة مأرجحا الزجاجة بيديه كالجرس ، وفتح التلفاز .

كان يشعر أنه مشتت عبر الزمن بعض الشيء . لقد شاهد هذا الفيلم مؤخرا في نهاياته ثم شاهده في بداياته أيضا ، كان فيلما عن القاذفات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية وعن الرجال الشجعان الذين كانوا يقودونها .

وحسب نهاية الفيلم التي رآها بيلي كانت القصة كالتالي :

أُخذت الطائرات الأمريكية المليئة بالثقوب والرجال الجرحى والجثث ومُضي بها إلى مطار في انجلترا .

كانت هناك طائرات مقاتلة ألمانية تحلق في سماء فرنسا ثم حطت في خطوطها الدفاعية الخلفية وأخذت تمتص بعض الرصاص وشظايا القذائف من الطائرات المحطمة ومن طاقم الطيران . وفعلوا نفس الشيء لقاذفات القنابل الأمريكية المحطمة على الارض ، ثم حلقت الطائرات الألمانية ملتحقة بالسرب .

حلق هذا السرب من الطائرات عائدا إلى مدينة ألمانية كانت تحترق . فتحت قاذفات القنابل الأبواب التحتية في الطائرة ، وبفعل مغناطيسية عجيبة امتصت الطائرات النيران وألسنة اللهب جامعة ذلك كله في حاويات فولاذية أسطوانية ، وصُفّت تلك الحاويات داخل الطائرات . كانت الحاويات تُصّف

بدقة على رفوف . أما الألمان في الأسفل فقد كان لديهم أيضا أجهزتهم الخارقة ، والتي كانت أنابيب من الصلب يستعملونها لامتصاص المزيد من الشظايا من الطائرات وطاقمها . لكن بقي هناك القليل فقط من الجنود الأمريكيين الجرحى والقليل من قاذفات الصواريخ في حالة سيئة في فرنسا رغم أن المقاتلين الألمان قد عادوا مجددا ، جاعلين كل شيء جديدا وكل شخص سليما .

وعندما تعود المقاتلات للقاعدة ، تؤخذ تلك الاسطوانات الفولاذية من على الرفوف وتشحن إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تعمل المصانع ليلا نهارا في تفكيكها وفصل المحتويات الخطيرة عن المعادن . وبشكل مؤثر كانت النساء فقط من يقمن بهذه الأعمال . تشحن المعادن إلى مناطق نائية لخبراء هناك حيث كان عملهم يقتصر على دفنها في الأرض وإخفائها بذكاء بحيث لن تؤذي أي أحد مجددا .

يتحول الطيارون الأمريكيون فجأة إلى أطفال يدرسون في الثانوية بلباسهم المدرسي . ويعود هتلر طفلا صغيرا . استنتج بيلي بيلغريم أن هذا المشهد لم يكن ضمن الفيلم .

كان كل شخص قد تحول إلى طفل صغير ، البشرية كلها دون استثناء .

تآمروا بيولوجيا لانشاء شخصين كاملين اسمهما آدم وحواء ، يفترض بيلي . وقد رأى الفيلم الحربي في بداياته ثم

في نهايته ثم خرج إلى خلفية منزله حيث من المفترض أن وقت لقائه بالصحن الطائر قد حان .

خرج إلى الفناء الخلفي لمنزله ، وكانت قدماه ذات اللون العاجي الأزرق تسحقان العشب الرطب تحتها . توقف وأخذ جرعة من زجاجة الشمبانيا الميتة ، كانت أشبه بمشروب صودا بدل كونها خمرا . لم يكن يرغب في رفع عينيه إلى السماء ، بالرغم من أنه كان يعلم أن هناك صحنا طائرا من كوكب ترالفامادور يحلق فوقه . على كل حال سيراه قريبا عن كثب ، من الداخل والخارج أيضا وسيرى أيضا من أين أتوا .

سمع نواح البوم فوق رأسه ، لكنه لم يكن نواح بومة ، بل كان صوت الصحن الطائر من ترالفامادور مسافرا عبر الزمكان ، رغم أنه بدا لبيلي أنه قد جاء فجأة من اللامكان . ومن مكان ما كان هناك كلب ضخم ينبح .

كان قطر الصحن الطائر مئة قدم ، مع عدة أبواب على حافته . وكان الضوء الذي ينبعث من الأبواب وميضا بنفسجيا . والصوت الوحيد الذي كان يصدره الصحن هو نواح بومة . نزل الصحن يحوم فوق بيلي تماما ، وكان الضوء البنفسجي يشكل حلقة تحيط به ، وسمع حينها صوت فتح باب كان مغلقا بإحكام أسفل الصحن الطائر . ونزل منه درج كان مزينا بخطوط مضيئة جميلة تشبه العجلة الدوارة في مدينة الملاهي .

ومن إحدى أبواب الصحن الطائر أصابت طلقة مسدس بيلي حيث سيطرت على ارادته وتحكمه في نفسه . وهكذا تحتم عليه أن يطأ الدرجة السفلى من السلم الملتوي .

كانت تلك الدرجة من السلم مكهربة ، وهكذا علقت يدا بيلي بشدة ، ثم سُحب إلى غرفة معادلة الضغط وأغلق الباب السفلي للصحن ، وعندها عاد السلم عبر بكرة اتوماتيكية إلى معادلة الضغط ، فأُطلق سراح بيلي وحينها فقط بدأ ذهنه بالعمل مجددا .

كان هناك فتحتين للرؤية داخل غرفة معادلة الضغط ، وكانت تطل منهما عيون صفراء . كان هناك جهاز صوتي على الجدار ، لم يكن الترالفامادوريون يملكون أصواتا ، فقد كانوا يتواصلون عن طريق التخاطر ، لكنهم كانوا قادرين أيضا على التحدث لبيلي عبر جهاز حاسوب مهيء للتحدث بأي صوت أرضي كان .

تحدث الجهاز الصوتي : « مرحبا بك على متن الصحن الطائر مستر بيلغريم . هل من سؤال؟»

لعق بيلي شفتيه مفكرا لوهلة ثم سأل «لماذا أنا؟» .

«هذا سؤال أرضيّ جدا ، مستر بيلغريم لماذا أنت؟ لماذا نحن؟ لماذا كل شيء؟ ببساطة لأن الوقت حان . هل رأيت من قبل حشرات عالقة في الكهرمان؟»

قال بيلي : «نعم» . في الحقيقة كان بيلي يملك ثقالة ورق

في مكتبه وكانت عبارة عن نصف كرة من الكهرمان تتضمن داخلها ثلاث دعسوقات .

«حسنا . نحن هنا مستر بيلغريم ، عالقين في كهرمان هذه اللحظة . هذا هو جواب لماذا»

أرسلوا مخدرا عبر هواء غرفة بيلي كي ينام ، ثم أدرجوه في حجيرة حيث أجلس على كرسي مريح أصفر اللون بذراعين والذي كانوا قد سرقوه من مستودع شركة سيرز اند ريبوك . كان الطابق السفلي للصحن الطائر مزدحما بالبضائع المسروقة التي جُمعت كي توفر كل أسباب الراحة لبيلي في حديقة حيوانات في كوكب ترالفامادور .

سببت السرعة الهائلة للصحن الطائر عند مغادرته الأرض التواء جسد بيلي وشوهت وجهه وانتزعته من الزمن عائدة به إلى الحرب . عندما استعاد وعيه لم يكن في الصحن الطائر ، بل كان في عربة النقل يعبر ألمانيا من جديد .

نهض بعض الناس من على أرضية العربة بينما تمدد آخرون في مكانهم . وكان بيلي يفكر في أن يستلقي هو أيضا ، فقد كان يحتاج للنوم وكان الظلام يلف الخارج والداخل مما يعني أن سرعة القطار هي ميلين في الساعة .

ولم يكن يبدو أبدا أنه سيسير بسرعة أكبر ، فقد كان يمر وقت طويل للوصول إلى المحطة التالية . وما أن يبلغ محطة حتى يمر عام قبل أن يبلغ المحطة الأخرى ، وكان يتوقف أحيانا لكي

يسمح للقطارات الأكثر أهمية بالمرور والسير سريعا ، وكان أحيانا يتوقف بالقرب من السجون تاركا بعض العربات . كان يزحف عبر كامل ألمانيا ويصغر كل مرة أكثر وأكثر .

ترك بيلي نفسه ينزل تدريجيا نحو الأسفل ممسكا بعمود في زاوية العربة . مما جعله يطفو وكأنه عديم الوزن بالنسبة لمن هم على الأرضية .

كان بيلي يعلم أنه من المهم أن يجعل نفسه غير مثير للانتباه وخفيا كشبح ، ولم يتذكر لماذا يجب عليه ذلك لكنه سيتذكره قريبا . قال شخص كان على وشك أن يحضن بيلي بيلغريم «هل هذا أنت؟»

لم ينبس بيلي بكلمة لكنه حضنه بلطف شديد مغلقا عينيه .

– اللعنة ، هذا أنت ، صح؟ نهض وتفحص بيلي بيديه بوقاحة .

– إنه أنت هذا صحيح . اخرج من هنا .

استيقظ بيلي بائسا على وشك أن يبكي .

«اخرج من هنا أنا أريد أن أنام» .

صاح أحدهم : «اسكت» .

«سأسكت حين يخرج بيلغريم من هنا» .

وقف بيلي مستندا إلى زاوية العربة وسأل بهدوء . أين يمكنني أن أنام؟ .

- ليس بجانبي .
- وليس بجانبي يا بن العاهرة . قال آخر .
- أنت تصرخ وتركل .
- حقا؟
- اللعنة عليك ، أنت تفعل هذا ، كما أنك تبكي .
- حقا؟
- ابق بعيدا عني بحق الجحيم يا بيلغريم .

والآن بدأت القصيدة الهجائية تُغنى في كل أرجاء العربة . كان كل فرد في العربة تقريبا يملك قصة فظيعة عما فعله له بيلغريم كي لا يتمكن من النوم . وطلب الجميع من بيلي أن يبقى بعيدا .

وهكذا اضطر بيلي بيلغريم للنوم واقفا ، وإلا فإنه لن ينام أبدا . وتوقف الطعام عن المجيء عبر فتحات التهوئة ، وأصبحت الليالي أكثر برودة . وفي اليوم الثامن قال المتشرد ذو الأربعين سنة لبيلي «هذا ليس سيئا على الإطلاق . يمكنني أن أرتاح في أي مكان .»

- تستطيع ذلك حقا؟

وفي اليوم التاسع مات المتشرد . وكانت آخر كلماته : «أتعتقد أن هذا سيء؟ إنه ليس سيئا على الاطلاق .»

كان هنا شيء حول الموت وحول اليوم التاسع . وقد مات أحدهم في العربة الأخرى أمام عربة بيلي . لقد مات رونالد

ويري نتيجة غرغرينة أصابته بسبب تآكل قدميه .

وفي هذيانه المستمر كان ويري يتحدث مرارا وتكرارا عن الفرسان الثلاثة ولما علم أنه يحتضر أرسل العديد من الرسائل الشفوية التي ود أن تصل لعائلته في بيتسبورغ .

أولا يريد أن يؤخذ بثأره لهذا كرر مرارا وتكرارا اسم الشخص الذي قتله . حفظ كل فرد في العربة اسمه . كان ويري يسأل من قتلني؟

والجميع كان يعرف الاجابة والتي كانت : «بيلي بيلغريم» .

استمع! ، في اليوم العاشر كانت الأسلاك الشائكة وأقفال العربة قد رفعت وفتح الباب . وكان بيلي بيلغريم نائما على هيئة إنسان مصلوب في زاوية العربة .

كانت يديه شاحبة بلون عاجي أزرق ، وكان متشبثا بحافة فتحة التهوئة .

سعل بيلي لما فتح الباب . وتقيأ ما يشبه العصيدة ، وكان هذا بفعل تأثير القانون الثالث للسِير اسحاق نيوتن الذي مفاده أن كل فعل يستوجب رد فعل مُساوٍ ومعاكس له في الاتجاه .

هذا القانون يمكن أن يكون مفيداً في مجال الصواريخ .

كان القطار قد وصل إلى محطة قرب سجن كان قد بني في الأصل كمعسكر إبادة لأسرى الحرب الروس .

دَلَف الحرس إلى عربة بيلي ليلا ، وتفحصوهم بهدوء . لم يكن الحرس قد تعاملوا مع الأمريكيين من قبل ، لكنهم بالطبع

يفهمون على العموم هذا النوع من البضائع . فكان يجب إخراجهم بهدوء في هذا الظلام الدامس .

كان الضوء الوحيد في الخارج هو ضوء مصباح وحيد معلق على عمود إنارة وكان بعيدا جدا . كان الجو هادئا جدا باستثناء الحراس الذين كانوا يهدلون كالحمائم ، بدأ سيل الأمريكيين بالتدفق ، وتراكمت كتل منه في المدخل ، وتساقطت على الأرض .

كان بيلي هو الرجل ما قبل الأخير في الخروج عبر الباب . وكان الأخير هو المتشرد . لا يستطيع المتشرد المتابعة الآن ، فلم يعد حيا ولم يعد موجة من هذا النهر الأمريكي بعد الآن .

لم يرد بيلي أن ينزل من العربة ، واعتقد بعمق أنه لو فعل هذا سيتهشم مثل الزجاج . لهذا فقد ساعده الحرس على النزول . وهم لا يزالون يهدلون كالحمائم ، وضعوه أمام القطار الذي لم يعد إلا مجرد قطار صغير قذر .

كانت هناك قاطرة ، وعربة شحن ، وثلاث عربات نقل . وكانت الأخيرة منها لحرس السكك الحديدية ، جنة الحرس التي تمشي على عجلات . ومجددا كان العشاء قد قدم على الطاولة في تلك العربة .

أسفل عمود الانارة حيث كان المصباح الوحيد معلقا ، كان هناك ما يبدو وكأنه ثلاثة حزم من القش . سار إليها الأمريكيون ليروا ما هي هذه الحزم الثلاث ، والتي لم تكن من

القش بل كانت المعاطف المأخوذة من الأسرى الذين ماتوا .

قال الحرس بحزم أنه على كل أمريكي لا يملك معطفا أن يأخذ واحدا . كانت المعاطف قد تجمدت بفعل الثلج ، لهذا ولكي يأخذ الحرس معطفا كانوا يستعملون حراب بندقياتهم لكسر طبقة الجليد على المعاطف ، ثاقبين الياقات والأكمام والجوانب ، وهكذا أزالوا الجليد عن المعاطف وسلموها بشكل عشوائي . كانت المعاطف متصلبة وملتوية محافظة بذلك على ما كانت مكومة عليه في تلك الحزم .

كان المعطف الذي حصل عليه بيلي مكورا ومتجمدا ، وكان صغيرا جدا ، ولم يكن يبدو كمعطف بل كنوع من قبعة كبيرة سوداء مثلثة الشكل . كانت عليه بعض البقع الصمغية تبدو وكأنها بقع زيت أو بقع مربى فراولة قديم . وكان به أيضا فرو متجمد لحيوان ميت ، وكان الحيوان هو فرو ياقة المعطف .

ألقى بيلي نظرة إلى معاطف زملائه ، وكانت كلها بأزرار نحاسية أو زينة مبهرجة أو أرقام أو أشرطة أو نسور أو أقمار أو نجوم تتدلى منها . كانت معاطف عسكرية فعلا ، وكان بيلي هو الوحيد الذي حصل على معطف لميت مدني .

تشجع بيلي والبقية كي يتسكعوا حول القطار القذر ومعسكر الاعتقال . ولم يكن هناك أي شيء دافيء أو حي ليجذبهم ، كانت هناك حظائر منخفضة محتشدة بالآلاف دون أضواء في الداخل .

ومن مكان ما نبح كلب . وبفعل الخوف وتردد الصدى وسكون الشتاء كان نباح الكلب يبدو وكأنه صوت غونغ برونزي كبير .

تنقل بيلي والبقية من بوابة لأخرى ، ورأى بيلي جنديا روسيا كان يتجول وحده بحقيبة قماشية ، كان وجهه مسطحا ومتضرجا يشبه أرقام الهاتف التي تشع في الليل .

مر بيلي على بعد عدة أمتار منه ، كان هناك أسلاك شائكة بينهما . لم يتكلم الروسي ولم يومئ لكنه كان ينظر مباشرة لروح بيلي مليئا بأمل عذب . كما لو كان بيلي يحمل أخبارا طيبة له ، أخبارا كان الروسي أغبى من أن يعيها ، لكن الأخبار السارة تبقى أخبارا سارة على أية حال .

أغمي على بيلي بينما كان يعبر من بوابة إلى أخرى . إلى أن وصل إلى ما اعتقد أنه مبنى في ترالفامادور . كان المبنى مضاء بشكل مبهر مع أرضية من البلاط الأبيض ، وكان على كوكب الأرض . لقد كان محطةً لابادة أسرى الحرب وكان على كل الأسرى أن يعبروها .

قام بيلي بما طلب منه ، فنزع ملابسه ، وكان هذا أيضا أول شيء طُلب منه القيام به في ترالفامادور .

قاسَ ألماني ما طول ذراع بيلي من الأعلى إلى ابهامه ثم إلى سبابته ، سائلا رفيقه ما هذا الجيش الذي يرسل إلى الجبهة الامامية ضعيف البنية كهذا .

ألقوا نظرة على الأجساد الأمريكية الأخرى مشيرين إلى الأجساد التي كانت أسوأ أو تماثل سوء جسد بيلي .

وكانت إحدى أفضل البُنى الجسدية تعود لأمريكي كهل ، وكان الأكبر سنا ، كان يعمل مدرسا في ثانوية في انديانا بوليس ، اسمه ادجار ديربي . ولم يكن في عربة بيلي ، كان في عربة رونالد ويري وهو من أسند رأس ويري عندما كان يحتضر ، عمر ديربي أربعة وأربعون سنة ، كان كبير السن ، ولديه ابن يخدم في القوات البحرية مقاتلا في ساحة الحرب بالمحيط الهادئ .

استعان ديربي بمعارف سياسين كي يدخل الجيش في هذا العمر . كان يدرّس «المشاكل المعاصرة في الحضارة الغربية» في انديانا بوليس . كما كان يدرب فريق التنس ويولي عناية عظيمة لجسده .

سينجو ابن ديربي في الحرب أما هو فلا ، وسيمتلئ جسده الجميل بثقوب الرصاص في درسدن في اليوم الثامن والستين .

أما أسوأ جسد أمريكي في المجموعة فلم يكن لبيلي ، بل كان لسارق سيارات من شيشرو بايلينوا ، كان اسمه بول لازارو وكان نحيفا ، ولم تكن فقط أسنانه متداعية وعظامه ضعيفة ، بل كانت بشرته مقززة مليئة بكل أنواع وأشكال الندوب المختلفة والعديد من الدمامل المرضيّة .

كان لازارو أيضا في عربة رونالد ويري ، وقد أعطى كلمة

شرف لويري بأنه سيجد طريقة ما يجعل بها بيلي بيلغريم يدفع ثمن موت ويري . والآن كان بول يتجول بعينيه حوله باحثا عن أي الأجساد العارية كانت جسد بيلي .

اتخذت الأجساد الأمريكية العارية مكانها تحت دش الاستحمام على طول جدار قرميدي أبيض ، ولم تكن هناك أي صنابير للتحكم في الماء . كل ما كان في امكانهم فعله هو أن ينتظروا ما يمكن أن يأتي . كانت أعضائهم ذابلة وخصيّهم منكمشة . وبطبيعة الحال لم يكن الموضوع الرئيسي لهذه الأمسية هو التناسل .

فتحت يد ما الصنبور الرئيسي ، فتدفقت المياه الحارقة . كانت المياه شعلة نارية ولم تكن دافئة . فنزلت على بشرة بيلي دون أن تبعث الدفء في عظامه المتجمدة حتى النخاع . وفي نفس الوقت كانت ملابسهم تمرر عبر غاز سام ، قضى على بلايين من القمل والبكتريا والبراغيث .

عاد بيلي عبر الزمن إلى طفولته حيث كان رضعيا ، وقد حممته والدته للتو ولفته في منشفة وحملته إلى غرفة وردية مفعمة بأشعة الشمس ، ونزعت عنه المنشفة ووضعته على منشفة أخرى ووضعت البودرة بين ساقيه ، ومازحته وربتت على بطنه الصغيرة ، فجعله تربيت راحتها على بطنه يُخرج بعض الأصوات ، فقرقر بيلي وناغى .

ثم أصبح بيلي ذلك الكهل أخصائي البصريات مجددا ،

يلعب الغولف في صباح يوم أحد تحت شمس الصيف الحارقة ، لم يعد بيلي يذهب إلى الكنيسة أبدا . كان يلعب مع ثلاثة آخرين كانوا أخصائيي بصريات أيضا . كان بيلي يقترب من الوصول للهدف بمجرد سبعة ضربات وأتى دوره الآن ليقوم بقذف الكرة .

كانت قذفة بثمانية أقدام ، وأداها بيلي بنجاح . انحنى ليأخذ الكرة من الحفرة ، وغابت الشمس وراء سحابة . شعر بيلي بالدوار للحظات ولما استعاد وعيه لم يكن في ساحة الغولف .

كان مشدودا للكرسي الأصفر المريح في غرفة بيضاء على متن الصحن الطائر المتجه إلى ترالفامادور .

قال بيلي بيلغريم : أين أنا؟

«عالقا في قنينة كهرمان أخرى مستر بيلغريم . نحن في المكان الذي نحن فيه ، لكننا فقط على بعد ثلاثمئة مليون ميل بعيدا عن الأرض متجهين نحو إلتواء زمني سنذهب عبره إلى ترالفامادور خلال ساعات بدل مئات السنين»

- كيف أصبحت هنا؟

- يتطلب شرح هذا الأمر لك كائنا أرضيا آخر . الأرضيون هم أفضل المفسرين ، يفسرون سبب كون الأحداث على ما هي عليه ، أو كيف يتم هذا الأمر أو لا يتم . أنا من كوكب ترالفامادور وأنا أرى الأزمان كلها كما ترى أنت سلسلة جبال

الروكي . كل الأزمان هي كل الأزمان . وهي لا تتغير ولا تترك مجالا لأخذ أي احتياطات لئلا تقع أو أي تفسيرات لأسباب وقوعها . ببساطة هي ما هي عليه وستجد نفسك كما قلت لك من قبل كحشرة في قنينة كهرمان .

قال بيلي بيلغريم : «يبدو لي وكأنك لا تعتقد في الإرادة الحرة؟»

- لو لم أقضي وقتا طويلا في دراسة الأرضيين ، لما كان لدي أي فكرة عما تقصده بالإرادة الحرة . لقد زرت إحدى وثلاثين كوكبا مأهولا عبر الكون وقمت بدراسة تقارير حول ألف كوكب آخر ، وكوكب الأرض هو الكوكب الوحيد التي يوجد فيه كلام حول الإرادة الحرة .

الفصل الخامس

قال بيلي بيلغريم أن الكون لا يبدو كنقاط صغيرة لامعة بالنسبة لسكان كوكب ترالفامادور . فتلك الكائنات تعرف أين تقع كل نجمة وأين ستذهب ، لهذا تبدو السموات لديهم كسباغيتي مضيئة مختلطة ، ولا يرى سكان هذا الكوكب البشر ككائنات تمشي على ساقين كما نراهم نحن ، بل كدودة ألفية متعددة الأرجل لديها في أولها ساقي طفل رضيع ، وفي آخرها ساقي عجوز مسن ، يقول بيلي بيلغريم .

طلب بيلي شيئا يقرأه خلال الرحلة إلى ترالفامادور ، كان لدى خاطفيه الترالفامادوريين خمسة ملايين كتاب مخزنة على أشرطة ميكروفيلم ، لكن لا يمكن عرضها في غرفة بيلي . وكانوا يمتلكون كتابا حقيقيا ورقيا واحدا باللغة الانجليزية . والذي كان سيوضع في متحف في كوكب ترالفامادور ، وكان كتاب 'وادي البنات الجميلات' لجالكين سوزان .

كان بيلي قد قرأ الكتاب من قبل ، ويرى أن بعض أجزاء الكتاب جيدة . لكن شخصيات القصة كان تتقلب مرارا وتكرارا . لهذا سأل الترالفامادوريين إذا ما كان هناك أي كتاب آخر يحكي عن أي مواضيع أخرى .

قال جهاز التحدث على الحائط : «لا يوجد سوى الروايات الترالفامادورية . وأخشى أنك لن تفهمها .»

- على أية حال ، دعوني أرى .

أرسلوها إليه على عدة أجزاء ، وكانت أجزاء صغيرة . وكانت دزينة منها توازي حزمة كتب كاملة من «وادي البنات الجميلات» بكل ما فيها من تقلبات .

بطبيعة الحال لم يكن بيلي يستطيع قراءة اللغة الترالفامادورية ، لكن على الأقل استطاع أن يرى كيف تبدو كتبهم . كانت الكتابة على شكل فقرات صغيرة من الرموز مفصولة بنجوم . وعلق بيلي مبديا رأيه أنه يمكن أن تكون تلك الفقرات برقيات .

بالضبط قال الصوت .

- هل هي برقيات؟

- لا توجد برقيات على كوكب ترالفامادور ، لكنك محق ، فكل فقرة من الرموز هي موجز ، رسالة مستعجلة تصف حالة أو موقف ما . نحن الترالفامدورين نقرأها كلها دفعة واحدة . وليس واحدة بعد الأخرى . لا توجد أي علاقة تربط بين كل الرسائل ، إلا إن كان المؤلف قد اختارها بعناية ، وهكذا عندما نقرأ كل تلك الفقرات دفعة واحدة تنتج لنا صورة للحياة جميلة ومفاجئة وعميقة . لا توجد أي بداية ولا نهاية ولا تشويق ، لا أخلاقيات ولا أسباب ومسببات ولا نتائج . ما نحبه في كتبنا هو عمق

بعض اللحظات المذهلة التي نراها كلها في وقت واحد .

لحظات بعد ذلك ، دخل الصحن الطائر في ذلك الالتواء الزمني ، وعاد بيلي إلى طفولته ، حين كان عمره اثني عشر عاما ، فرحا للغاية لأنه يقف مع أبيه وأمه على حافة الوادي الكبير في برايت اينجل[٦] . كانت هذه العائلة البشرية الصغيرة تنظر إلى قاع الوادي ، لمسافة ميل نحو الأسفل .

- «حسنا»

قال والد بيلي ورمى حصاة بقوة «ها هو» .

وقد أتوا إلى هذا المكان المشهور بسيارتهم ، التي تعطلت عدة مرات على الطريق .

«لكن الرحلة إلى هذا المكان تستحق» قالت أم بيلي مكررة كلامها «أوه يا الهي لقد كان الأمر يستحق فعلا» .

شعر بيلي بالكراهية نحو هذا الوادي ، وكان متأكدا من أنه سيسقط فيه . لمسته والدته فوجدت أنه قد بلل سرواله .

كان هناك سياح آخرون ينظرون إلى قاع الوادي أيضا ، وكان هناك دليل سياحي يجيب عن أسئلتهم . وكان هناك رجل فرنسي ، وقد قطع كل تلك المسافة ، يسأل الدليل السياحي بانجليزية سيئة عن عدد الناس الذي انتحروا برمي أنفسهم إلى الوادي .

---

(٦) برايت اينجل : ممر سياحي يقع شمال منتزه الجراند كانيون الوطني ، ويقع في ولاية اريزونا الامريكية بالولايات المتحدة . (المترجم)

- نعم سيدي ، هناك حوالي ثلاثة أشخاص كل عام .

ثم قام بيلي بقفزة صغيرة عبر الزمن متقدما لعشرة أيام فقط . وكان لا يزال في الثانية عشرة من عمره ، يتجول في الغرب الأمريكي رفقة عائلته ، والآن كان في أسفل كهوف كارلسباد . كان بيلي يصلي ضارعا لله أن يخرج من هناك قبل أن يسقط سقف الكهف على رؤوسهم .

شرح الدليل السياحي أن هذه الكهوف اكتشفها راعي بقر كان قد رأى غيمة مهولة من الوطاويط تخرج من فوهة عبر الأرض . ثم قال الدليل أنه سيعمد إلى الأضواء فيطفئها كلها وقد تكون المرة الأولى التي قد يجرب فيها البعض الوجود في ظلمة تامة . وعندما أُطفئت الأنوار ، لم يكن بيلي يدري أحي هو أم ميت . وفجأة طفا شيء ما بخفة شبح في الهواء من جهة يساره ، كان هذا الشيء يحمل أرقاما مشعة عليه . لقد كانت ساعة جيب أبيه ، ذات الأرقام مضيئة .

عاد بيلي من الظلام الدامس إلى النور الكامل ليجد نفسه قد عاد إلى الحرب . عاد إلى معسكر الابادة مجددا ، وكان الحمام قد انتهى . وقد أغلقت اليد الخفية الصنبور .

وعندما استعاد بيلي ملابسه ، لم تكن الملابس أنظف . لكن كل الحيوانات الصغيرة التي كانت تعيش فيها ماتت . وكان معطفه دافئا ولينا عما كان من قبل ، وكان صغيرا جدا في مقاسه عن بيلي ، موشحا بياقة من الفرو طرز عليها حرف

«ج» بالحرير القرمزي ، وكان من الواضح أنها خيطت لمتعهد حفلات بحجم قرد يرافق عازفا متجولا . كان المعطف مليئا بثقوب الرصاص .

ارتدى بيلي المعطف ووضعه فوق معطفه الرقيق . كان معطفه قد تمزق من الخلف من جهة الكتفين ، فتحررت الأكمام . وهكذا أصبح معطفه الرقيق وكأنه سترة صديرية بالنسبة لمعطف الفرو . لكن معطف الفرو كان ضيقا من ناحية الخصر ، وكان ذلك الضيق ناحية الخصر في مستوى إبطي بيلي تماما .

ضج الألمان منفجرين بالضحك حين رأوه ، وكان هذا أطرف شيء يرونه طيلة الحرب العالمية الثانية . فضحكوا وضحكوا .

ثم أخبر الألمان الجميع أن عليهم أن يصطفوا في صفوف خماسية ، برفقة بيلي كمشرف عليهم . فخرجوا من الأبواب إلى الساحة ومن بوابة إلى بوابة أخرى .

كان هناك المزيد من الروس الجائعين بوجوههم التي تشبه لوحات الأرقام المضيئة ، وكان الأمريكيون أكثر حيوية عما قبل بفعل رشّهم بالماء الساخن .

ثم وصلوا إلى مكتب عريفٍ بعين واحدة وذراع واحدة كان يسجل اسم ورقم كل أسير في دفتر أحمر كبير . وكان الجميع من الناحية القانونية حيّا . ولكن قبل أن يكتب العريف

أسمائهم وأرقامهم في هذا الدفتر كانوا في عداد المفقودين أو الموتى .

وبينما كان الأمريكيون ينتظرون دورهم ، اندلعت مشادة في الجزء الخلفي من الطابور . كان هناك أمريكي قد تمتم بشيء لم يرق للحارس الألماني ، وكان الألماني يعرف اللغة الانجليزية . وهكذا أخرج الألماني الجندي الأمريكي من الصف وطرحه أرضا .

اندهش الأمريكي ونهض مرتعشا . بصق دما خرجت معه اثنتين من أسنانه . لم يكن يقصد شيئا بكلامه ومن الواضح أنه لم يكن لديه أدنى فكرة أن الحارس الألماني كان يستمع ويفهم الحديث . سأل الحارس : لماذا أنا بالتحديد؟

أعاده الحارس إلى الصف قائلا : «لماذا أنت؟ لماذا أي أحد؟»

وعندما كُتب اسم بيلي بيلغريم في دفتر مخيم الأسرى أُعطي رقما أيضا . كان الرقم قد ختم في سلسلة على بطاقة حديدية مثل تلك المخصصة لأطواق الكلاب . كان الذي صنع هذه الأختام عاملا بولنديا ، وهو الآن ميت .

قيل لبيلي بأن عليه أن يضع هذه السلسة حول رقبته ، مع سلسلته الأمريكية . كانت البطاقة مثقوبة بشكل مستقيم في منتصفها كثقوب مِملحة المطبخ ، بحيث يمكن لرجل قوي أن يقسمها إلى نصفين . وفي حالة وفاة بيلي فإن نصف البطاقة

سيكون علامة للجثة والنصف الآخر علامة للقبر .

لاحقًا ، ادجار ديربي المسكين ، مدرس الثانوية ، وبعد اعدامه رميا بالرصاص في درسدن ، أعلن طبيب ما وفاته وكسر بطاقته إلى نصفين .

وبعد أن سجلوهم وسلموهم بطاقاتهم ، عَبَر الأمريكيون من بوابة إلى أخرى مجددا . وخلال يومين من الآن ستعلم أُسرهم عبر الصليب الأحمر العالمي أنهم لا يزالون على قيد الحياة .

وخلف بيلي في الصف ، كان هناك الضئيل بول لازارو الذي وعد بالانتقام لرونالد ويري . لم يكن لازارو يفكر بالانتقام ، بل كان يفكر بالألم الفظيع الذي يحس به في بطنه . فقد تقلصت معدته إلى حجم حبة الجوز ، وسبب له الجفاف قرحة أدت إلى التهاب يشبه الغليان في معدته .

وبعد لازارو ، كان هناك المسكين المغبون المسن ادجار ديربي ببطاقتيه الأمريكية والألمانية تحيطان عنقه كالقلادة . لو لم يكن هنا ، يفكر ادجار ، فقد كان يتوقع أن يكون كابتن أو رئيس شركة نظرا لسنه وخبرته . أما الآن فها هو هنا في منتصف الليل على الحدود التشيكوسلوفاكية .

«توقفوا» قال أحد الحراس .

توقف الأمريكيون ، وظلوا واقفين بهدوء في هذا الصقيع . بدا المكتب الذي كانوا متجهين اليه كآلاف المكاتب التي مروا عبرها من قبل لكن مع فرق واحد هذه المرة ، فقد كانت هذه

السقيفة تحتوي مداخن لمواقد قصديرية تتطاير منها ألسنة شرر لامعة .

طرق أحد الحراس الباب .

فُتح الباب من الداخل وظهر ضوء يتراقص وراءه هاربا من السجن بسرعة مئة وست وثمانين ألف ميل في الثانية ، مظهرا مسيرة من خمسين كهل انجليزي يغنون «تحية لكم ، العصابة كلها هنا» من الأوبرا الكوميدية 'قراصنة بينزنس' .

كان هؤلاء الذين ينشدون ، المضرجين بالحمرة والمفعمين بالحيوية ، من بين أوائل الأسرى الناطقين بالانجليزية الذين أسروا في الحرب العالمية الثانية . والآن ها هم يغنون حتى النهاية تقريبا . لم يروا إمرأة أو طفلا لأكثر من أربع سنوات ، ولم يروا أي طيور أيضا ولا حتى عصافير دوري تأتي للمعسكر .

كان هؤلاء الانجليز ضباطا ، وكان كل واحد فيهم قد حاول الهرب مرة على الأقل من هذا السجن . والآن ها هم هنا ، في مركز الموت في خضم بحر من الروس المحتضرين .

يمكنهم أن يحفروا كما يريدون ، وحتما سيجدون أنفسهم على السطح محاطين بالأسلاك الشائكة يستقبلهم بسأم جنود روس يحتضرون لا يجيدون حرفا من الانجليزية ولا يملكون أي طعام أو معلومة مفيدة أو خططا للهرب .

ويمكن أن يخططوا كما يشتهون للاختباء في مركبة أو سرقة واحدة ، لكن لم تأتي أي مركبة إلى معسكر اعتقالهم .

ويمكن أن يتظاهروا بالمرض إن شاءوا لكنهم لم يكونوا ليُنقلوا إلى أي مكان آخر . وكان المستشفى الوحيد هنا عبارة عن مستشفى صغير بست أسرّة في معسكر الاعتقال نفسه .

كان الانجليز نظيفين ومتحمسين ولائقي المظهر وأقوياء ويغنون جيدا . كانوا يغنون معا كل ليلة طيلة سنوات .

كانوا أيضا يرفعون الأثقال ويعتنون ببنيتهم الجسدية لسنوات ، فكانت بطونهم صلبة كألواح الغسيل . كانت عضلات الذراعين والساقين كالمدافع ، وكانوا جميعا خبراء في الشطرنج والداما والبريدج والدومينو والورق والألغاز والأحاجي والبينغ بونغ والبلياردو .

كانوا من بين أثرى الناس في أوروبا من ناحية الطعام . فبسبب خطأ كتابي في بداية الحرب ، حين كان الطعام لا يزال يأتي إلى الأسرى ، كان الصليب الأحمر يشحن إليهم خمسمئة طرد بدل خمسين كل شهر .

خزن الانجليز هذه الكنوز بدهاء حتى الآن . وفي الوقت الذي كانت تقترب فيه الحرب من نهايتها ، كانت هذه الكنوز عبارة عن ثلاثة أطنان من السكر وطن من القهوة ومئة واحدى عشر باوند من الشكولاتة وسبعمائة باوند من التبغ ومئة وسبعة عشرة باوند من الشاي ، وطنين من الدقيق وطن من لحم البقر المعلب ومئة واثني عشر باوند من الزبدة المعلبة ومئة وست عشرة باوند من الجبن المعلب وثمانئمة باوند من الحليب

المجفف وطنين من مربى البرتقال .

وحفظوا كل هذه الطرود في غرفة بلا نوافذ وحموها من الفئران بإحاطتها بالعلب المعدنية التي فرشوها على الأرض . أُعجب الألمان بهم ، إذ رأوهم مثالا عما ينبغي أن يكونه الانجليزي . جعل هؤلاء الانجليز الحرب تبدو أنيقة ورزينة وممتعة ، لهذا فقد أتاح لهم الألمان أربع سقائف لهم وحدهم ، رغم أن سقيفة واحدة كان لتكفيهم كلهم . وبمبادلة القهوة والشكولاطة والتبغ قدم لهم الألمان الطلاء والخشب والمسامير والملابس للإصلاح من أماكنهم وأنفسهم . علِم الانجليز قبل اثني عشر ساعة بقدوم ضيوفهم الأمريكيين ، ولم يحدث أن استقبلوا أي ضيوف من قبل ، فكانوا يعملون بهمة ونشاط كالعفاريت ، يطبخون ، يمسحون الأرض ويخبزون ، كما صنعوا مفارش من القش ومن قماش الحقائب ، وكانوا يعدون الطاولة كما ينبغي ، ويوزعون أماكنهم بشكل منظم وواضح . في هذه الأثناء كانوا ينشدون أغنية الترحيب بضيوفهم في هذه الليلة الشتوية ، وكانت ثيابهم معطرة ومهيئة لهذا الاحتفال . كانت ملابسهم نصفها عسكرية ونصفها ملابس خاصة بالتنس أو الكروكيه ، وكانوا معجبين بما فعلوه من واجب الضيافة وبكل الطعام الذي ينتظر في الداخل ، ولم يلقوا نظرة متفحصة على ضيوفهم عندما كانوا يغنون . فقد كانوا يغنون متصورين أنهم سيستقبلون زملائهم من الضباط القادمين للتو من المعارك .

استقبلوا الأمريكيين من أمام الباب بحفاوة بالغة ، وأمضوا الليلة بالحديث المؤانس وأحاديث الرجال . نادوهم باسم «يانك» صائحين «عرض جيد» و«جيري كان هاربا» ، تسائل بيلي بيلغريم بصوت خافت من يكون جيري هذا .

والآن وهو في الداخل بجانب موقد يتوجه احمرارا . كانت هناك دزينة من أوعية الشاي تغلي . كان بعضها يصفّر وكان هناك مرجل يشبه مرجل الساحرات مليء بحساء ذهبي . كان الحساء خاثرا ، وظهرت على سطحه فقاعات هادئة ورائعة وكان بيلي يحدق بها .

أعدت طاولات المأدبة ، وفي مكان كل صحن كانت هناك صفيحة كانت من قبل علبا للحليب المجفف . وكانت الصفائح الأصغر كؤوسا للماء أما الأطول والأكثر استدارة فكانت أقداحا مليئة بالحليب الساخن .

وفي مكان كل فرد وضعت عدة الحلاقة ومنشفة وعلبة كاملة من شفرات الحلاقة ، عمود شكولاطة وصابون وعشر سيجارات وعلبة كبريت وقلم رصاص وشمعة .

كانت الشموع والصابون هي الأشياء الوحيدة من أصل ألماني ، كانت تتشابه بشكل لامع وغريب .

لم يكن الانجليز يعلمون هذا ، لكن الشموع والصابون كانت قد صنعت من دهون اليهود والغجر والشيوعيون وغيرهم من أعداء الدولة .

كانت قاعة الولائم مضاءة بالشموع ، وكانت هناك أكوام من الخبز الأبيض الطازج على الطاولات ، وكتل من الزبدة ، وعلب المربى ، وأطباق من شرائح لحم البقر المعلب والحساء والبيض المقلي ، وكانت هناك فطيرة من مربى البرتقال قادمة في الطريق . وفي نهاية السقيفة رأى بيلي شرائط وردية وقد علقت ستائر زرقاء ، وساعة كبيرة وعرشين ذهبيين ودلو ومنديل .

كان هذا ديكور المسرحية الترفيهية التي ستقدم في هذه الأمسية ، وهي نسخة موسيقية لقصة ساندريلا ، القصة المحكية الأكثر شهرة .

كان بيلي بيلغريم يحترق لجلوسه قرب الموقد المتوهج ، كان طرف معطفه الصغير يحترق ، لكنه كان هادئا كما لو أن الذي يحترق هو شرير ما على المحرقة . وتساءل إن كان هناك هاتف في مكان ما هنا ، فقد كان يرغب بالإتصال بأمه كي يخبرها أنه حي وبخير .

خيمت الآن لحظات صمت ، حيث كان الانجليز ينظرون بدهشة لهذه المخلوقات كريهة الرائحة المترعة بالرغبة المتراقصة داخلها . رأى أحد الانجليز بيلي يحترق ، فصاح «أنت تحترق يا فتى» وأبعد بيلي عن الموقد وأطفأ الشعلة بيديه . وعندما لم يعلّق بيلي على هذا سأله الانجليزي «هل يمكنك الكلام؟ هل تستطيع أن تسمعني؟»

أومأ بيلي بالايجاب .

تفحصه الانجليزي لامسا بيديه هنا وهناك ، مفعما بالرأفة .

«إلهي ما الذي فعلوه بك يا فتى؟»

سأله مجددا «هل أنت حقا أمريكي؟»

- نعم

- ورتبتك؟

- أنا بلا رتبة .

- ما الذي حل بأحذيتك العسكرية يا فتى؟

- لا أذكر .

- هل هذا المعطف مزحة من نوع ما؟

- سيدي؟

- من أين حصلت على شيء كهذا؟

كـان على بيلي أن يفكر بصـعـوبة حـول على هذا الأمـر وأخيرا قال :

- هم من أعطوني إياه .

- هل أعطاك إياه جيري؟

- من؟

- هل أعطاك إياه الألمان؟

- نعم .

لا يحب بيلي الأسئلة ، فقد كانت تتعبه .

هتف الانجليـزي : اوووه ، يانكي ، يانكي ، يانكي ، لقـد كان المعطف إهانة .

- سيدي؟

- لقد كانت فعلة متعمدة لإذلالك . لا يجب أن تسمح لجيري أن يقوم بمثل هذا الأشياء لك .

وأغمي على بيلي بيلغريم .

جلس بيلي على كرسي قبالة المسرح ، وكان قد أكل إلى حد ما ، وهو الآن يشاهد ساندريلا . كان جزء منه يستمتع بالعرض بطمأنينة . كان بيلي يضحك بصوت عالٍ ، فالمرأة التي كانت تمثل كانت رجلا في الحقيقة ، وكانت الساعة الكبيرة تشير إلى منتصف الليل وكانت ساندريلا تتباكى .

«يا الهي . لقد حانت الساعة . . يا حسرتاه . . تبا لحظي التعيس»

استمتع بيلي بالعرض الكوميدي لدرجة أنه لم يكن يضحك وحسب ، بل ضحك صارخا وهكذا حملوه من سقيفة لأخرى حتى وصل لسقيفة المستشفى الذي كان بست أسرّة ولم يكن فيه أي مريض آخر .

وُضع في سرير وأحكم وثاقه وحقن بجرعة مورفين ، وتطوع أمريكي آخر لمراقبته وكان المتطوع هو إدجار ديربي ، مدرس الثانوية العامة . والذي أعدم رميا بالرصاص لاحقا في درسدن .

جلس ديربي على كرسي بثلاثة أرجل ، وأعطوه كتابا كان بعنوان وسام الشجاعة الأحمر . لستفين كرين . كان ديربي قد

قرأه من قبل والآن ها هو يقرأه مجددا بينما بيلي يدخل فردوس المورفين ، وتحت تأثيره رأى بيلي حلما فيه زرافات تمشي على درب من الحصى في حديقة ، وكانت الزرافات تأكل الكمثرى من أعالي الشجر . وكان بيلي زرافة أيضا .

أكل حبة كمثرى ، كانت حبة قاسية قاومت طحن أسنانه ، فقطعها مخرجا عصيرها .

تقبلت الزرافات بيلي كواحد منها ، كمخلوق غير مؤذي وإن كان متميزا عنهم بغرابة . تقدمت إليه زرافاتان من إتجاهين معاكسين ، وكانتا تملكان عضلات فوق شفتيهما تبدو كنافوس الأجراس ، وقبّلتاه بهذه الشفاه ، كانتا زرافاتان أنثتان بلونهما الليموني الأصفر والأبيض ، وكانت لديهما قرون تشبه مقابض الأبواب . وكانت هذه المقابض مغلفة بالمخمل . لماذا؟ .

خيم الليل على حديقة الزرافات ونام بيلي بيلغريم دون أحلام لفترة ثم سافر عبر الزمن واستيقظ ورأسه تحت بطانية في جناح للمرضى العقليين غير العنيفين بمستشفى قدامى المحاربين بلايك بلاسيد نيويورك . كان ربيع سنة ١٩٤٨ ، ثلاث سنوات بعد انتهاء الحرب .

أزاح بيلي البطانية عن رأسه ، كانت نوافذ الجناح مفتوحة والعصافير تزقزق خارجا «بو تويت» ، سمع إحداها . كانت الشمس مرتفعة وكان هناك تسع وعشرون مريضا آخر معه في الجناح ، لكنهم كانوا الآن جميعا خارجا في الهواء الطلق

يستمتعون باليوم ، وكانت لهم الحرية في أن يدخلوا أو يخرجوا حسب رغبتهم ، أو حتى الذهاب إلى منازلهم إن أرادوا ذلك . لقد أتوا هنا تطوعا بسبب إنزعاجهم من العالم الخارجي .

وكان بيلي قد تقدم للمستشفى في منتصف سنته الأخيرة في معهد إيليوم للبصريات . لم يشك أي أحد في أنه سيصبح مجنونا . فقد كان الجميع يرونه بخير ويبلي حسنا . والآن ها هو في المستشفى والأطباء متفقون على أنه على حافة الجنون . لم يكونوا يعتقدون أن السبب كان تجربته في الحرب ، بل كانوا متأكدين من أن بيلي قد أصيب بهذا نتيجة لإلقاء والده به في حوض السباحة العميق لجمعية الشباب المسيحي ، حين كان ولدا صغيرا ، وأيضا لأنه أخذه إلى حافة الغراند كانيون .

كان الرجل الذي يشغل السرير المجاور لبيلي نقيب فوج مشاة سابق يدعى ايليوت روزواتر . كان روزواتر مريضا ويحاول أن يبقى ثملا طيلة الوقت . وكان هو من عرّف بيلي على عالم الخيال العلمي وبالتحديد كتابات كيلغور تروت . كان يملك مجموعة هائلة من كتب الخيال العلمي بالطبعة الشعبية تحت سريره ، وقد أتى بهم إلى المستشفى في حقيبة تشبه صناديق كنوز القراصنة . وكانت تفوح من هذه الكتب المحببة رغم قِدمها رائحة انتشرت في الجناح كله تشبه رائحة ملابس نوم لم تغير منذ شهر ، أو كرائحة حساء ايرلندي .

أصبح كيلغور تروت هو كاتب بيلي المفضل والذي لا يزال

على قيد الحياة ، وأصبح الخيال العلمي هو النوع الوحيد من الحكايات الذي يمكن أن يقرأه بيلي .

كان روزواتر أكثر ذكاءً من بيلي بمرتين . لكنه كان وبيلي يتعاملان مع نفس المشاكل بنفس الطرق . فكلاهما يرى الحياة بلا معنى . . كان ذلك جزئيا بسبب ما رأوه في الحرب ، فعلى سبيل المثال ، كان روزواتر قد أطلق النار على إطفائي ذي أربعة عشر عاما عن طريق الخطأ لأنه حسبه جنديا ألمانيا .

وكان بيلي قد شاهد المجزرة الأكبر في التاريخ الأوروبي كله والتي كانت قصف مدينة درسدن . لهذا كانا يحاولان أن يعيدا إنشاء نفسيهما وإنشاء كونِهما الخاص ، والخيال العلمي قدم لهما عونا كبيرا .

قال روزواتر مرة شيئا مهما لبيلي حول كتاب لم يكن من نوع الخيال العلمي . قال روزواتر أن كل شيء يمكن معرفته حول الحياة يوجد في رواية «الإخوة كارامازوف» لفيودور دوستوفسكي . وأضاف روزواتر «لكن هذا الكتاب لم يعد كافيا الآن .»

مرة أخرى سمع بيلي روزواتر يقول لأحد الأطباء «أعتقد أن عليكم أيها الأطباء أن تأتوا بكذبات جديدة رائعة ، وإلا وببساطة لن يرغب الناس في الاستمرار في الحياة»

كان على الطاولة بجانب بيلي حبتين من دواء ما ، ومنفضة سجائر فيها ثلاث أعقاب أحدها لا يزال مشتعلا ،

وكوب ماء لم يكن فيه أي ماء ، لكن الهواء كان لا يزال يحاول الخروج من الكأس ، وكانت هناك فقاعات صغيرة على جداره تحاول بلا جدوى التسلق للخروج .

كانت تلك السجائر لأم بيلي والتي طلبتها من غرفة السيدات التي كانت فرعا لقوات (٧) WACS وWAVES وSPARS وWAFS ، والتي ذهبت الآن كلها شذر مذر ، وحسب السجائر توقع بيلي عودتها في أية لحظة .

غطى بيلي رأسه مجددا وكان دوما ما يغطي رأسه عندما تزوره أمه في جناح الأمراض العقلية ، ويسوء حاله أكثر حتى تذهب . لم تكن أمه قبيحة أو ثقيلة الطباع أو بغيضة الشخصية ، بل على العكس ، كانت جميلة وحسنة الهندام ، ذات شعر بني اللون ، امرأة بيضاء تخرجت من الثانوية العامة . وما أغضب بيلي هو كونها مجرد أم له . فقد كانت تشعره

(٧) WACS القوات النسوية للجيش . جزء من جيش الولايات المتحدة الامريكية .

WAVES هيئة المتطوعات للاستعجالات الطبية .

SPARS القوات الاحتياطية النسوية لحرس السواحل . جزء مستقل من الجيش الامريكي .

WAFS الفرع النسوي للقوات الجوية الأمريكية ، تم حله ودمجه في القوات الجوية الأمريكية .

وكل هذه الهيئات لم يعد لها وجود الآن وتم حلها أو دمجها .(المترجم)

بالحرج ونكران الجميل والضعف لأنها عانت الأمرين كي تمنحه الحياة وكي تحافظ عليه . ولم يكن بيلي يحب الحياة على الاطلاق .

عرف بيلي أن روزواتر قد استلقى لأن الزنبرك من تحت سريره قد أصدر صوتا طويلا . لم يكن روزواتر شخصا ضخما ولم يكن يملك جسدا قويا ، بل كان يبدو وكأنه مصنوع من معجون الأسنان .

عادت أم بيلي من حمام السيدات وجلست على الكرسي بين سريري روزواتر وبيلي . حيّا روزواتر أم بيلي بحرارة وسألها كيف حالها اليوم؟ وبدا سعيدا حين أخبرته أنها بخير .

كان يختبر حيويته وتعاطفه مع كل إنسان يلتقيه ، وكان يعتقد أن هذا الأمر يجعل العالم مكانا أكثر جمالا للعيش فيه .

كان ينادي أم بيلي بعزيزتي وكان ينادي كل شخص بكلمة عزيزي/تي .

قالت أم بيلي لروزواتر : أعدك أن آتي يوما ما إلى هنا ويكشف بيلي عن رأسه ، هل تعلم ما سيقوله وقتها؟

- ما الذي سيقوله عزيزتي؟

- سيقول مرحبا أمي ، وسيبتسم ويقول أنا سعيد برؤيتك أمي كيف حالك؟

- يمكن أن يكون ذلك اليوم هو اليوم .

- أنا أصلي لأجل هذا كل ليلة .
- هذا أمر جيد .
- سيتعجب الناس لو علموا ما يمكن أن تقوم به الدعوات .
- لا يوجد أصدق من هذ الكلام عزيزتي .
- هل تأتي أمك لرؤيتك غالبا؟
- أمي ميتة .
- أنا آسفة .
- على الأقل قد حظت بحياة سعيدة .
- هذا ما يمثل عزاءً لكَ على أية حال .
- والد بيلي أيضا متوفي كما تعلم . قالت أم بيلي .
- الابن يحتاج لأبيه .

وهكذا مضى الحديث بين بيلي الأخرس والمرأة التي تصلي والرجل الضخم المجوف المليء بأصداء المحبة .

«لقد كان الأول على قسمه حين حدث هذا» قالت والدة بيلي .

«ربما كان يدرس بجد» قال روزواتر مقدِما إجابات كافية لأم بيلي وأمسك بالكتاب الذي يريد أن يقرأه ، لكنه كان مهذبا جدا كي يقرأ ويتحدث ، كان الكتاب بعنوان «مجانين في البعد الرابع» لكيلغور تروت ، وكان يحكي عن أناس مصابين بمرض عقلي لم يستطيعوا علاجهم لأن أسباب المرض كانت في البعد الرابع ، وأطباء البعد الثالث الأرضيين لم

يكونوا قادرين على رؤية مسببات المرض أو حتى تخيلها أصلا .

شيء واحد قاله تروت أعجب روزواتر جدا ، وهو أن مصاصي الدماء والمستذئبين والعفاريت والملائكة وما إلى ذلك موجودون حقيقة ، لكنهم في البعد الرابع . وكذلك كان وليام بلاك ، شاعر روزواتر المفضل ، حسب تروت ، وكذلك كانت الجنة والنار .

- لقد خطب فتاة غنية جدا .
- هذا جيد ، يمكن للمال أحيانا أن يمنح الراحة .
- بالطبع يستطيع .
- طبعا يستطيع .
- ليس من المستحسن أن تعيش في الفقر .
- ومن الجيد أيضا أن يكون لديك غرفة لك وحدك .
- والدها يملك معهد البصريات الذي يدرس فيه بيلي ، ويملك أيضا ست مكاتب عبر ولايتنا . ويسافر بطائرته الخاصة ويقضي الصيف في بيته على بحيرة جورج .
- تلك بحيرة جميلة .

نام بيلي تحت بطانيته وحين استيقظ مجددا كان موثقا إلى سريره في مستشفى معتقل الأسرى . فتح عينيه ورأى المسن المسكين ادجار ديربي يقرأ كتاب «الوسام الأحمر للشجاعة» على ضوء الشموع .

أغلق بيلي عينا واحدة ورأى في ذاكرته مستقبل العجوز المسكين إدجار ديربي أمام سيل من الرصاص على أطلال درسدن .

كان هناك فقط ثلاثة رجال لإطلاق الرصاص .

سمع بيلي أحدهم يعبيء رشاشه بالرصاص الفارغ مع كل اطلاق للنار . لكن بيلي لم يكن يعتقد أنه وفي حرب بهذا القِدم قد تصدر طلقات فارغة عن مفرزة صغيرة بهذا الحجم .

والآن أتى رئيس تلك المجموعة الانجليزية إلى مستشفى المعتقل كي يطمئن على بيلي . كان نقيب فوج أُعتقل في دانكريك ، وكان هو من أعطى بيلي حقنة المورفين . لم يكن هناك طبيب حقيقي في المعسكر ولهذا أوكلت له هو مهام التطبيب .

- كيف حال المريض؟ ، سأل ديربي .

- ميت جدا .

- لكنه ليس ميتا حقا .

- كلا .

- كم هو جميل ألا تحس بأي شيء وأن تكون مليئا بالامتنان لبقائك على قيد الحياة .

نهض إدجار ديربي وحيّاه بكآبة .

- لا ، لا داعي من فضلك . ابق مكانك . بما أنه يوجد جنديان لكل ضابط وكل الجنود مرضى . أعتقد أنه يمكن أن

نتعامل دون رسميات . ظل ديربي واقفا .

«تبدو أكبر من البقية» قال النقيب .

قال ديربي أن عمره خمس وأربعون سنة ، مما يعني أنه أكبر بعامين من النقيب . قال النقيب أن كل الأمريكيين الآخرين يحلِقون الآن ، وهكذا ظل ديربي وويلي فقط بلحاهم . وأضاف : «كما تعلمان كنا نتخيل الحرب كيف تكون هنا ، فتصورنا أنها تدور بين رجال كبار في السن مثلنا هنا ، متناسين أن الحروب كانت تدار رحاها على الأطفال . ولما أرى هذه الوجوه الحليقة والنظيفة أحس بالصدمة ، «يا الهي يا الهي» قال لنفسه «إنها حرب الأطفال الصليبية .»»

سأل النقيبُ ديربي العجوز كيف تم أسره ، فأخبره قصة فحواها أنه كان في أجمة من الأشجار مع حوالي مائة من الجنود المذعورين . استمرت المعركة لخمسة أيام ، التجأ هؤلاء المائة جندي نحو الأشجار بفعل الدبابات .

وصف ديربي الجو البغيض الذي يخلقه بعض الناس للناس الآخرين حين لا يريد هؤلاء للآخرين أن يدبوا على وجه الأرض مجددا .

كانت القذائف تنفجر في أعالي الأشجار بصوت مدوي ، ممطرة سكاكينا وإبراً وشفرات . كانت تلك الكتل الصغيرة من الرصاص المغلفة بالنحاس تعبر الغابة بسرعة تفوق سرعة صوت إطلاقها . وقد جرح العديد من الجنود أو قتلوا .

ثم توقف القصف ، وظهر الألمان بمكبر صوت يقول للأمريكيين أن يضعوا أسلحتهم ويخرجوا من أجمة الاشجار وأيديهم على رؤوسهم ، وإلا فسيبدأ القصف من جديد ، ولن يتوقف حتى يموت آخرهم .

وهكذا وضع الأمريكيون أسلحتهم وخرجوا من الغابة وأيديهم على رؤوسهم لأنهم أرادوا أن يبقوا على قيد الحياة ، لو كان بالامكان ذلك .

ثم سافر بيلي عبر الزمن عائدا إلى مستشفى قدامى المحاربين ، ممددا هناك . كانت البطانية تغطي رأسه .

«هل ذهبت أمي؟»

«نعم»

أزاح بيلي البطانية ، وكانت هناك خطيبته على كرسي الزوار ، كان اسمها فالنسيا ميربل . كانت فالنسيا ابنة مالك معهد البصريات ، وكانت غنية وضخمة بحجم منزل ، لأنها لم تستطع التوقف عن تناول الطعام . وهي الآن تأكل شكولاتة «ثري ماسكترز» .[٨]

كانت ترتدي نظارة ثلاثية الطبقات بإطار مزين بأحجار كريمة وكان لمعان الأحجار الكريمة في إطار النظارات ينعكس على لمعان الماسة في خاتم الخطوبة على يدها . كانت ماسة

---

(٨) «Three Musketeers» ثري ماسكترز هي ماركة شكولاتة تباع في الولايات المتحدة وكندا (المترجم)

مؤمنة بألف وثمانمئة دولار كان بيلي قد وجدها في ألمانيا وكانت غنيمته من الحرب .

لم يكن بيلي يود الزواج بالقبيحة فالنسيا لأنها كانت أحد أسباب مرضه ، وكان يعلم أنه سيصبح مجنونا حين سمع نفسه يعرض عليها الزواج ويتوسل إليها لقبول الخاتم الماسي وأن تكون شريكة حياته .

قال بيلي «مرحبا» ، فسألته إن كان يود بعض الحلوى ، فأجابها «لا . شكرا لك .»

سألته : كيف حالك الآن ؟ فأجابها : «أفضل بكثير شكرا» .

قالت له أن الجميع في معهد البصريات متأسف لمرضه ، ويأملون تحسنه قريبا ، فقال لها حين ترينهم بلغيهم سلامي .

فوعدته بأن تفعل .

سألته إن كان هناك أي شيء آخر يرغب به لتجلبه له معها .

- لا لدي كل ما أحتاجه هنا .

- ماذا عن الكتب؟ قالت فالنسيا .

- أنا بقرب إحدى أكبر المكتبات الخاصة في العالم .

قال بيلي وهو يعني مجموعة كتب ايليوت روزواتر عن الخيال العلمي .

كان روزواتر في السرير بجانب بيلي يقرأ ، فأدخله بيلي في

المحادثة سائلا إياه عما يقرأه الآن .

أجابه روزواتر أنه يقرأ كتابا بعنوان 'انجيل من الفضاء الخارجي' لكيلغور تروت . وكان يحكي عن زائر من الفضاء الخارجي ، يبدو شكله مثل الترالفامادوريين ، وبالمناسبة فقد قام هذا الزائر بدراسة محكمة عن المسيحية ليتعلم ، إن أمكنه ، السبب الذي يجعل من السهل على المسيحيين أن يكونوا قساة . واستنتج في الأخير أن جزءاً من المشكلة كان في وجود قصص مبتذلة في العهد الجديد ، وافترض أن هدف الانجيل هو تعليم الناس ، ومن بين أشياء أخرى أن يكونوا رحماء في كل شيء .

لكن الانجيل كان يعلّم في الحقيقة التالي :

«قبل أن تقتل أي شخص ، كن فقط متأكدا أنك لا تقتل شخصا واسع النفوذ .»

والمشكلة في القصص المسيحية ، يقول الزائر من الفضاء الخارجي كانت في شخصية المسيح الذي لم يكن يبدو حقيقة أنه ابن لإله قوي بشكل مطلق . وقد فهم القراء هذا ولهذا حين وصلوا إلى نقطة الصلب ، فكروا بشكل منطقي . وقرأ روزواتر بصوت عالي مجددا :

«اوه يا بني ، بالتأكيد لقد أمسكوا بالرجل الخطأ هذه المرة ليحاكموه .»

وهذه الفكرة كانت تحمل فكرة أخرى شقيقة لها وهي : أن

هناك رجال يستحقون المُحاكمة . من هم؟

إنهم أولئك الذين لا نفوذ لهم .

قدّم الزائر من الفضاء الخارجي هدية للأرض ، وهي عبارة عن إنجيل جديد ، وكان المسيح فيه نكرة وكان الكثير من الناس أكثر نفوذا منه بكثير . في هذا الانجيل يستمر المسيح في قول كل تلك الأشياء المحبوبة والغامضة وهكذا أمتع الناس أنفسهم يوما ما بصلبه على صليب غرسوه في الأرض ، لم تكن هناك تداعيات تذكر ، وظن الذين قاموا بالمحاكمة أن القراء سيعتقدون هذا أيضا . ويستمر الانجيل في ايصال فكرة أيّ انسان عادي كانه المسيح .

ثم وقبل أن يتوفى هذا الانسان العادي ، فُتحت أبواب السماء ، وكان هناك رعد وبرق ، كان صوت الاله يصدح قائلا أنه يتبنى هذا المسكين كإبن له مانحا إياه القوى الكاملة والامتيازات التي تليق بإبن خالق الكون الأبدي . قال الرب ومنذ هذه اللحظة سينزل العقاب الشديد والمريع على كل من يعذب انسانا مسكينا لا يملك أي نفوذ أو معارف!

أنهت خطيبة بيلي لوح شكولا «ثري ماسكترز» ، وبدأت الآن بأكل لوح شوكولا «ميلكي واي»[٩] .

قال روزواتر «لننسَ الكتب» ورمى الكتاب الذي كان يقرأه

(٩) «Milky Way» ميلكي واي ماركة شوكولاتة . (المترجم)

تحت سريره « إلى الجحيم مع بقية الكتب» .

«يبدو أنه كتاب مثير» قالت فالنسيا .

«إلهي! ، لو كان كيلجور تروت يستطيع الكتابة جيدا فقط» هتف روزواتر . كان رأيه هو أن كيلجور تروت يستحق ما هو عليه من كونه مغمورا وغير مشهور ، فكتاباته وسرده كانت مريعة لكن أفكاره فقط كانت جيدة .

قال روزواتر : «أعتقد أن تروت لم يسافر خارج أمريكا مطلقا . يا الهي لقد كان يكتب حول الأرضيين كل الوقت ، وكانوا كلهم من الأمريكيين . على الخصوص هذا النكرة بالتحديد كان أمريكيا» .

«أين يعيش؟» سألت فالنسيا .

«لا أحد يعلم» رد روزواتر»أنا الوحيد الذي سمعت به . على ما أعتقد . لا يوجد له كتابان من نفس الناشر . وكل مرة أكتب له عبر ناشره تعود الرسالة إليّ لأن ناشره فشل»

ثم غيّر الموضوع وهنأ فالنسيا على خاتم الخطوبة .

«شكرا لك» قالت فالنسيا عارضة إياه لروزواتر كي يلقي نظرة .

«لقد حصل بيلي على هذه الماسة من الحرب» .

«هذا هو الشيء الذي يعجبك في الحرب» قال روزواتر .

«بالتأكيد أن كل واحد قد أخذ شيئا ما»

أما فيما يتعلق بمكان كيلجور تروت فقد كان يعيش في

الحقيقة في ايليوم ، نفس موطن بيلي . كان يعيش هناك منبوذا دون أصدقاء وربما يكون بيلي قد صادفه مرة أو مرتين .

«بيلي» قالت فالنسيا ميربل .

«همم؟»

«هل تريد التحدث حول الآنية الفضية؟»

«طبعا»

«لقد ضيقت مجال الاختيار لأختار من بين النمط الملكي الدانماركي أو نمط زهور رامبلر ، لا أعتقد أن علينا التعجل في الاختيار . ما أقصده هو أن ما نختاره الآن أيا كان فسيبقى معنا طيلة حياتنا .»

تمعن بيلي في الصور وقال «النمط الملكي الدنماركي»

« نمط مستعمرة ضوء القمر جميل أيضا»

«نعم إنه كذلك» قال بيلي بيلغريم .

سافر بيلي عبر الزمن إلى حديقة حيوانات في ترالفامادور . كان عمره أربعا وأربعين سنة ، وكان يُعرض تحت قبة مكيفة حسب جو الأرض ، مستلقيا على كرسي طويل والذي كان نفس كرسيه في رحلته عبر الفضاء . كان عاريا ، وكان الترالفامادوريون مهتمين بكل جزئيات جسمه . كان هناك الألوف منهم خارجا . كانوا رافعين أيديهم كي تتمكن عيونهم من رؤيته . ظل بيلي في ترالفامادور لمدة ست شهور أرضية . واعتاد على الحشد الذي ينظر إليه خارجا ، ولم يكن الهروب

متاحا أبدا لأن الجو خارج القبة كان ساما . أما الأرض فكانت على بعد ٤٤٦,١٢٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل .

عُرض بيلي في هذه الحديقة كنموذج من سكان الأرض . وكان معظم الأثاث مسروقا من محلات ذي سيرز آند ريبوك[١٠] من مدينة أيوا . وكان هناك أيضا تلفاز ملون وأريكة يمكن أن تتحول إلى سرير ، وكانت هناك طاولات صغيرة بمصابيح ومنفضة سجائر بجانب الأريكة ، كان هناك أثاث كامل لبار منزلي وكرسيي حمام . كانت هناك طاولة بيلياردو صغيرة وسجادة ذات لون ذهبي تغطي كامل الأرضية ما عدا مكان المطبخ والحمام وفتحة التصريف الحديدية وسط الأرضية . كانت هناك مجلات مرتبة على شكل مروحة على طاولة القهوة أمام الأريكة .

وكان هناك فونوغراف أيضا ، وكان يعمل . أما التلفزيون فلم يكن يعمل ، وكانت هناك صورة لراعي بقر ورجل آخر معلقة على شاشة التلفاز .

لم يكن هناك أي جدار في القبة ، ولم يكن هناك أي مكان يمكن لبيلي أن يختبأ فيه ، فتجهيزات الحمام الخضراء كانت مفتوحة على العموم . نهض بيلي من كرسيه الطويل وذهب إلى الحمام ليتبول . وأخذ الحشد في التصرف بغرابة .

---

(١٠) the Sears & Roebuck

غسل بيلي أسنانه في ترالفامادور، ولبس بذلة المطبخ وتوجه إلى المطبخ. كانت قارورات الغاز وثلاجته وآلة غسل الصحون خضراء اللون كلها أيضا. كانت هناك صورة مرسومة على باب الثلاجة وكانت الثلاجة قد أتت بهذا الشكل. كانت الصورة لزوج من عصر مخنثي التسعينيات(١١) على دراجة ثنائية. كان بيلي ينظر إلى الصورة الآن محاولا التفكير في شيء ما عن الزوجين. لم تأتيه أي فكرة، ولم يبدو أن هناك أي شيء يدعو للتفكير في هذين الزوجين.

أكل بيلي وجبة فطور جيدة من المعلبات، وغسل كوبه وطبقه وسكينه وشوكته وملعقته وقِدره، ووضعها جانبا، ثم قام بالتدريبات التي كان قد تعلمها في الجيش، القفز المتوسط، وثني الركب، والتسخينات وتمارين الضغط. ولم يكن لدى معظم الترالفامادوريين وسيلة لمعرفة أن جسم بيل ووجهه ليسا جميلين، وكانوا يعتقدون أنه عيّنة رائعة. وكان لهذا تأثير لطيف على بيلي الذي بدأ بالإستمتاع بجسده للمرة الأولى.

استحم بيلي بعد تبرزه وقص أظافر قدميه، حلق ذقنه ورش مضاد التعرق أسفل ابطيه بينما كان دليل حديقة الحيوانات خارج القبة يشرح لماذا يفعل بيلي مثل هذه الأشياء.

---

(١١) **مخنثي التسعينيات**: تعبير اصطلاحي يدل على الحنين إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان عصر رخاء وترفيه وسعادة بالنسبة للطبقة المتوسطة. **(المترجم)**

كـان الدليل يلقي إرشـاداته بشكل تخـاطري . يقف هناك ببساطة مرسلا موجات أفكاره للحشد . خارج القبة كان أمام الدليل جهاز مع لوحة مفاتيح تمكنه من طرح الأسئلة التي يريدها الحشد ليجيب عنها بيلي .

وأول سؤال طُرح عبر السماعة من جهاز التلفزيون يقول :

«هل أنت سعيد هنا؟»

«أنا سعيد بقدر سعادتي عندما كنت على الأرض» أجاب بيلي بيلغريم ، وكان جوابا حقيقيا .

كان هناك ست أنواع من الكائنات الترالفامادورية ، وكان كل واحد فيهم ضروريا لانتاج فرد ترالفامادوري جديد . لكنهم كانوا يبدون متطابقين في الشكل بالنسبة لبيلي لأن كل اختلافتهم الجنسية كانت في البعد الرابع .

كانت إحدى المشكلات الأخلاقية التي فكر فيها بيلي بالنسبة لكائنات ترالفامادور هي بالمناسبة ما الذي سيفعلونه بالنسبة للجنس على الأرض . لقد قالوا أن طاقم الصحن الطائر قد حدد ما لا يقل عن سبعة أجناس على الأرض . كل جنس منها مهم وضروري لاتمام عملية التناسل .

مجددا : لم يستطع بيلي تخيل ما الذي يمكن أن يفعله هؤلاء الخمسة من سبعة أجناس بخصوص إنجاب طفل . بما أن النشاط الجنسي كله يقع في البعد الرابع .

حاول كائنات ترالفامادور أن يعطوا بيلي بعض التلميحات

عن كيفية ممارسة الحب في البعد اللامرئي .

أخبروه أنه لا يمكن أن يكون هناك أطفال أرضيين دون وجود ذكور مثليي الجنس .

ويمكن أن يوجد هناك أطفال أرضيون بدون وجود اناث مثليات الجنس .

ولا يمكن أن يوجد أطفال بدون نساء تفوق أعمارهم الخمس والستين .

ويمكن أن يوجد أطفال بدون وجود رجال فوق الخامسة والستين .

ولا يمكن أن يوجد أطفال بدون وجود أطفال آخرين عاشوا لمدة ساعة أو أقل بعد ميلادهم . وهكذا .

كان هذا عبارة عن هراء بالنسبة لبيلي .

ولكن كان هناك الكثير من الكلام الذي قاله بيلي للكائنات الترالفامادورية وكان يمثل هراء بالنسبة لها أيضا . لم يستطيعوا تصور كيف يبدو الزمن بالنسبة له ، ويئس بيلي من محاولة شرح ذلك لهم ، وقام الدليل خارج القبة ما بوسعه للشرح والتبسيط .

دعا الدليل الحشد إلى تخيل أنهم ينظرون عبر صحراء إلى سلسلة جبال في يوم مشرق وصحو ، يمكن أن ينظروا إلى تلة أو عصفور أو سحابة أو إلى حصى مباشرة أمامهم أو أسفل منهم على وادٍ بجانبهم ، وبجانبهم هناك هذا الكائن الأرضي البائس

المحتجز في كرة فولاذية لا يمكنه الخروج منها ، وكانت لديه فتحة عين واحدة يمكنه الرؤية من خلالها . وقد لُحمت أنابيب بطول ست أقدام تحت فتحة العين هذه .

وكانت هذه البداية وحسب للتشبيهات المأساوية التي حظي بها بيلي .

كان قد أحكم وثاقه إلى شبكة حديدية فوق ناقلة مسطحة على قضبان حديدية ولم يكن هناك أي مجال كي يدير رأسه أو يلامس الأنبوب . وكانت نهاية الأنبوب موصولة بقدم ثنائية مثبتة أيضا على الناقلة المسطحة . كل ما كان بإمكان بيلي رؤيته هو النقطة على نهاية الأنبوب . لم يكن يعلم أنه على ناقلة مسطحة ولم يكن يعلم بوجود أي شيء مريب حول وضعه .

كانت الناقلة على القضبان تسير ببطء أحيانا وأحيانا بسرعة كبيرة وغالبا ما تتوقف فوق تلة أو أسفل تلة . على المنحنيات أو على الطرق المستقيمة ومهما كان ما شاهده بيلي عبر الأنبوب فإنه لم يسعه إلا أن يقول هذه هي الحياة .

تصور بيلي أن يكون الترالفامادوريين قلقين ومنزعجين حول كل الحروب وجرائم القتل التي تقع على الأرض ، وكان يتوقع أن ينتابهم الخوف من التركيبة البشرية الوحشية وترسانة الأسلحة التي أنشؤوها ، والتي ربما يمكن أن تدمر جزئيا ، أو حتى كليا ، هذا الكون البريء . كانت قصص الخيال العلمي

هي من أوحى له بهذا التصور .

لكن موضوع الحرب لم يُطرح حتى طرحه بيلي بنفسه . سأله كائن من الحشد في حديقة الحيوانات عبر الدليل ما الشيء الأكثر قيمة الذي تعلمه على ترالفامادور ، فأجاب بيلي أنه كيف من الممكن أن يتعايش جميع سكان كوكب ما في سلام وأنا أعيش حسب ما أعلم في كوكب ومنذ بدء الزمان منهمك في مذبحة لا معنى لها ، لقد رأيت بأم عيني فتيات المدارس يُلقَين وهن على قيد الحياة في الماء المغلي في برج للماء من قِبل رجال من وطني كانوا يعتقدون بفخر أنهم يحاربون الشر الخالص .

وكان هذا حقيقياً ، فقد رأي بيلي هذا في درسدن .

وتلمست طريقي في السجن في الليل على ضوء شموع صنعت من دهون بشر ذُبحوا من قبل إخوة وآباء هؤلاء البنات اللائي أُلقين في الماء المغلي . الأرضيون هم إرهابيو الكون! إن لم تكن الكواكب الأخرى في خطر الآن من الأرض ، فإنها ستكون كذلك عما قريب . لهذا أخبروني بالسر الذي يمكنني أن أعود به إلى الأرض ، وأنقذ البشرية : كيف يمكن أن يعيش سكان كوكب ما في سلام .؟

أحس بيلي أنه قد صعّد في كلامه وشعر بالحيرة حين رأى الكائنات الترالفامادورية يغلقون أيديهم التي تحتوي أعينهم . وكان قد عرف من تجربة سابقة ما الذي يعنيه هذا . لقد كان

يعني أنه أحمق .

«لن تُما . . تمانعوا باخباري .» قال بيلي للدليل ، بنبرة أقل حدة ، «ما هو الشيء الغبي حول هذا الأمر؟»

– نحن نعلم كيف سينتهي الكون ، قال الدليل ، «ولا علاقة للأرض بالموضوع ، عدا أنها ستتلاشى هي أيضا .»

– كيـ . . كيف سينتهي الكون؟ قال بيلي .

– نحن سندمره . عندما نجرب نوعا جديدا من وقود الصحون الطائرة ، سيضغط أحد الطيارين من ترالفامادور على زر الانطلاق ويختفي الكون كله .

– وبما أنكم تعلمون هذا ، ألا توجد طريقة ما كي تتجنبوه؟ ألا تستطيعون منع الطيار من أن يضغط على الزر؟

– هو يضغطه في تلك اللحظة ، وسيفعل للأبد ، ودائما ما ندعه ، وسنتركه يفعل ذلك للأبد . تلك اللحظة مبنية على ذلك النحو .

قال بيلي بتردد : «إذا ، أنا أيضا أظن أن فكرة تجنب وقوع الحرب في الأرض فكرة غبية»

– بالطبع .

– لكنكم تملكون كوكبا يعمه السلام هنا .

– اليوم نحن فعلا في سلام . لكن في أيام أخرى ستحدث حروب فظيعة لم تشهدها أو تقرأ عن مثلها أبدا . ولا يوجد أي شيء يمكننا فعله حيالها . ببساطة نحن لا ننظر إلى

ذلك الزمن بل نلقي نظرة أبدية على اللحظات السعيدة ، ونتجاهل تلك اللحظات التعيسة ، ونركز على لحظاتٍ مثل اليوم في هذه الحديقة . أليست هذه لحظة جميلة؟

- بلى .

- هناك شيء واحد يمكن أن يتعلمه الأرضيون لو حاولوا بشكل كافٍ . تجاهلوا الأيام السيئة وركزوا على الأيام الحسنة .

«امم» قال بيلي بيلغريم .

وبعد مدة قصيرة من ذهابه للنوم تلك الليلة سافر بيلي عبر الزمن إلى لحظة كانت جميلة فعلا في حياته ، وهي ليلة زفافه مع فالنسيا ميربل . وكان قد خرج بصحة جيدة من مستشفى المحاربين القدامى الذي أمضى فيه ستة أشهر ، وقد تخرج من معهد ايليوم الثالث على دفعته من بين سبعة وأربعين طالبا .

والآن هو في الفراش مع فالنسيا في شقة جميلة جدا كانت عبارة عن استديو يطل على ميناء «كاب آن» بولاية ماساشوستس ، وعبر المياه كانت تبدو من بعيد أضواء مدينة غلوستر . كان بيلي قد بدأ في ممارسة الحب مع فالنسيا . واحدى نتائج هذه الممارسة ستكون ولادة روبرت بيلغريم الذي سيواجه مشاكل في دراسته بالثانوية العامة لكن سيصلُح حاله فيما بعد وينضم للقبعات الخضر في الجيش .

لم تكن فالنسيا مسافرة عبر الزمن لكنها كانت تملك مخيلة جامحة وعندما كان بيلي يمارس الحب معها تخيلت نفسها امراة

مشهورة من التاريخ . تخيلت نفسها الملكة اليزابيث الأولى ملكة انجلترا ، أما بيلي فيُفترض أن يكون كريستوفر كولومبس .

أصدر بيلي صوتا يشبه صوت صرير مفصلة باب صغيرة صدئة لحظة إفراغه حويناته المنوية في فالنسيا ، مساهما بجزءه من جندي القبعات الخضر . وطبعا وحسب الترالفامادوريين فإن جندي القبعات الخضر يملك سبعة آباء في المجمل .

انزلق من على جسد زوجته الضخم ، والذي لم يبدو عليه أي أثر للتغير حين غادره . كان مستلقيا على ظهره على السرير ، واضعا ذراعيه خلف رأسه . كان قد أصبح غنيا الآن لأنه تزوج فتاة لا يتزوجها أي إنسان سليم العقل .

منحه صهره كهدية سيارةً جديدة من نوع بويك رودماستر ، ومنزلا مجهزا بكل شيء إلكتروني ، وجعله مسير معظم مكاتبه وحتى مكتبه في ايليوم حيث توقع بيلي أن يجني منه على الأقل ثلاثين ألف دولار سنويا كربح . كان هذا جيدا ، لأن أباه لم يكن سوى حلاق .

أما والدته فعلقت : آل بيلغريم قادمون إلى العالم .

حجزوا شهر عسلهم في فترة الصيف الهندي[١٢] الغامضة

(١٢) هو نوبة من الطقس المشمس تحدث في شهر تشرين الأول وأوائل شهر تشرين الثاني في الولايات المتحدة وبريطانيا ، كما يستخدم هذا المصطلح للدلالة على النوبة المبكرة من الطقس المشمس التي تحدث في شهر أيلول كنتيجة لامتداد ضغط آصور المرتفع شمالاً . (المترجم)

والحلوة في نيوإنجلند . كانت غرفة الزوجين بجدار رومانسي وحيد حيث كل أبوابها فرنسية وتنفتح على بلكونة تطل على الميناء البحري .

مرّ زورق صيد أخضر وبرتقالي اللون . بدا أسودا في الليل ، يدمدم بصوت محركاته . مر على شرفتهما ، على بعد ثلاثين قدما من سرير الزوجية . كان مجرد زورق مارا من هنا متجها نحو البحر بأضواءه المشتعلة . كانت حمولته الفارغة تزيد من صدى صوت محركاته وتقويها . ردد الميناء صوت المحركات ورددت الشرفة الصدى لمدة طويلة حتى بعد ذهاب الزورق .

- شكرا لك . قالت فالنسيا أخيرا . كانت الشرفة تردد صدى أزيز بعوضة .

- العفو .

- لقد كان جميلا .

- أنا ممتن لهذا .

ثم بدأت بالبكاء .

- ما الأمر؟

- أنا سعيدة جدا .

- هذا جيد .

- لم أكن أعتقد أن يرغب أي شخص بالزواج مني .

- امم . . . قال بيلي بيلغريم .

- سأخفض من وزني من أجلك .

- ماذا؟

- سأتبع حمية وسأصبح جميلة من أجلك .

- أنا أحبك كما أنتي .

- هل تحبني حقا؟

- فعلا! قال بيلي بيلغريم . كان بيلي قد شاهد بالفعل ما يكفي من زواجهما حتى الآن . شكرا للسفر عبر الزمن ، لأنه يعلم أنه سيتحملها مهما كان على طول هذا الطريق .

عَبَر الآن يخت اسمه شهرزاد بالقرب من شرفة بيلي وفالنسيا ، كانت محركاته تعزف نغمة منخفضة من آلة أورغن ، وكانت أضوائه جميعا مشتعلة . كان فيها زوجان جميلان شاب وشابة يرتديان ملابس السهرة . وكانوا في عز البهجة ، يحبان بعضهما ويحبان أحلامهما وواقعهما .

كانا أيضا يقضيان شهر عسلهما ، كان الشاب هو لانس رامفورد من نيوربوت ، رود ايرلاند أما زوجته فهي سينيثيا لاندري ، التي كانت صديقة طفولة جون اف كينيدي في هاينس بورت بولاية ماساشوستس .

كانت هناك مصادفة ما في هذا الأمر ، فبيلي بيلغريم سيشارك لاحقا غرفة مستشفى مع عم رامفورد ، البروفيسور بيرترام كوبلاند رامفورد من جامعة هارفارد . المؤرخ الرسمي لقوات الجو في الولايات المتحدة الأمريكية .

وعندما مضى الزوج الجميل ، سألت فالنسيا زوجها ذا

المظهر المضحك عن الحرب . كان هذا السؤال من بين الأشياء البسيطة والساذجة التي يمكن لأنثى أرضية أن تسأل عنها ، محاولةً ربط ممارسة الجنس مع بريق الحرب .

- هل تراودك الأفكار عن الحرب غالباً ؟

سألته وهي تضع يدها على فخذه .

- أحيانا . قال بيلي بيلغريم .

- أنظر إليك أحيانا ، قالت فانسيا ، وأشعر بإحساس مضحك أنك تخفي الكثير من الأسرار .

- لست كذلك ، قال بيلي . لكنها كانت كذبة بالطبع ، لأنه لم يحكي أبدا لأيّ كان عن رحلاته التي قام بها عبر الزمن ، وعن كوكب ترالفامادور وما إلى ذلك .

- أعتقد أن لديك العديد من الأسرار حول الحرب ، أو لنقل أنها ليست أسرارا لكنها أمور لا تريد الحديث عنها .

- لا .

- أنا فخورة لأنك كنت جنديا . هل تعلم هذا؟

- جميل .

- هل كان الأمر فظيعا ؟

«أحيانا» وهنا خطرت لبيلي فكرة مجنونة ، وقد أدهشته حقيقة هذه الفكرة ، لأن من شأنها أن تمنح لبيلي شاهدة قبر مميزة ولي أيضا ككاتب! .

- هل تود الحديث عن الحرب الآن لو أردت؟ قالت فالنسيا

بينما كان رحمها الصغير يجمع موادا لإنشاء جندي القبعات الخضر .

- إنها تبدو كالحلم ، قال بيلي ، وأحلام الآخرين ليست مثيرة عادة .

- سمعتك مرة تحكي لأبي عن إعدام جندي رميا بالرصاص . كانت تشير إلى إعدام المسكين العجوز ادجار ديربي .

- ام . . .

- هل دفنته؟

- نعم . . .

- هل رآك مع مجرفتك قبل أن يطلقوا عليه النار؟

- نعم

- هل قال شيئا ما؟

كل شيء كان جميلاً . لا شيء مؤلم .

- لا .

- هل كان خائفا؟

لقد خدروه قبل أن يقوموا بذلك . كل شيء حدث بلمح البصر .

- هل قاموا بتعليق هدف للرمي عليه؟

- قطعة من الورق ، قال بيلي ثم نهض من السرير قائلا : «استسمحك» وذهب إلى الحمام المظلم كي يتبول . كان

يتلمس الضوء ويتلمس الجدار عندما أحس أنه يسافر عبر الزمن عائدا إلى سنة ١٩٤٤ إلى مستشفى المعتقل مجددا .

كانت الشمعة في سجن المعتقل قد ذهبت ، وكان العجوز المسكين ادجار ديربي قد غط في النوم بالقرب من بيلي . كان بيلي قد خرج من فراشه متلمسا على طول الحائط محاولا أن يجد طريقه لأنه كان يشعر بالحاجة الملّحة للتبول . وفجأة وجد بابا ، وكان مفتوحا ، ما جعله يتمكن من التماس طريقه ، كان بيلي مشوشا جراء المورفين والسفر عبر الزمن . وجد نفسه أمام سياج من الأسلاك الشائكة التي جرحته في العديد من الأماكن . حاول بيلي العودة لكن الأسلاك لم تتركه وهكذا قام بالتراقص بشكل سخيف أمام السياج ملقيا خطواته بشكل عشوائي ثم عاد إلى البداية مجددا .

كان هناك جندي روسي قد خرج هو أيضا في الليل كي يتبول ، وشاهد في الجهة المقابلة له للسياج رقص بيلي . فذهب الروسي إلى تلك الفزاعة الغريبة الراقصة محاولا أن يسألها بلطف من أي بلاد هي ، لكن الفزاعة لم تلق له أي انتباه وواصلت رقصها .

وهكذا ساعده الجندي الروسي في التخلص من الأسلاك الشائكة الممسكة به واحدا بعد الآخر ، تراقصت الفزاعة عائدة في ظلام الليل بعد تخلصها من الأسلاك ، دون كلمة شكر واحدة للروسي الذي لوح لها بيديه قائلا بالروسية وداعا .

أخرج بيلي عضوه في ظلام ليل المعتقل . . وتبول وتبول على الأرض . ثم أعاده . . والآن واجه مشكلة أخرى وهي من أين أتى . . وكيف يعود إلى مكانه الأول؟ . . ثم سمع في ظلام الليل بكاء ونواحا ، ولما كان بيلي حائرا ولا يعرف ماذا يفعل كي يعود لمكانه فإنه تتبع مصدر الصوت متعجبا أي مأساة هذه التي تجعل أحدهم يخرج ليبكي وينوح في هذا الليل؟ .

كان بيلي يقترب من مصدر الصوت دون أن يعلم . وكان المرحاض يعتبر جزءا من سياج سكك حديدية وتحته إثنا عشر دلوا . كان السياج محاطا من الجهات الثلاثة بخشب رديء وبعض الخردة وعلب الصفائح المسطحة ، أما جهته المفتوحة فكانت تقابل الحائط الأسود للسقيفة التي أقيمت فيها المأدبة .

تحرك بيلي على طول جدران المرحاض حتى وصل إلى نقطة كان بإمكانه فيها قراءة كتابة فوق حائط السقيفة المقابل ، وكانت الكتابة مكتوبة بنفس اللون الوردي الذي زُين به ديكور مسرحية ساندريلا . كانت رؤية بيلي ضبابية وعائمة فرأى الكلمات كما لو أنها تسبح في الهواء ، مكتوبة على ستائر شفافة وكانت هناك نقاط فضية جميلة عليها أيضا .

كان الجدار عبارة عن ورق صلب مضاد للماء ، وكان فعلا معلقا بزخارف إلى جدار السقيفة . لم يستطع بيلي تصور كيف يمكن للستارة الشفافة أن تحوم بلا دعائم في الهواء متخيلا أن

الستارة السحرية والتراجيديا المسرحية كانت جزءا من طقوس ديانة لا يعرف عنها أي شيء . كانت الكتابة تقول :

الرجاء

ترك المرحاض نظيفا

كما وجدته!

نظر بيلي عبر المرحاض ، وكان النواح يأتي من الداخل . كان المكان مكتظا بالأمريكيين الذين أنزلوا سراويلهم إلى الأسفل . فقد جعلتهم مأدبة الاستقبال معتّلين كالبراكين المتفجرة ، وكانت الدلاء ممتلئة أو أفرغت وبدأت تُملأ من جديد ، كان هناك أمريكي ينوح بالقرب من بيلي وهو يفرغ أحشائه كلها ما عدا دماغه . بعد لحظات قال «ها قد ذهبوا ، ها قد خرجوا» وكان يقصد دماغه . كان هذا أنا! ، بذاتي مؤلفُ هذا الكتاب! .

التفت بيلي بعيدا عن رؤيته لهذا الجحيم ، ومر برجل انجليزي كان يشاهد حفل التبرز هذا عن قرب . كانوا يشمئزون جدا من هكذا وضع ، «أغلق سروالك!» قال أحدهم حين مر بيلي من قربه . وهكذا زر بيلي سرواله ، ووجد باب مستشفى المعتقل أمامه بالصدفة ، فعبر الباب ليجد نفسه في ليلة شهر العسل مجددا ، عائدا من المرحاض إلى فراشه حيث زوجته في كابي آن .

- لقد اشتقتك ، قالت فالنسيا .

- اشتقتك أنا أيضا ، قال بيلي .

وغط بيلي وفالنسيا في النوم مستلقيين كالملاعق . ثم سافر بيلي عبر الزمن إلى رحلة القطار الذي استقله من مناورات جنوب كارولينا إلى جنازة أبيه في ايليوم سنة ١٩٤٤ ، لم يكن قد رأى أوروبا بعد ولا شهد أي معركة . كان هذا في أيام القاطرات البخارية .

كان على بيلي أن يغير الكثير من القطارات ، وكانت كلها بطيئة ، كانت المقاعد نتنة برائحة التبغ المتعفن والخمر وروائح الناس الذين كانوا يأكلون الوجبات الحربية . كان غطاء المقاعد الحديدية صلبا وغير مريح ، ولم يستطع بيلي النوم كثيرا ، وبالكاد استطاع أن ينام لثلاث ساعات قبل وصوله لايليوم ، بساقيه المتورمة قرب مدخل عربة الطعام المزدحمة .

أيقظه البواب حين وصل القطار لايليوم . نهض بيلي مترنحا وهو يحمل حقيبته القماشية ووقف على رصيف المحطة أمام البواب محاولا أن يستيقظ تماما .

- أخذت قيلولة جيدة صح؟ سأله البواب .

- نعم . قال بيلي

- يا رجل! من المؤكد أنك تواجه أمرا صعبا .

وفي الثالثة صباحا ، وتحت تأثير المورفين على بيلي في معسكر الأسرى ، قَدِم مريض جديد إلى المستشفى يحمله رجلان إنجليزيان مفعمين بالنشاط . كان المريض نحيفا ، وكان

بول لازارو ، المليء بالدمامل ، لص السيارات من شيشرو بإيلينوا . كان لازاور قد أُمسك متلبسا بسرقة سجائر من تحت وسادة رجل إنجليزي . وكان الانجليزي نصف نائم ، وقد كسر ذراع لازارو الأيمن ، ففقد لازارو وعيه وخر مغشيا عليه .

كان الانجليزي الذي فعل هذا من بين الذين يحملون لازارو الآن . كان شعره أحمر ناري اللون ، وبلا حاجبين ، وكان قد أدى في مسرحية ساندريلا دور الجنية الزرقاء . كان يدعم لازاور بحمله بذراع واحدة من مقدمة جسده بينما أغلق الباب ورائه . لم يكن بالنسبة له يزن أكثر من دجاجة .

أما الرجل الانجليزي الآخر والذي كان يحمل قدمي لازارو فقد كان النقيب الذي أعطى بيلي المورفين .

كانت الجنية الزرقاء العرابة محرجة ، وغاضبة أيضا . قالت : «لو كنت أعلم أني كنت أصارع دجاجة ، لم أكن لأصارعه بقوة كبيرة .»

- ام . .

تحدثت الجنية الزرقاء العرّابة بصراحة عن اشمئزازها من كل الأمريكيين «ضعفاء ، نتنين ، يحبون أن يبكوا رثاءً لأنفسهم ، قذرين ، لصوص ، أبناء عاهرات .»

- إنهم أسوأ من الروس الملاعين .

«يبدون أكثر قذارة» قال النقيب موافقا .

قدم الرائد الألماني أخيرا . وكان الرائد يعتبر هؤلاء الرجال

الانجليز من أصدقاءه المقربين . كان يزروهم يوميا تقريبا ، يلعب معهم ويعلمهم الألمانية والتاريخ ويعزف على البيانو الخاص بهم ، ويعطيهم دروسا حول طريقة التحدث بالألمانية . كان يقول لهم دوما أنه لولا هذه الصحبة المتحضرة التي يجدها فيهم لأصبح مجنونا منذ زمن . كانت انجليزيته ممتازة .

اعتذر الرائد عن اضطراره لوضع الجنود الأمريكيين مع الانجليز ، ووعدهم أنهم لن يستمروا بإزعاجهم أكثر من يوم أو يومين لأن هؤلاء الجنود الأمريكيين سينقلون إلى درسدن كعمال متعاقدين . كان يحمل معه دراسة نشرتها الجمعية الألمانية للسجون الرسمية ، وكانت عبارة عن تقرير عن قضية الأسرى الأمريكيين في ألمانيا وكان قد كتب التقرير أمريكي عالي الشأن في وزارة الدعاية الألمانية .

كان اسمه هاوارد دبليو كامبل الابن ولاحقا سينتحر بشنق نفسه منتظرا المحاكمة كمجرم حرب في المحكمة .

وبينما كان النقيب البريطاني يخلط الجبس لأجل ذراع لازارو المكسور ، كان الرائد الألماني يترجم بصوت عالي فقرات من دراسة هاوارد دبليو كامبل . كان كامبل كاتب مسرحيات خيالية معروفا في أحد الأوقات ، لهذا ففي دراسته هنا كان السطر الافتتاحي كالآتي :

«أمريكا هي البلد الأكثر ثراء على الأرض ، لكن سكانها في الحقيقة فقراء . والأمريكيون الفقراء مضطرون للاقتباس

كرها من الكوميدي الأمريكي كين هوبارد «ليس من العار أن تكون فقيرا ، لكنه كذلك بل وفي الحقيقة أنه من الجريمة أن تكون أمريكيا فقيرا» على الرغم من أن أمريكا هي أمة من الفقراء .

كل أمة تملك تراثا شعبيا وحكايات عن أناس فضلاء وحكماء لكنهم كانوا فقراء ، وبالتالي أكثر احتراما وتقديرا من الناس ذوي المال والنفوذ . ولكن لم يكن الفقراء الأمريكيون يروون مثل هذه الحكايات ، بل كانوا يسخرون من أنفسهم ويمجدون سادتهم . فمن المحتمل جدا أن ترى ملصقا على جدار أبسط المطاعم ، والذي يملكه شخص هو نفسه رجل فقير ، يحمل السؤال القاسي : «لو كنت ذكيا جدا ، لماذا لست غنيا إذا؟» بينما تجد هناك عَلَما أمريكيا لا يزيد حجمه عن راحة يد طفل دبقة ملتصقة بعصا حلوى المصاصة يرفرف فوق مكتب الصرافة البنكي .»

كان أصل كاتب هذه الدراسة يعود إلى مدينة سكنيكتادي بنيويورك ، وقال البعض أنه يمتلك معدل الذكاء الأعلى من بين كل مجرمي الحرب الذين واجهوا الموت شنقا .

«والأمريكيون ، مثل معظم البشر الآخرين في أي مكان يؤمنون بالعديد من الأشياء التي تبدو بوضوح أنها غير حقيقية ، وأكثر هذه الأكاذيب تدميرا هي أنه من السهل على أي أمريكي أن يكسب النقود . ليس لديهم أدنى فكرة عن

مدى صعوبة تحقيق الدخل المالي ، ولهذا فإن الذين لا يحصلون على ما يريدونه من المال يلومون ويلومون ويلومون أنفسهم . وكان هذا اللوم النفسي كنزا لذوي المال والنفوذ الذين كان عليهم القيام ، لأجل فقرائهم ، سرا وعلانيةً ، بأقل مما قامت به أي طبقة حاكمة منذ عهد نابليون .

ومع الكثير من المستجدات التي تأتي من أمريكا فإن أكثرها إثارة للدهشة والذي لم يحدث من قبل ، قدوم حفنة من الفقراء غير المحترمين والذين لا يحبون بعضهم البعض لأنهم لا يحبون أنفسهم . وبمجرد أن تفهم هذا الأمر فإن تصرفات الأسرى الأمريكيين في سجون ألمانيا لن تصبح أمرا عجيبا بالنسبة لك .»

وشرع الآن هاوارد . و . كامبل جينور في الحديث عن اللباس الرسمي للمجندين الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية .

«كل جيش في التاريخ سواء كان من أمة مزدهرة أم لا ، يكسو جنوده إلى آخر رتبة في الجيش بشكل يجعلهم يثيرون الإعجاب لدى أنفسهم ولدى الآخرين كجنود أنيقين وخبراء في الشرب والجِماع والنهب والموت المفاجيء ، بدل ذلك فإن الجيش الأمريكي قد أرسل مجنديه للقتال والموت ببذلات تجارية معدلة بدا من الواضح تماما أنها قد خيطت لرجال آخرين . وهي في الحقيقة هبات من الملابس المعقّمة التي لم

تكن مغسولة حتى ، أتت من الجمعيات الخيرية التي خصصت هذه الملابس بالأصل للسكارى في الأحياء الفقيرة .

عندما يرتدي ضابط محترم الرتبة مثل متشرد أخرق فإنه سيُسخر منه كضابط في الجيش ،لكن هذه السخرية من الضابط ليست مماثلة لتلك السخرية التي تعتبر في الجيوش الأخرى كتودد ومؤانسة . بل إن مثل هذه السخرية ستعتبر التعبير الأصلي عن الاحتقار للفقراء والذين لا يملكون أن يلوموا عن بؤسهم ووضعهم إلا أنفسهم .

ويجب على مدير السجن الذي يتعامل مع أسرى أمريكيين لأول مرة أن ينتبه لهذا : لا تتوقع منهم أي تودد أخوي حتى بين الإخوة أنفسهم . فلن تكون هناك أي رابطة بين الأفراد ، فكل منهم كالطفل العبوس الذي يتمنى لو أنه كان ميتا .»

وتحدث كامبل عن كيف كانت تجربة الألمان في أسر المجندين الأمريكيين ، المعروفين في كل مكان بأنهم الأكثر رثاء لأنفسهم والأقل توددا والأكثر قذارة من بين كل أسرى الحرب ، قال كامبل ، «حتى أنهم لا يملكون قابلية أن يتصرفوا بأنفسهم ، ويزدرون أي قيادة منهم ، ويرفضون الانصياع لأوامر القائد أو الاستماع له على أساس أنه ليس أفضل منهم في شيء . وهكذا يضطر لإيقافهم عند حدودهم .»

غط بيلي بيلغريم في النوم ونهض كزوجٍ أرمل في بيته

بإيليوم . كانت ابنته باربرا تتجادل معه حول كتاباته السخيفة للجريدة .

- هل كنت تستمع إلى ما كنت أقوله؟ سألته باربرا . كان عام ١٩٦٨ مجددا .

- بالطبع ، قالها وهو على وشك الاغفاء .

- لو كنت ستتصرف كطفل ، ربما علينا أن نعاملك كطفل .

- ليس هذا ما سيحدث لاحقا .

- سنرى ما الذي سيحدث فعلا لاحقا ، قالت باربرا الكبيرة مشبكة يديها «البرد شديد هنا هل الموقد يعمل؟»

- الموقد؟

- الموقد ، الذي في القبو والذي يسخن الجو . لا أعتقد أنه يعمل .

- ربما لا .

- ألا تشعر بالبرد؟ .

- لم أنتبه لهذا .

- آه يا الهي! . . أنت صبي صغير لو تركتك لوحدك هنا ربما ستتجمد حتى الموت أو تجوع حتى الموت .

واستمرت في مثل هذا الكلام مبدية حماسة شديدة في إظهار كرمها واعتزازها باسم الحب .

اتصلت باربرا بعامل مواقد النفط وجعلت بيلي يذهب إلى فراشه وجعلته يعدها بأنه سيبقى تحت البطانية الإلكترونية

حتى يعود الموقد للعمل ، وضبطت البطانية على الحرارة الأعلى . ما يجعل فراش بيلي ساخنا بما يكفي لطهي الخبز فيه .

حين غادرت بابرا ، سافر بيلي عبر الزمن مجددا إلى حديقة حيوانات ترالفامادور ، وكانوا قد جلبوا له رفيقا من الأرض ، النجمة مونتانا وايدهاك .

كانت مونتانا تحت تأثير مخدر قوي ، وكان الترالفامدوريين يلبسون الأقنعة الواقية حين خدروها عبر الغاز ، حيث كانت ممدة على كرسي بيلي الأصفر الطويل . أُدخلت مونتانا إلى القبة عبر غرفة ضغط الهواء . كان الحشد الكبير خارج القبة مستمتعا وكانت كل سجلات الحديقة قد ملئت وانفجرت عن آخرها . كان كل فرد في الكوكب يريد أن يشاهد اللقاء الحميمي للأرضيين .

كانت مونتانا عارية وكذلك بيلي أيضا . كان عضوه كبيرا بالمناسبة . ولن تعرفوا أبدا من سيحصل على واحدٍ .

حركت مونتانا جفونها ، كانت رموشها كسياط عربات الجياد .

«أين أنا»

«كل شيء على ما يرام» قال بيلي بلطف «أرجوك لا تخافي»

كانت مونتانا غائبة عن الوعي طيلة رحلتها من الأرض ،

ولم يتحدث لها الترالفامادوريون ولم يظهروا لها أنفسهم . كان آخر شيء تذكرته تشمسها وسباحتها في حوض سباحة في بالم سبرينغز بكاليفورنيا . كانت مونتانا بنت عشرين سنة ، وكانت تضع حول عنقها سلسلة فضية تنتهي بقلب يتدلى بين نهديها .

أدارت عنقها لترى أعدادا هائلة من الترالفامدوريين خارج القبة . كانوا يصفقون لها بفتح وغلق أيديهم الخضراء الصغيرة بسرعة .

صرخت مونتانا وصرخت .

أغلقت الأيدي باحكام لأن منظر رعب مونتانا لم يكن منظرا محببا ، وأمر حافظ حديقة الحيوانات موظف الرافعة الذي يقف قربه بتشغيل خيمة ذات ضوء أزرق على القبة لمحاكاة ليلة أرضية ، وخيم الليل على الحديقة لمدة ساعة أرضية من بين اثنين وستين ساعة .

أضاء بيلي المصباح الوحيد الموجود والذي أظهر التفاصيل الباروكية لجسد مونتانا الجميل ، ما ذكّر بيلي بالطراز المعماري الرائع الذي كان في مدينة درسدن قبل قصفها .

مع مرور الوقت ، أحبت مونتانا بيلي بيلغريم ووثقت به ، ولم يقترب منها حتى تبين له أنها تريده . وبعدما أمضت قرابة أسبوع بالزمن الأرضي في كوكب ترالفامادور ، سألت بيلي بخجل إن كان يود أن ينام معها ، وهو ما فعله ، فكانت تجربة فردوسية بحق .

ثم سافر بيلي عبر الزمن إلى فراشه المريح سنة ١٩٦٨ ،

كان في فراشه في ايليوم وكانت البطانية الالكترونية قد شغلت على مداها في التسخين . كان غارقا في عرقه متذكرا بتردد أن ابنته هي من وضعه في الفراش وأن عليه أن يبقى هناك حتى يصلح عامل الصيانة موقد النفط .

طرق أحدهم على باب غرفته .

- من؟ قال بيلي .

- رجل الصيانة .

- نعم؟

- إنه يعمل الآن بشكل جديد .

- جيد .

- كانت المشكلة أن فأرا قضم سلك الترموستات .

- سأصلحه لاحقا .

استنشق بأنفه الهواء ، كانت رائحة فراشه الساخن تبدو كرائحة الفطر المتعفن . كان قد احتلم في منامه مع مونتانا وايدهاك .

وفي صبيحة اليوم الذي احتلم فيه ، قرر بيلي أن يعود إلى العمل في مكتبه في مركز التسوق بلازا . كان العمل ممتازا كالعادة ، وكان مساعدوه قد أداروا العمل باحترافية ، وقد سروا برؤيته ، بعد أن أخبرتهم ابنته أنه قد لا يعود للعمل مجددا .

لكن بيلي ذهب بنشاط إلى غرفة الفحص طالبا أن يرسلوا له أول مريض .

وهكذا دخل أول مريض ، والذي كان صبيا في الثانية عشر من عمره برفقة أمه الأرملة .

كانوا غرباء وجددا في المدينة . سألهم بيلي قليلا عن أنفسهم وعرف أن والد الصبي قد قتل في فيتنام في معركة الخمسة أيام الشهيرة على التل ٨٧٥ بالقرب من داكتو .

وحين كان بيلي يتفحص عيني الولد ، أخبره بحقيقة مغامراته في ترالفامادور ، مؤكدا للصبي اليتيم أن أباه حي يرزق في لحظات أخرى من الزمن حيث يمكن للصبي أن يراه مرارا وتكرارا للأبد .

«أليس هذا مريحا» سأل بيلي .

وهكذا هرعت أم الصبي لموظفي الاستقبال قائلة أن بيلي قد أصبح مجنونا .

الفصل السادس

اسمع :

قال بيلي بيلغريم أنه ذهب إلى درسدن بألمانيا في اليوم الذي يلي حقنه بالمورفين في معسكر الأسرى الانجليز ، والذي كان في قلب معسكر إعدام الأسرى الروس .

استيقظ بيلي فجر يوم من أيام شهر جانفي . لم تكن هناك أي نوافذ في مستشفى المعسكر ، وكانت الشموع ضئيلة الإنارة قد أُخذت ، وكان الضوء الوحيد يأتي من الثقوب في الجدران ، ومن شق مستطيل صغير في الباب الهش . كان بول لازارو الضئيل بذراعه المهشمة يشخر من على فراشه وكان ادجار ديربي ، مدرس الثانوية العامة والذي رمي بالرصاص لاحقا ، يشخر على فراش آخر .

نهض بيلي من على فراشه ، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن أي عام هو فيه أو على أي كوكب هو الآن ، ومهما يكن اسم هذا الكوكب فقد كان باردا . لكن لم يكن البرد هو ما أيقظ بيلي ، بل كان تأثير المغناطيسية الحيوانية هو الذي جعله يرتجف ويهرش مسببا له ألما عميقا في عضلاته . كما لو كان قد مارس تمارين قاسية . وكانت المغناطسية الحيوانية قد أتت من خلفه لو

أراد بيلي أن يخمّن مصدرها . لقد كان هناك خفاش مصاص للدماء متشبثا رأسا على عقب أعلى الحائط خلفه .

تحرك بيلي نحو أسفل فراشه قبل أن يلقى نظرة خلفه ليرى ما هذا الشيء الذي يستثيره . لم يكن يريد أن يتشبث حيوان بوجهه ويخمش عينيه أو يعض أنفه ، وكان مصدر المغناطيسية هذه فعلا يشبه الخفاش . كان المعطف الموسيقي الخاص ببيلي بطوقه من الفرو ، كان معلقا خلفه على مسمار .

التفت بيلي خلفه ناظرا إليه عبر كتفه شاعرا بزيادة المغناطيسية ، ثم واجهه راكعا فوق فراشه لامسا إياه هنا وهنالك . كان يبحث عن المصدر الدقيق للاشعا .

وجد مصدرين صغيرين ، كتلتين صغيرتين حوالي الانش مختبئة في بطانة المعطف . كانت إحداهما تبدو بحجم وشكل حبة البازلاء أما الأخرى فتبدو وكأنها حدوة حصان صغيرة . تلقى بيلي رسالة عبر الاشعاع تقول بأنه ليس عليه أن يعرف ما تكون تلك الكتل ، مع نصيحة تقول له بأنها يمكن أن تصنع له المعجزات ، إذا لم يصر على معرفة طبيعتهما . وكان هذا الأمر جيدا بالنسبة لبيلي وكان ممتنا لهذا ومسرورا به .

أغفى بيلي ليستيقظ في مستشفى المعسكر مجددا . كانت الشمس قد ارتفعت وسمع صوت جلجلة رجال أشداء يقومون بإحداث ثقوب للأخشاب الموضوعة على الأرض ، الأرض القاسية .

كان الرجال الانجليز بصدد بناء مرحاض جديد ، لأنهم تخلوا عن المرحاض القديم للأمريكيين وكذلك عن المكان الذي أقاموا فيه المسرحية . ترنح ستة إنجليز عبر المستشفى حاملين طاولة بلياردو فوق عدة أفرشة كانوا ينقلونها إلى مكان المعيشة المجاورة لمستشفى المعسكر . تبعهم إنجليزي كان يجر فراشه ويحمل لوحة لعبة القنص . كان الرجل الذي يحمل اللعبة هو الجنية الزرقاء العرابة الذي أصاب بول لازارو ، فتوقف عند فراش لازارو ، وسأل لازارو عن حاله . قال له لازارو بأنه سيقتله بعد أن تنتهي الحرب .

رد الانجليزي «أوه؟»

«لقد ارتكبت خطأ شنيعا» قال لازارو «أي إنسان يمسني من الأفضل له أن يقتلني ، لأنني سأقتله لا محالة» كانت الجنية الزرقاء العرابة تعرف بعض الأمور عن القتل ، فابتسم للازارو ابتسامة محذرة وقال :

- لا يزال هناك وقت لدي كي أقتلك ، إذا أقنعتني حقا بأنه أعقل شيء يمكن فعله .

- لماذا لا تغرب عني ، وتعبث مع نفسك؟

- لقد حاولت ذلك بالفعل .

غادرت الجنية الزرقاء الطيبة مستمتعةً بالنصر ، وحين مغادرتها وعد لازارو بيلي والمكسين العجوز ادجار ديربي أنه سينتقم منه ، وأن الانتقام سيكون ممتعا .

قال لازارو «أمتع شيء على الاطلاق أن هناك أناس يعبثون معي . . عليهم اللعنة فهم ليسوا حتى آسفين على ذلك .» انفجر بالضحك ، وتابع «ولا آبه إن كان رجلا أو سيدة . . وحتى لو كان الذي يعبث معي رئيس الولايات المتحدة نفسه فسأؤدبه جيدا . . يجب أن ترى ما فعلته بكلب ذات مرة» .

- كلب؟ قال بيلي .

- لقد عضني ابن العاهرة ، ابن العاهرة عضني! ، لهذا اشتريت بعض اللحم ثم فككت ساعة واستخرجت منها شريطها المطوي وقطّعته لقطع صغيرة ووضعت نقاطا على أطراف القطع . كان الشريط حادا كشفرات الحلاقة فأدخلتها في اللحم بحيث لا تظهر من الخارج وذهبت إلى حيث كان الكلب مربوطا . كان يريد عضي مرة أخرى فقلت له تعال أيها الكُليب . . دعنا نصبح أصدقاء وننسى أننا أعداء ، أنا لست غاضبا منك بعد الآن ، وقد صدّقني الكلب .

- هل فعل حقا؟

- رميت له قطعة اللحم ، فابتلعها في لقمة واحدة ، وانتظرت من بعيد لمدة عشر دقائق . تلألأت عينا لازارو الآن ، وتابع «بدأ الدم يخرج من فمه وبدأ بالبكاء والالتواء على الأرض كما لو كانت السكاكين تنهشه من الخارج لا من داخله ، ثم بدأ يحاول عض بطنه ، فضحكت وقلت له الآن أنت تفكر بشكل صحيح . ابكِ يا صغيري كما تشاء ، هذه

سكاكيني أنا التي تنهشك من الداخل . والآن أي شخص يسألكم ما هو أحلى شيء في الدنيا؟ . .» قال لازارو وأجاب : «إنه الانتقام» .

ولاحقًا حين دمرت مدينة درسدن ، لم يفرح لازارو لهذا الأمر ولم يكن يحمل أي عداء تجاه الألمان . وقال أيضا أنه يحب أن يأخذ كل أعدائه دفعة واحدة ، وكان فخورا بأنه لم يؤذي أيا من المارة الأبرياء . وقال «لا أحد فهمها من لازارو ، الذي لم ينتقم .»

تدّخل العجوز المسكين ادجار ديربي ، مدرس الثانوية العامة ، في الحوار الآن ، وسأل لازارو إذا ما كان يخطط لإطعام الجنية الزرقاء الطيبة قطعة لحم تحتوي شريط ساعة حاد .

«تبا» قال لازارو .

«إنه رجل قوي وضخم فعلا . بل هو القوة والضخامة بنفسها» قال ديربي

«الحجم لا يعني أي شيء»

«إذا ستطلق عليه الرصاص؟»

«سأطلق عليه الرصاص» قال لازارو «وسيعود إلى منزله بعد الحرب ومن ثم سيعتبر بطلا . وستلتف حوله النساء وسيستقر آخر الأمر ويتزوج وتمر بضع سنوات ، ثم سيسمع طرقا على بابه . وسيذهب لفتح الباب . وسيكون هناك شخص غريب على الباب وسيسأله الغريب عما إذا كان هو وما إلى

ذلك وعندما يقول إنه كذلك سيقول الغريب 'بول لازارو أرسلني» وسيخرج مسدسه ويطلق على قضيبه النار .

سيتركه الغريب يفكر بضع ثواني عمن يكون بول لازارو هذا . وكيف ستكون الحياة دون قضيب ثم يطلق النار على أحشائه ويذهب بعيدا .»

قال لازارو أن بإمكانه أن يقتل أي شخص في العالم بمبلغ ألف دولار ومصاريف السفر وقال أنه يملك قائمة في ذهنه ، فسأله ادجار ديربي عمن يوجد في قائمته ، فأجابه لازارو : فقط تأكد أنك لست فيها . لا تتعرض لي ، هذا كل شيء .

خيم صمت ثم أضاف لازارو «ولا تتعرض لأصدقائي»

كان ديربي يريد أن يعرف : ألديك أصدقاء في الحرب؟

- نعم كان لدي صديق في الحرب . وهو ميت الآن .

- هذا سيء للغاية .

لمعت عينا لازارو مجددا : «كان صديقي في عربة النقل . كان اسمه رونالد ويري ، ومات بين ذراعي» . وأشار إلى بيلي بذراعه السليمة «ومات بسبب العاهر السخيف هنا ، لهذا وعدته أن أقتل هذا العاهر السخيف بعد أن تنتهي الحرب»

ولوح بيديه مانعا بيلي بيلغريم من أن يقول أي شيء .

« انس الامر ، واستمتع بحياتك الآن قدر ما تستطيع ، لن يحدث شيء لك خلال خمس أو عشرة أو خمسة عشرة بل عشرين سنة لكن دعني أقدم لك نصيحة صغيرة : عندما

تسمع جرس باب منزلك ، دع أحدا غيرك يفتح الباب» .

والآن يقول بيلي بيلغريم أن هذه هي حقا كيفية موته . فهو كمسافر عبر الزمن أيضا كان قد رأى كيفية موته عدة مرات ، ووصفها في شريط تسجيل ، ووضع الشريط مع وصيته في خزانته المؤمنة في البنك التجاري الوطني بإيليوم .

« أنا» قال بيلي بيلغريم في بداية تسجيله «سأموت ومت ودوما ما سأموت في شهر فيفري الثالث عشر من سنة ١٩٧٦» .

أما عن وقت موته كما يقول ، فسيكون بيلي في شيكاجو لإلقاء محاضرة حول موضوع الأطباق الطائرة وحقيقة طبيعة الزمن . سيكون منزله لا زال في ايليوم ، وسيقطع ثلاثة حدود دولية كي يصل إلى شيكاجو ، لأن الولايات المتحدة الأمريكية تفتت حينها إلى عشرين دويلة كي لا تهدد السلام العالمي ، بينما قُصفت شيكاجو بقنبلة هيدروجينية ألقاها الصينيون ، أما الآن فقد أعيد بناؤها من جديد .

كان بيلي يلقى خطابه أمام جمع غفير في ملعب بيسبول ، كان مغطى بقبة مكيفة ، وكان عَلَم البلاد بجانبه ، وكان العَلَم يمثل ثورا من نوع هيرفورد على خلفية حقل أخضر . كان بيلي يتوقع موته خلال ساعة وضحك لتفكيره بالأمر جاعلا الحشد يضحك معه «لقد حان الوقت كي أموت» قال بيلي .

«قبل عدة سنوات مضت ، توعدني شخص ما بأن

يقتلني ، وهو شخص عجوز الآن ويعيش بالقرب من هذا المكان ، وقد قرأ كل الإعلانات التي تحكي عن ظهوري في مدينتكم وهو مجنون والليلة سيفي بوعده .»

هنا صدرت بعض الأصوات الاحتجاجية من الحشد .

ووبّخهم بيلي قائلا : «لو عارضتم هذا ، وفكرتم في أن الموت شيء فظيع فأنتم إذاً لم تفهموا أي حرف مما قلته ، والآن . . .» واختتم خطابه كما يختتم كل خطاباته بالعبارة :

«وداعا ، مرحبا ، وداعا ، مرحبا»

كان هناك شرطي بالقرب منه عندما غادر المنصة ، وكان هناك ثلاثة آخرون لحمايته من زحام الحشد ، لم يكن هناك أي تهديد له منذ سنة ١٩٤٥ . وعرض عليه رجال الشرطة أن يرافقوه ، وكانوا على استعداد لحمايته مدججين بأسلحتهم طيلة الليل .

« كلا ، كلا» قال بيلي بطمأنينة «لقد حان الوقت كي تغادروا وتذهبوا لزوجاتكم وأطفالكم وحان الوقت كي أموت لفترة محدودة ثم سأحيا مجددا» وفي هذه اللحظة كانت هناك نقطة تسديد حمراء على جبهته موجهة من بندقية ليزر متطورة كانت موجهة له من مركبة تابعة للصحافة غامقة السواد . وفي اللحظة التالية ، مات بيلي بيلغريم .

وهكذا عانى بيلي من الموت لفترة ، وكان الموت مجرد ضوء بنفسجي وأصوات همهمة . لم يكن هناك أحد في ذلك

المكان ، لم يكن حتى بيلي بيلغريم نفسه موجودا هناك .

ثم عاد بيلي إلى الحياة مجددا ، عاد إلى ساعة بعد تهديد لازارو له سنة ١٩٤٥ . قيل له أن ينهض من فراشه في مستشفى المعسكر وأن يلبس ، وبما أنه كان بخير هو ولازارو والعجوز المسكين ادجار ديربي ، رافقوهم إلى المنصة حيث سيختارون قائدا لهم عبر الاقتراع السري الحر .

عَبَر بيلي ولازارو والعجوز المسكين إدجار ديربي باحة السجن إلى المنصة . وكان بيلي يحمل معطفه القصير كموفة[١٣] السيدات . كان بيلي هو المهرج الرئيسي في مهزلة اللاوعي مثلما صورتها اللوحة الزيتية المعنونة بـ«روح ٧٦» .

كان ادجار ديربي يكتب الرسائل إلى أهله في ذهنه مخبرا زوجته أنه حي وأنه بخير . وأن عليها ألا تقلق لأن الحرب ستنتهي قريبا ، وسيعود قريبا إلى المنزل .

أما لازارو فكان يحدث نفسه عن الناس الذين سيقتلهم بعد الحرب ، وعن مضارب التنس التي سيصنعها وعن النساء اللائي سيضاجعهن سواء أردن ذلك أم لا ، وفي حال رأى كلباً في مدينته ، فسيدعو الشرطي كي يطلق عليه النار ويرسل رأسه إلى المختبر كي يتحققوا ما إذا كان مصابا بداء الكَلَب .

وعندما اقتربوا من المنصة مروا عبر انجليزي كان قد حفر ما

---

(١٣) الموفة هي غطاء من فِراء لتَدفئة اليدين . (المترجم)

يشبه الأخدود في الأرض بكعب حذائه . كان قد شكل خطا يمثل الحدود في المعتقل بين الأمريكيين والانجليز ، لم يسأل بيلي ولازارو وديربي ما الذي يعنيه هذا الخط ، كان ببساطة رمزا مفهوما جدا من أيام الطفولة .

كانت الباحة مليئة بأجساد الأمريكيين المستلقية كالملاعق ، كان معظمهم نائما أو غافيا .

كانت أجسادهم ترتجف من البرد ، «أغلق الباب اللعين» صاح أحدهم ببيلي .

أغلق بيلي الباب ، أخرج يد من معطفه ولمس الموقد ، كان باردا كالثلج ، وكانت المنصة لا تزال على هيئتها كما كانت معدة لمسرحية سندريلا ، فلا تزال الستائر الزرقاء معلقة على الأقواس الوردية المريعة ، والعروش الذهبية كانت هناك بالقرب من الساعة المزيفة التي تشير عقاربها إلى منتصف الليل .

كان هناك أيضا حذاء سندريلا ، والذي كان طبعا حذاء عسكريا مطليا باللون الفضي ، كان هناك فردة فوق الأخرى تحت العرش الذهبي .

كان بيلي ولازارو وادجار ديربي في المستشفى حين نقل الانجليز البطانيات والأفرشة ، ولهذا لم يجدوا شيئا منها ، وهكذا تحتم عليهم أن يرتجلوا . وكان المكان الوحيد الفارغ هو المنصة وهكذا سحبوا الستائر الزرقاء وجعلوها حشية ليجلسوا عليها .

وجد بيلي بيلغريم نفسه ملفوفا بالستار الأزرق يحدق في أحذية سندريلا الفضية تحت العرش . وتذكر وقتها أن حذاءه قد تمزق وأنه يحتاج إلى حذاء عسكري طويل . كان مرتاحا في وكره الأزرق ولا يريد الخروج منه لكنه أجبر نفسه على ذلك . حبا على أربع إلى الحذاء الفضي وجلس ليجربه ، فناسبه تماما . وأصبح بيلي بيلغريم هو سندريلا ، وأصبحت سندريلا هي بيلي بيلغريم .

وفي مكان ما من السقيفة ، كان هناك درس حول النظافة الشخصية يلقيه المشرف الانجليزي ، وبعدها تُجرى الانتخابات الحرة . كان نصف الأمريكيين قد ناموا طيلة الدرس وهكذا صعد الانجليزي للمنصة وضرب العرش بعصا كانت في يده قائلا «شباب ، شباب انتبهوا من فضلكم .»

ما قاله الانجليزي عن البقاء على قيد الحياة هو أنه لو حدث وتوقفت عن الاهتمام بمظهرك فإنك ستموت قريبا جدا . وقال أنه رأى العديد من الرجال يتبعون الطريق التالي : توقفوا عن الوقوف بشكل صحيح ، ثم توقفوا عن حلق أو غسل أنفسهم ، ثم توقفوا عن النهوض من الفراش وعن الحديث ثم ماتوا . كانت طريقة طويلة للحديث عن أمر بسيط وهو : الطريقة السهلة وغير المؤلمة للموت .

قال الانجليزي أنه عندما ألقي عليه القبض أسيرا حافظ بهذه الالتزامات على نفسه : كان يغسل أسنانه مرتين في اليوم

ويحلق مرة واحدة ويغسل وجهه ويديه قبل كل وجبة وبعد الذهاب إلى المرحاض ، ويلمع حذاءه مرة يوميا ويمارس التمارين على الأقل لنصف ساعة كل صباح ثم يذهب إلى المرحاض وينظر في المرآة بانتظام ويدقق النظر في هيئته بالأخص في هيئة ظهوره بمظهر لائق .

سمع بيلي كل هذا الحديث وهو مستلق في مكانه ، لم يكن ينظر إلى وجه الانجليزي المتحدث بل إلى كاحليه .

- أنا أحسدكم يا شباب . قال الانجليزي .

ضحك أحدهم وتسائل بيلي عما كانت تلك المزحة .

- ستغادرون هذ المساء إلى درسدن وهي مدينة جميلة . وأبشركم أنكم لن تكونوا محتجزين مثلنا هنا ، بل ستكونون في الخارج حيث الحياة تمضي قدما والطعام سيكون أكثر مما لدينا هنا . ولو جاز لي أن أضيف ملاحظة شخصية : لقد مرت الآن خمسة سنوات دون أن أرى شجرة أو زهرة أو امرأة أو طفلا أو كلبا أو قطة أو مكان ترفيه أو أي شخص مدني عادي يقوم بعمل ما أيا كان نوعه .

«لا يجب أن تقلقوا بخصوص القنابل . لأن درسدن ليست مدينة عسكرية ولا تحتوي على أي مصانع حربية أو أي تجمعات للقوات المقاتلة أيّا كانت .»

وفي مكان ما آخر ، كان العجوز المسكين ادجار ديربي قد أُنتخب كمشرفٍ على الجنود الأمريكيين .

فتح الانجليزي باب الترشح . ولم يكن هناك أي مرشح وهكذا اقترح ترشيح ادجار ديربي نظرا لنضجه وخبرته الطويلة في التعامل مع الأشخاص ولم يكن هناك أي مرشحين آخرين . وهكذا أُغلق باب الترشح .

- هل الكل يؤيد هذا؟

فقال شخصان أو ثلاثة «إي» .

ومن ثَم فإن العجوز المسكين ديربي ألقى خطابا . شكر الانجليزي على نصائحه . وحث على اتباعها بحذافيرها ، وقال أنه متأكد من أن جميع الأمريكيين يودون فعل ذلك ، وقال أن مسؤوليته الرئيسية الآن تتمثل في التأكد من عودة كل الأسرى إلى منازلهم آمنين .

غمغم بول لازارو وهو ملتحف بالستارة الزرقاء . «اللعنة من يأبه لهذا الأمر» .

وكرر «اللعنة من يهتم بهذا .»

ارتفعت الحرارة بشكل ملحوظ ذلك اليوم ، وفي الظهيرة كان الجو معتدلا . قدم الألمان الحساء والخبز على عربة من عجلتين كان يدفعها أسرى روسيون . أما الانجليز فقدموا القهوة والسكر ومربى البرتقال والسجائر والسيجار وفتحوا باب المنصة كي يدخل بعض الدفء .

أحس الأمريكيون بالتحسن ، وانتهوا من تناول طعامهم ، وحان وقت الذهاب إلى درسدن . خرج الأمريكيون متأنقين

نوعا ما من معسكر الانجليز . ومجددا قاد بيلي الموكب . كان يرتدي الآن حذاء عسكريا طويلا ومعطفه وقطعة من الستارة الزرقاء التي ارتداها كسُترة ، لم يكن قد حلق لحيته بعد ، وكذلك كان العجوز المسكين ادجار ديربي الذي كان بجانبه وشفتاه ترتعشان ، إذ كان لا يزال يكتب الرسائل إلى منزله في ذهنه .

«عزيزتي مرغريت ، الآن سننتقل إلى درسدن ، لا تقلقي لن تقصف أبدا فهي مدينة محايدة ، وقد أجرينا هذه الظهيرة انتخابات ، وخمني ماذا؟ . . .» وما إلى ذلك من هكذا رسائل .

وصلوا مجددا إلى ساحة السكة الحديدية للسجن ، وقد كانت هناك عربتين فقط . وكانوا لينتقلوا بشكل أكثر راحة لو كانت هناك أربع عربات . رأوا المتشرد الميت مجددا ، وكان متجمدا فوق العشب قرب العربة ، متكورا على نفسه بهيئة جنين يحاول حتى وهو ميت أن يحضن الآخرين . لم يعد هناك أي «آخرون» الآن ، كان يحتضن الهواء البارد والغبار ، وكانت قدماه حافيتين ، وقد أخذ أحدهم حذائه ، فصارت قدماه شاحبة وزرقاء .

وكان يبدو بشكل ما أنه بخير وهو مي .

كانت الرحلة إلى درسدن سريعة ، فاستغرقت ساعتان فقط ، كانت بطون الأمريكيين المنكمشة ممتلئة والشمس والهواء

البارد يمران عبر فتحات التهوئة . وكانت لديهم الكثير من السجائر التي قدمها لهم الانجليز .

وصل الأمريكيون إلى درسدن على الساعة الخامسة بعد الظهر . فتحت أبواب العربات ، وظهر عبر أبوابها مدينة جميلة لم يرها معظم الأمريكيين من قبل . كان الأفق يبدو جليلاً وفاتنا ، كان يبدو كمزيج من السحر والتجريد . وبدا لبيلي وكأنه صورة الجنة التي رآها في مدارس الأحد .

قال شخص بجانبه في العربة «مدينة أوز» ، كان هذا أنا ، أنا بذاتي . . لم أكن قد رأيت في حياتي مدينة أخرى من قبل فيما عدا انديانابوليس بولاية انديانا .

كانت كل مدينة كبيرة في ألمانيا قد قصفت ودمرت بوحشية ، لكن مدينة درسدن لم تكن قد عانت الكثير ، فقط بعض التصدعات مثل نافذة بزجاج محطم . كانت صافرات الانذار تصدح كالجحيم كل يوم ، وكان الناس يهرعون للأقبية يستمعون الراديو ليتابعوا الأحداث .

كانت الطائرات الحربية تتجه دوما إلى مكان آخر غير درسدن ، لايبزيغ ، شيمنيتز ، أو بلاون أو أماكن مثلها .

كانت مواقد التدفئة في المنازل تتأجج بسعادة ، ولا تزال السيارات تعبر الشوارع ، والهواتف ترن وتستقبل وتجيب والأضواء تعمل حين تضغط على زر الانارة .

كانت هناك مسارح ومطاعم وهناك أيضا حديقة حيوانات ،

وكانت الصناعة الرئيسية للمدينة هي الطب والصناعات الغذائية وإنتاج السجائر . كان الناس عائدين من أعمالهم إلى منازلهم بعد ظهيرة هذا اليوم ، وكانوا متعبين .

كان هناك ثمانية من سكان درسدن يعبرون السكك الحديدية الملتوية ، وكانوا يرتدون الزي النظامي الجديد وقد دخلوا منذ يوم فقط رسميا في الجيش . كانوا شبابا وكهولا ، واثنين من قدامى المحاربين الذين أطلق عليهم النار في روسيا حتى الموت . كانت مهمتهم حراسة مائة أسير أمريكي ، سيعملون كعمال متعاقدين .

كان الجد وحفيده في نفس الفوج وكان الجد مهندسا معماريا .

بدا مظهرهم مريعا حين اقتربوا من عربات النقل التي تحتوي عنابرهم ، وكانوا يعلمون كم يبدو شكلهم أخرقا ومضطربا . كان لدى واحد منهم ساق اصطناعية ولم يكن يحمل فقط بندقية رشاشة لكنه كان يحمل أيضا عصا طبية . كانوا يتوقعون أن يطيعهم ويحترمهم هؤلاء الجنود طوال القامة ، السخفاء ، القتلة الأمريكيين ، الجنود المشاة ، الذين أتوا لتوهم من عمليات القتل في الجبهة .

ثم رأوا بيلي بيلغريم الملتحي بسترته الزرقاء وحذاءه الفضي ويديه في معطفه المضحك . كان يبدو وكأنه بعمر ستين عاما . وبجانب بيلي كان هناك ضئيل الحجم بول لازارو بذراعه

المكسورة ، كأنه مسعور بداء الكلب . وبعد لازارو كان هناك المسكين العجوز مدرس الثانوية العامة ادجار ديربي ، المثقل بالوطنية والسنين والحكمة المزيفة وما إلى ذلك .

كان هؤلاء الثمانية من أهل درسدن سخفاء المظهر أيضا ، لم يصدقوا أن هؤلاء المائة مخلوق سخيف قد قدموا فعلا للتو من قتالهم على الجبهة . ابتسموا ومن ثم ضحكوا وتبخرت مخاوفهم ، فلم يكن فيهم ما يثير الخوف . ها هم الآن أمام المزيد من البشر المعاقين ، المزيد من البشر الحمقى مثلهم . . ها هي المهزلة .

ومن هناك جرت هذه المسرحية الهزلية خارج ساحة السكة الحديدية وعبر شوارع مدينة درسدن . كان بيلي هو النجم الذي يقود الموكب ، وكان هناك الآلاف من الناس على الأرصفة خارجين من أعمالهم عائدين إلى منازلهم ، كانوا مفعمين بالصحة وممتلئين ، ويبدو أنهم أمضوا العامين السابقين يتناولون البطاطس ، ولم يكونوا يتوقعون أي بركات إضافية ما عدا قدوم اليوم التالي وأن تطلع عليهم الشمس ، والآن ها هم فجأة يجدون أمامهم شيئا مسليا .

لم يكن بيلي ينظر إلى العيون التي كانت تراه مسليا ، بل كان مسحورا بمعمارية المدينة . كانت هناك تماثيل صغيرة لإله الحب تشكل أكاليل جميلة على النوافذ . وكانت آلهة الغابة الخبيثة والحوريات العاريات تلقين نظرة على بيلي من فوق أفاريزها الفاتنة ، وكانت هناك أيضا تماثيل لقرود حجرية تتسلق

بين الأوراق والأصداف البحرية والبامبو .

كان بيلي وعبر ذكرياته عن المستقبل ، يعلم أن هذه المدينة ستسحق كليا وتحرق عن بكرة أبيها بعد ثلاثين يوم تقريبا . وكان يعلم أيضا أن معظم الناس الذين يشاهدونه سيموتون قريبا . كانت رؤوس أصابعه هناك في الظلام الدافئ لمعطفه تحاول معرفة ماهية الكتلتين في بطانة معطفه الموسيقى ، دخلت أصابعه داخل المعطف متلمسة الكتلتين . كانت إحدى الكتلتين تشبه حبة البازلاء والأخرى تشبه حدوة الحصان . توقف الموكب أمام زاوية مزدحمة ، كانت إشارة المرور حمراء .

وهناك عند الزاوية وأمام صف من الراجلين كان هناك طبيب جراح يقوم بالعمليات يوميا . كان مدنيا لكن مظهره يبدو عسكريا ، وكان قد خدم في حربين عالميتين .

آذته هيئة بيلي ومنظره ، خصوصا وبعد أن علم من الحراس أن بيلي أمريكي . كان يبدو له بهيئة بغيضة ، مفترضا أن بيلي كان قد مر بمشاكل سخيفة كثيرة ليرتدي مثل هذا الزي .

كان الجراح يجيد الانجليزية ، وقال لبيلي «أعتقد أنك ترى أن الحرب أمر مضحك للغاية» فرمقه بيلي بغرابة . وللحظة أضاع بيلي طريقه وفقد حسه بمكانه أو كيف أتى إلى هنا . لم يكن لديه أدنى فكرة أن الناس تعتقد أنه يهرج ، كان قدرا ، بالطبع ، أن يرتدي مثل هذا الزي ، كان القضاء والقدر وارادته الضعيفة في النجاة .

- هل تتوقع منا أن نضحك؟ سأله الجراح .

كان الجراح يبحث عن نوع من الإرضاء ، وكان بيلي غامضا ، ويحاول أن يكون ودودا ، ويحاول تقديم المساعدة إن كان بإمكانه ذلك ، لكنه لم يكن يملك المعطيات اللازمة لتقديم ذلك .

تمكنت أصابعه الآن من احتواء الشيئين في بطانة معطفه ، وقرر بيلي أن يريهما للجراح مهما كانتا .

- هل تعتقد أننا سنسعد بسخريتك منا؟ قال الجراح .

تابع الجراح «هل أنت فخور بتمثيل أمريكا كما تفعل الآن؟» ، سحب بيلي يديه من المعطف وفتحهما أمام عيني الجراح ، وعلى راحته كانت هناك ماسة من عيار قيراطين وجزء من طقم أسنان . كان قطعة أثرية ثمينة وصغيرة من الفضة واللؤلؤ ، وابتسم بيلي .

تقدم الموكب أكثر وعبر بوابة مسلخ درسدن ، ودخل إلى المسلخ . لم يكن المسلخ مكانا مزدحما بعد الآن . كانت معظم الحيوانات ذات الحافر في ألمانيا قد قتلت أو أكلت وتبرزها البشر الذين كانوا في الغالب من الجنود .

اقتيد الأمريكيون إلى المبنى رقم خمسة عبر البوابة . وكان عبارة عن مبنى اسمنتي مكعب الشكل بأبواب منزلقة في الأمام والخلف . وكان قد بني كاسطبل للخنازير قبل ذبحها ، والآن تم تخصيصه كملجأ لمائة أسير حرب امريكي ، كانت

هناك أسرة نوم وموقدين وصنبور مياه ومرحاض تابع للسكك الحديدية وتحته كانت هناك دلاء .

كان هناك رقم كبير مكتوب على باب المبنى ، كان الرقم خمسة . وقبل أن يدخل الأمريكيون إلى الداخل ، أخبرهم حارسهم الوحيد الذي كان يجيد الانجليزية أن يحفظوا هذا العنوان البسيط في حال تاهوا في هذه المدينة الكبيرة . وعنوانهم هو : Schlachthöf-funf ، Schlachthöf تعني مسلخ وfunf تعني الرقم الجميل خمسة .

الفصل السابع

صعد بيلي بيلغريم إلى الطائرة المستأجرة في ايليوم بعد خمسة وعشرين سنة . كان يعلم أن الطائرة ستتحطم . لكنه لم يرد أن يبدو مجنونا ويخبرهم بهذا . كانت الطائرة تحمل بيلي وثمانية وعشرين أخصائي بصريات آخر إلى مؤتمر سيقام في مونتريال . كانت زوجته فالنسيا في الخارج وكان صهره ليونيل ميربل يجلس على المقعد المجاور له .

كان ليونيل ميربل آلة . والترالفمادوريون يقولون طبعا أن كل مخلوق ونبتة في الكون هو عبارة عن آلة . وكانت فكرة أن الكثير من أبناء الأرض يعتبرون كون المرء آلة هي إهانة فكرة مسلية بالنسبة لهم .

كانت تلك الآلة خارج الطائرة والمسماة فالنسيا ميربل بيلغريم تأكل شوكولاتة بيتر بول ماوند وتلوح بيديها كتحية وداع .

أقلعت الطائرة دون أي مشاكل ، وفي اللحظة التي استقرت في طيرانها ظهر أن هناك فرقة موسيقية رباعية على متنها . كانت فرقة لموسيقى الباربرشوب . وكان أربعتهم أخصائيين في البصريات أيضا ، وكانوا يسمون أنفسهم بال

فيبز ، وهو اختصار لجملة «أبناء العاهرات رباعيو الأعين» .

وعندما كانت الطائرة تحلق بسلام عاليا ، طلبت الآلة المدعوة صهر بيلي من تلك الفرقة أن تؤدي أغنيته المفضلة . وكانوا يعلمون أية أغنية يقصد ، فغنوها ، وكانت تقول :

في زنزانة السجن جلستُ

وبنطالي مليء بالخراء

وخصيتاي كانت تتأرجح ببطء على الأرض .

وأرى ماءه اللعين

وهو يُلهبني من أسفل .

اوه . لن أضاجع بولنديا بعد الآن .

ضحك صهر بيلي وتوسل من الفرقة أن تغني أغنية بولندية أخرى يحبها جدا . وهكذا غنوا أغنية لعمال مناجم الفحم في بنسلفانيا . والتي تبدأ كالآتي :

أنا ومايك نعمل في منجم .

يا للجحيم! لقد قضينا وقتا ممتعا .

نأخذ أجرنا مرة كل أسبوع .

يا للجحيم! لا يوجد عمل في الغد .

وبمناسبة الحديث عن البولنديين : وبالصدفة البحتة رأى بيلي بيلغريم بولنديا شُنق علنا ، بعد ثلاث أيام من قدومه لدرسدن . كان بيلي بمحض الصدفة ذاهبا إلى عمله مع بعض الأسرى الآخرين بعد الفجر بقليل ، ووصلوا إلى منصة للشنق

وأمامها حشد قبالة ملعب كرة قدم ، كان البولندي مزارعا وقد تم شنقه لاقامته علاقة جنسية مع امرأة ألمانية .

وعندما عرف بيلي أن الطائرة تقترب من الاصطدام أغلق عينيه مسافرا عبر الزمن ، عائدا إلى سنة ١٩٤٤ . عاد إلى الغابة في لوكسمبورغ مجددا مع الفرسان الثلاثة ، وكان رونالد ويري يهزه ضاربا رأسه بالشجرة «هاي يا شباب . . اذهبوا من دوني» قال بيلي بيلغريم .

كان رباعي موسيقى الباربرشوب في الطائرة يغني «انتظر حتى تشرق الشمس يا نيلي» حين اصطدمت الطائرة بقمة جبل شوجاربوش في فيرمونت . مات الجميع ما عدا بيلي ومساعد الطيار .

وكان أول من رأى مشهد الاصطدام مجموعة من الشباب النمساويين الذين كانوا يتدربون على التزلج في منتجع تزلج شهير هناك . تحدثوا لبعضهم باللغة الألمانية حين تفحصوا الأجسام المتبقية . كانوا يرتدون أقنعة ضد الرياح سوداء وبها فتحتان للعينين وقعبات حمر .

بدوا وكأنهم غوليووغز[١٤] ، وبدوا وكأنهم أناس بيض يتظاهرون بأنهم سود كي يُضحكوا الآخرين .

---

(١٤) الغوليووغز golliwogs هي شخصية خيالية سوداء اللون ظهرت في كتب الأطفال في أواخر القرن التاسع عشر . وتظهر عادة كلعبة أطفال قماشية تباع في أسواق اللعب . (المترجم)

كسرت جمجمة بيلي وكان لا يزال واعيا إلا أنه لم يكن يعرف أين هو بالضبط ، كانت شفتاه تتحركان ، اقترب أحد الغوليووغز بأذنه من فمه كي يسمع منه كلماته الأخيرة .

ظن بيلي أن هذا الغوليووغز سيفعل شيئا يتعلق بالحرب العالمية الثانية ، وهكذا همس بيلي له بمقر عنوانه « Schlachthöf-funf» .

حُمل بيلي إلى أسفل جبل شوجربوش عبر عربة تزلج . كان الغوليووغز يقودونها عبر الطريق الصحيح بواسطة حبال ، وكانت بجانبهم الأعمدة التي تحمل الكراسي المعلقة . نظر بيلي إلى أعلى إلى هؤلاء الشبان بملابسهم اللامعة والجميلة وأحذيتهم المميزة ونظاراتهم . كان الثلج يتساقط عليهم وهم يتأرجحون في السماء ، على الكراسي صفراء اللون ، وفكر بيلي في أنها الحقبة الجديدة الرائعة بعد الحرب العالمية الثانية . أما بالنسبة لوضعه فكل شيء على ما يرام ، وكل شيء تمام وممتاز بالنسبة له .

حُمل إلى مستشفى خاص صغير ، حيث جاء حديثا إلى هنا طبيب جراح مشهور من بوسطن وقام بعملية استغرقت ثلاث ساعات . غاب بيلي عن الوعي ليومين بعدها ، وحلم بملايين الأشياء كان بعضها حقيقيا ، والأمور الحقيقية كانت سفره عبر الزمن ، ومنها أول ليلة له في المسلخ . كان هو والعجوز المسكين ادجار ديربي يدفعان عربة ذات عجلتين فارغة

إلى أسفل ممر ترابي بين حظائر الحيوانات . وكانا يستعدان للذهاب إلى المطعم الجماعي ليتناولا العشاء . كان حارسهم ألمانيًا بعمر السادسة عشر اسمه وارنر غلوك ، وكانت محاور العربة مشحمة بزيوت مستخرجة من الحيوانات الميتة .

غربت الشمس ومن خلال شفقها ظهر المشهد الخلفي للمدينة ، كانت هنا منحدرات صغيرة حول الساحة الرعوية للمزارع المقفرة . كانت المدينة قد أقفرت لأنها يمكن أن تقصف في أي لحظة . وهكذا لم يستطع بيلي أن يستمتع بأهم منظر يمكن لمدينة جميلة أن تقدمه بعد غروب الشمس وهو أن يرى الأضواء تشتعل الواحدة بعد الأخرى .

كان هناك نهر واسع يمكنه أن يعكس هذه الأضواء لو وجدت ، وكان الليل ليصبح متعة للناظرين بحق . . وكان النهر هو نهر الألب .

كان الحارس الشاب ، وارنر غلوك صبيا من درسدن لم يدخل من قبل إلى مسلخ وهكذا لم يكن يعرف حتى مكان المطبخ . كان طويلا وضعيف البنية مثل بيلي ، وقد يكون له أخ أصغر منه وكان لديه في الحقيقة أقارب بعيدين لم يجدهم قط . كان غلوك مسلحا ببندقية موسكيت قديمة وثقيلة وغريبة ، كانت بندقية ذات طلقة واحدة ، قطعة أثرية غابرة بفوهة ثُمانية الشكل وشكل جميل . أصلح حربتها وكانت الحربة تبدو كمخرز حياكة طويل ، ولم تكن تحوي أي مزاريب دم .

قادهم غلوك عبر الطريق إلى المبنى الذي يعتقد أنه يحتوي المطبخ وفتح الباب المنزلق ، لم يكن المطبخ بل كان غرفة تغيير الملابس المجاورة للحمامات ، كان هناك الكثير من البخار ومن خلال البخار ظهرت حوالي ثلاثين فتاة لم يكن يرتدين شيئا . كن لاجئات ألمانيات من بيرسلاو المدينة التي قصفت بشكل همجي ، وقد كن قد وصلن للتو إلى درسدن ، وأصبحت درسدن تعج باللاجئين .

كانت الفتيات عاريات تماما ، وأمام الباب كان هناك غلوك وديربي وبيلغريم ، الجندي الصبي والعجوز مدرس الثانوية العامة والمهرج صاحب السترة والحذاء الفضي واقفين يحدقون . صرخت الفتيات وغطين أجسادهن بأيديهن واستدرن وما إلى ذلك ، وقد جعل هذا منهن فاتنات بشكل طاغٍ .

أغلق وارنر غلوك -الذي لم يكن قد رأى أي امراة عارية من قبل- الباب . لم يكن بيلي قد رأى واحدة أيضا ، ولم يكن هناك أي جديد بالنسبة لديربي .

وحين وصل الحمقى الثلاثة إلى المطبخ المشترك ، والذي كانت مهمته إطعام كل العمال في المسلخ ، كان الجميع قد ذهبوا ما عدا امرأة وحيدة كانت تنتظرهم نافذة الصبر ، كانت أرملة حرب ، وقد ارتدت قبعتها ومعطفها مستعدة للعودة إلى منزلها . وعلى الرغم من أنه لم يكن ثمة أحد هناك إلا أنها وضعت قفازاتها البيضاء جنبا إلى جنب فوق الكاونتر .

كانت قد أعدت وعائين كبيرين من الحساء للأمريكيين ، وكانا يغليان على نار هادئة فوق الموقد الغازي . وقد أعدت أيضا أرغفة الخبز الأسود وسألت غلوك ما إذا كان صغيرا جدا على الالتحاق بالجيش ، ووافقها غلوك على أنه كذلك .

وسألت ادجار ديربي عن كونه كبيرا جدا ليكون في الجيش ، فأجابها أنه كذلك فعلا .

ثم سألت بيلي بيلغريم عن نفسه ومن يكون ، فأجاب بيلي أنه لا يدري . . وأنه يحاول فقط أن يبقى دافئا .

«كل الجنود الحقيقيين ماتوا» قالت المرأة وكانت هذه هي الحقيقة .

ومن الأشياء الحقيقية التي رآها بيلي حين كان فاقدا لوعيه في المستشفى في فيرمونت كان العمل الذي كان يؤديه هو والأسرى الآخرين في درسدن خلال شهر كامل قبل أن تدمر المدينة .

كانوا يمسحون النوافذ والأرضيات وينظفون المراحيض ويعبئون الزجاجات في العلب ويختمونها ببطاقة المصنع الذي كان مصنع شراب الشعير .

كان المشروب غنيا بالفيتامينات والمعادن ، وكان مخصصا للنساء الحوامل .

كان طعمه يبدو كالعسل المخفف مع طعم جوز مدخن ، وكان كل العمال في المصنع يشربون منه طيلة اليوم ، رغم أنهم لم يكونوا حوامل ، لكنهم كانوا يحتاجون إلى الفيتامينات

والمعادن هم أيضا . لم يتذوقته بيلي في اليوم الأول لكن العديد من الأمريكيين معه تذوقوه بالملاعق .

وفي اليوم الثاني تذوق منه بالملعقة ، فقد كانت هناك ملاعق مخبأة في كل مكان في المصنع على العوارض الخشبية وفي الأدراج ووراء عجلة التروس وما إلى ذلك . كانت تلك الملاعق تخبأ على عجل من الناس الذين كانوا يشربون من المشروب حين يسمعون شخصا ما قادم ، لأن الشرب من البضاعة كان جريمة . كان هناك وراء بيلي وعاء تبريد المشروب ، والشخص الوحيد الذي كان بمقدروه أن يرى بيلي هو العجوز المسكين ادجار ديربي الذي كان يمسح النافذة من الخارج . كانت ملعقةَ طعام عادية . وفي اليوم الثاني وجد بيلي ملعقة بينما كان ينظف وراء عجلة التروس ، فأدخلها بيلي في وعاء التبريد وأدارها مرارا وتكرارا جاعلا منها شبه مصاصة ، ثم أدخلها في فمه وفي اللحظة التي تذوقها ضجّت كل خلية في جسد بيلي بالتهليل والشكر .

وعبر نافذة المصنع من الخارج شاهد ديربي كل ذلك ، وكان يرغب ببعض منه أيضا . وهكذا صنع بيلي مصاصة أخرى لأجله ، وفتح النافذة وأقحم الملعقة في فم العجوز المسكين ادجار ديربي المفتوح ، مرت لحظة ، نزلت بعدها دموع ديربي بغزارة! فجأة سمعوا شخصا ما آت وهكذا أغلق بيلي النافذة وخبأ الملعقة الدبقة .

الفصل الثامن

بعد يوم من قدومهم إلى المسلخ ، استقبل الأمريكيون زائرا مهما جدا قبل أن تُدمر مدينة درسدن . وكان الزائر هو هاورد دبليو كامبل الابن . الأمريكي الذي أصبح نازيا .

كان كامبل هو كاتب تلك الدراسة حول السلوكيات الرديئة لأسرى الحرب الأمريكيين ، ولم يكن هنا بصدد دراسة مماثلة ، بل كان قادما إلى المسلخ حتى يوظف رجالا لوحدة من الجيش الألماني تسمى «القوات الأمريكية الحرة» . كان كامبل منشئها وقائد الوحدة ، والتي أنشئت لتقاتل فقط على الجبهة الروسية .

ظهر كامبل بهيئة رجل عادي لكنه كان يرتدي زيا نظاميا من تصميمه وكان زيا مترفا . كان يرتدي قبعة كاو بوي بيضاء وحذاء كاوبوي أسود مزينان بالنجوم والصلبان المعقوفة . وكان قميصه أزرق اللون مزخرفا بأشرطة صفراء تمر من إبطيه إلى كاحليه ، بينما زين كتفيه برقعة تمثل صورة رمادية للينكولن في حقل ، أما على عضده فكانت هناك شارة حمراء تحوي صليب النازية أزرق اللون محاطا بدائرة بيضاء .

شرع كامبل يشرح معنى هذا الشعار في حظيرة الخنازير

أمام الأمريكيين ، وكان بيلي بيلغريم يغلي بسبب حموضة المعدة منذ أن غرف من مشروب الشعير ذلك طيلة اليوم في العمل ، وجعل الالتهاب عينيه تدمعان . ولهذا كانت صورة كامبل تبدو ضبابية لبيلي بفعل الماء المالح لدموعه .

«اللون الأزرق يعني السماء الأمريكية» قال كامبل .

«الأبيض هو رمز الجنس البشري الذي سيطر على القارة ، والذي جفف المستنقعات وأزاح الغابات وشق الطرق وبنى الجسور .

بينما يعبر الأحمر عن دماء الأمريكيين الوطنيين التي أريقت في سبيل المجد .»

أما جمهور كامبل فكانوا يستمعون إليه وهم نيام ، فقد عملوا بجد في مصنع المشروبات ثم قطعوا مسافة طويلة في الجو البارد حتى يعودوا إلى أماكنهم . بدوا شاحبين بعيون غائرة ، وكانت بشرتهم قد بدأت تتقرح بدمامل صغيرة وكذلك أفواههم وحلوقهم وأمعائهم .

كان مشروب الشعير الذي تناولوه في المصنع يحتوي على الفيتامينات والمعادن الضرورية فقط ، والتي يحتاجها كل إنسان .

عرض كامبل على الأمريكيين الآن الطعام ، اللحوم والبطاطا المهروسة والمرق وفطيرة اللحم المفروم ، في حال ما رغبوا بالانضمام إلى القوات الأمريكية الحرة ، وحالما يُهزم

الروس سيرحلون إلى سويسرا .

لم يتلقى أي اجابة .

«ستحاربون الشيوعيين عاجلا أو آجلا .

«لماذا لا تنهون هذا الأمر الآن إذاً؟»

وهكذا أدرك كـامـبل أنه لن يتلقى على كل حـال أي إجابة . رزح العجوز المسكين ديربي مدرس الثانوية المغبون على قدميه ، فيما بدا أنها أجمل لحظة في حياته .

ربما لاحظتم أنه لا توجد أي شخصيات رئيسية في هذه القصة ، وفي الغالب لا توجد أي مواجهات دراماتيكية ، وهذا لأن معظم الأشخاص فيها أناس مرضى ولأنهم مجرد لُعب في يد قوى كبرى . وأحد أهم الآثار الرئيسية للحرب ، بالأحرى النتائج ، هي أن الناس تجبن على أن تكون الشخصية الرئيسية ، لكن العجوز ديربي كان هو الشخصية الرئيسية الآن .

كان ديربي يجثو وكأنه ملاكم ضرب بلكمة وهو في حالة ذهول . كـان مطأطئ الرأس ويداه إلى الأمـام ينتظر المعلومـات وخطة المعركة . رفع ديربي رأسه ونادى كامبل بالثعبان . ثم قال أن الثعابين لا ذنب لها في كونها ثعابين ، لأنها لا يمكن أن تكون شيئا آخر . لهذا فكامبل هو شيء أقل من ثعبان ، وأقل من فأر بل وحتى من برغوث . وابتسم كامبل .

تحدث ديربي بشكل مؤثر عن الشكل الأمريكي للحكم والحرية والعدالة والفرص المتاحة بشكل عادل للجميع ثم قال

أنه لا يوجد رجل لا يود الموت بسرور من أجل قيم عليا كهذه .

ثم تكلم عن الأخوّة بين الشعبين الأمريكي والروسي وكيف أن هذين القوتين ستسحقان وباء النازية الذي يريد أن ينتشر في العالم أجمع .

وهنا بدأت صفارات الانذار في مدينة درسدن تعوي بحزن .

دخل الأمريكيون وحارسهم وكامبل الملجأ والذي كان عبارة عن خزانة تبريد اللحوم التي كانت منحوتة تحت صخرة أسفل المسلخ ، كان هناك سلم حديدي بأبواب فولاذية في الأسفل وفي الأعلى .

أسفل في المخزن ، كانت هناك عدة لحوم من البقر والماشية والخنازير والأحصنة معلقة بسنانير حديدية ، وكان المخزن يحوي آلاف السنانير الفارغة الأخرى . وكان باردا بشكل طبيعي دون تبريد صناعي ، كان هناك ضوء قنديل ، وكان لون المخزن أبيضا وذو رائحة حامض الكربوليك ، وكانت هناك مقاعد على طول الجدار . نظف الأمريكيون المقاعد من قشور الطلاء الأبيض قبل أن يجلسوا عليها .

ظل هاوارد دبليو كامبل الابن واقفا ، مثله مثل الحرس ، وكان يتكلم للحراس بألمانية ممتازة ، فقد كتب قديما عدة مسرحيات ألمانية شعبية وأشعارا ، وتزوج من ممثلة ألمانية مشهورة اسمها ريزي نورث لكنها ميتة الآن ، فقد قتلت أثناء

تأديتها لعروض ترفيهية للقوات الألمانية في القرم .

لم يحدث شيء تلك الليلة ، أما الليلة التي تليها فكانت هي الليلة التي مات فيها مئة وثلاثون ألف إنسان في درسدن . وغفا بيلي في مخزن اللحوم ، فوجد نفسه مجددا يعود إلى كلمات ابنته كلمة كلمة وإيماءة إيماءة والتي بدأت كالتالي :

- أبي ما الذي سنفعله معك الآن؟

- هل تعرف من هو الشخص الذي أود فعلا قتله؟ سألته .

قال بيلي : من؟

- هذا الكيلغور تروت .

كان كيلغور تروت كاتب قصص خيال علمي . وبالطبع لم يكن بيلي قد قرأ العديد والعديد من كتبه وحسب بل أنه قد صار صديقه ، وقد كان تروت رجلا منبوذا .

كان تروت يعيش في طابق سفلي مستأجر في ايليوم ، على بعد ميلين من منزل بيلي الأبيض الجميل . ولم يكن يعلم هو نفسه كم رواية كتب تحديدا ، ربما كتب خمسا وسبعين ، ولا واحدة منها عادت عليه بالمال . وهكذا وضع تروت روحه وجسده كعامل توصيل لجريدة «ايليوم غازيتي» يشرف على الصبية موزعي الجرائد ويخوف ويغري ويغش الأولاد الصغار .

قابله بيلي لأول مرة في سنة ١٩٦٤ ، حيث كان بيلي يقود سيارته الكاديلاك عبر زقاق خلفي في ايليوم عندما وجد طريقه

مقطوعا من طرف عشرات الصبية على دراجاتهم . كان هناك اجتماع ما ، وكان الصبية يستمعون لرجل ذو لحية ، كان يبدو ضعيفا لكنه خطير . ومن الواضح أنه يجيد عمله للغاية .

كان عمر تروت اثنين وستين سنة ، أخبرهم أن يتحركوا بمؤخراتهم عديمة النفع إلى زبائنهم اليوميين ليجعلوهم يشتركون في طبعة الأحد اللعينة . قال أيضا أن الذي يبيع أكبر عدد ممكن من نسخ الأحد خلال فترة الشهرين القادمة سيحصل على رحلة مجانية له ولوالده إلى فينيارد اللعينة لمدة أسبوع شاملة كل المصاريف ، وما إلى ذلك .

كان أحد صبية الجرائد هؤلاء فتاة في الحقيقة ، وبدت متحمسة جدا .

كان وجه تروت المخيف مألوفا بشكل مثير لبيلي ، فقد سبق أن رآه على أغلفة العديد من الكتب ، وحين صادف فجأة هذا الوجه في زقاق خلفي بمدينته ، لم يتمكن بيلي من معرفة لماذا يبدو له هذا الوجه مألوفا ، ففكر أنه ربما عرف هذا المسيح المزيف في درسدن في مكان ما . بدا تروت بالتأكيد كأسير حرب .

كانت فتاة الجرائد قد رفعت يديها تسأل «مستر تروت لو فزت أنا هل يمكن أن آخذ شقيقتي معي أيضا؟»

- بالتأكيد لا! هل تعتقدين أن النقود تنمو على الأشجار؟

وكان تروت بالمناسبة ، قد كتب كتابا حول شجرة النقود

التي كانت أوراقها من فئة العشرين دولارا وكانت أزهارها سندات حكومية وثمارها كانت من الألماس تجتذب البشر الذين يقتلون بعضهم البعض فوق جذورها مما يوفر مادة جيدة جدا لتسميد التربة .

ركن بيلي بيلغريم سيارته في الزقاق وانتظر انتهاء الاجتماع ، وعندما انفضت الجلسة كان لا يزال هناك صبي يحدثه تروت ، كان الصبي يريد أن يستقيل لأن العمل كان صعبا جدا والساعات طويلة جدا والمقابل ضئيل للغاية .

وكان تروت مهتما بالموضوع لأنه بالطبع وفي حالة استقالة الصبي سيضطر إلى توزيع نصيبه من الجرائد في الأمكنة التي كان يوزع لها الصبي حتى يجد أبلها آخر يقوم بهذا .

«أنت ماذا؟» سأل تروت الصبي بتهكم .

« هل هذا نوع من التساؤل الجبان؟» وكان هذا أيضا عنوان كتاب لتروت . التساؤل الجبان . وكان عن رجل آلي ، كان ذا رائحة فم كريهة ثم أصبح مشهورا بعد أن شفي من ذلك . لكن ما جعل هذه القصة رائعة منذ كتابتها سنة ١٩٣٢ هو توقعها بإنتشار استعمال الغازولين الهلامي المشتعل ضد البشر .

كان هذا الغازولين الهلامي يلقى من على الطائرات ، وكان الآليون يفعلون ذلك ، إذ لم يكن لديهم أي وعي . ولا توجد أي دوائر تجعلهم يتخيلون ما الذي يمكن أن يحدثه ذلك للبشر على الأرض .

كان الآلي في قصة تروت يشبه البشر في الهيئة ويستطيع الحديث والرقص وما إلى ذلك . بل ويمكن أن يواعد الفتيات أيضاً . لم ينتقده أحد لأنه كان يلقي النابالم على البشر ، لكنهم لم يغفروا له رائحة فمه الكريهة . ولكن وعندما شفي بعد ذلك من هذا الداء رُحب به بين الجنس البشري .

خسر تروت جداله مع الصبي الذي يريد أن يتوقف عن العمل ، حتى عندما حكى تروت للصبي عن كل الأغنياء الذي كانوا يوزعون الصحف في صباهم ، فرد الصبي :

- نعم لكن أراهن أنهم توقفوا بعد أسبوع . إنه مجرد عمل لا طائل من ورائه .

ترك الصبي حقيبة الجرائد قرب قدمي تروت ودفتر الزبائن أعلاه وكان على تروت أن يوزع الآن هذه الجرائد ، ولم يكن يملك سيارة ولا حتى دراجة ، وكان يخاف جدا من الكلاب .

نبح كلب كبير من مكان ما .

وعندما كان تروت يعلّق الحقيبة على كتفه بحزن ، اقترب منه بيلي بيلغريم وسأله :

- مستر تروت .

- نعم

- هل أنت كيلغور تروت؟

«نعم »قال تروت ذلك وهو يعتقد أن لدى بيلي شكوى حول توزيع الجرائد . لم يتصور نفسه ككاتب لسبب بسيط ،

وهو أن العالم لم يكن يسمح له أن يفكر بنفسه ككاتب .

- الـ الكاتب؟

- الـ ماذا؟

تأكد بيلي الآن أنه أخطأ ، فقال :

- هناك كاتب اسمه كيلجور تروت .

- هل هناك فعلا كاتب بهذا الاسم؟ بدا تروت حائرا ومشوشا .

- ألم تسمع به مطلقا؟

هز تروت رأسه نافيا «لا ، لم يسمع به أحد من قبل .»

ساعد بيلي تروت في توزيع جرائده موصلا إياه من منزل إلى آخر بالسيارة الكاديلاك . كان بيلي هو من يقوم بذلك . يجد المنازل ويقوم بشطبها من القائمة لأن عقل تروت كان مشدوها ، لم يكن قد قابل معجبا بكتاباته من قبل . وكان بيلي معجبا متحمسا له .

أخبره تروت أنه لم ير من قبل أي إعلان عن أي كتاب له أو حتى مجرد مراجعة ولم يره قط على رفوف المتاجر للبيع .

- كل هذه السنوات أفتح النافذة كل يوم وأمنح الحب للعالم .

- لكنك بالتأكيد كنت تتلقى الرسائل ، فكرت أن أكتب لك مرات كثيرة .

عقد تروت باصبعه واحدا . «فقط واحدة»

- وهل كانت رسالة مشجعة؟

- كان مجنونا . قال كاتبها أنه ينبغي أن أكون رئيس العالم .

فكر بيلي في أن الشخص الذي كتب هذا قد يكون ايليوت روزواتر ، صديق بيلي في مستشفى قدامى المحاربين بالقرب من لايك بلايسد . أخبر بيلي تروت عن روزواتر .

- يا الهي لقد اعتقدت أنه صبي في الرابعة عشر .

- رجل ناضج وبالغ برتبة كابتن في الحرب .

- كتاباته بدت وكأنه في الرابعة عشر .

دعا بيلي تروت إلى حفلة ذكرى زواجه الثامنة عشر والتي كانت بعد يومين فقط من الآن ، وقد آن موعد الحفلة الآن .

كان تروت في غرفة بيلي للطعام يأكل المقبلات ، وكان يتكلم مع زوجة أخصائي البصريات وفمه مليء بجبنة فيلادلفيا والسلمون البحري . كان كل واحد في الحفلة يرتدي نظارات بشكل ما عدا تروت فقد كان الوحيد بدون نظارات ، وقد حظي بشعبية كبيرة هنا ، فكل واحد كان يريد أن يحظى بكاتب حقيقي في الحفلة ، حتى لو لم يقرأ أبدا كتبه .

تحدث تروت إلى ماغي وايت والتي تخلت عن حلمها في أن تكون مساعدة طبيب أسنان لتكون ربة منزل أخصائي بصريات . كانت جميلة جدا وآخر كتاب قرأته كان رواية ايفانهو . كان بيلي بيلغريم على مقربة منهما يستمع ، وكان

يتحسس شيئا ما في جيبه . كان الهدية التي حضرها ليقدمها لزوجته . كانت علبة مربعة من الساتان الأبيض تحتوي خاتم ياقوت على شكل نجمة ، وكان الخاتم بثمن ثمانمائة دولار .

أثّر التملق الطائش والأحمق ، والذي حظي به تروت هنا فيه كحشيش الماريجوانا ، فكان سعيدا ومنتشيا ويتحدث بصوت عال ويتصرف بوقاحة .

- أخشى أنني لم أقرأ بما فيه الكفاية . قالت ماغي .

- كلنا نخشى من شيء ما ، رد تروت . «فأنا أخاف السرطان والجرذان وكلاب الدوبرمان»

- أعتقد أنه ينبغي أن أعرف هذا لكنني لا أعرفه . . إذاً ما هو الشيء الأكثر شهرة الذي كتبته؟

- كان حول جنازة طباخ فرنسي عظيم .

- يبدو مهما .

- كل طباخي العالم كانوا هناك . كانت جنازة جميلة . وواصل تروت كلامه ، «فقط وقبل أن يغلق التابوت ألقى المشيعون البقدونس والفلفل الحلو على المتوفي» .

سألت ماغي : هل حدث هذا فعلا؟

كانت فتاة بريئة ، لكن ومن الناحية الظاهرية كانت تبدو وكأنها تقدم دعوة اغراء طاغية لانتاج الأطفال . كان الرجال ينظرون إليها راغبين في إخصابها بالأطفال فورا . لكنها لم تكن قد أنجبت بعد ، كانت تستخدم مانع الحمل .

- بالطبع حدث هذا . قال تروت .

- لو كتبت شيئا لم يحدث فعلا ، وحاولت أن أبيعه يمكن أن يؤدي بي هذا للسجن لأنه احتيال .

صدقته ماغي .

- لم أفكر بهذا من قبل .

- فكري به الآن .

- الأمر يشبه الاعلانات ، يجب أن تقول الحقيقة في الإعلان أو أنك ستتعرض للمشاكل .

- بالضبط نفس القوانين تطبق على الكتابة .

- هل تعتقد أنك ستكتب عنا في كتبك يوما ما؟

- كل ما يحدث لي أكتبه .

- أعتقد إذا أنه يجب علي أن أنتبه لما أقوله هنا .

- هذا صحيح لكنني لستُ الوحيد الذي يستمع إليك ، الله أيضا يسمعنا وفي يوم القيامة سيخبرك بكل ما قلته أو فعلته ولو اتضح أنها أفعال سيئة سيكون هذا سيئا لك أيضا ، لأنك ستحترقين وتتألمين لأبد الآبدين .

شحب لون ماغي المسكينة ، كانت تؤمن بهذا أيضا ، وتصلبت .

ضحك كيلغور تروت بشكل صاخب وطارت بيضة سلمون من فمه لتستقر على صدر ماغي .

وفي هذا الوقت جلب أخصائي بصريات انتباه الجميع

ليشربوا نخب بيلي وفالنسيا في احتفالهم بذكرى الزواج . وحسب برنامج الحفل ، فقد أدت فرقة البارابرشوب الموسيقية المكونة من أخصائيي البصريات الأربع (الفيبز) أغنية بينما كان الجميع يشرب ، ووضع بيلي وفالنسيا الذراع في الذراع ، فبديا متألقين وكانت عيون الجميع تتلألأ . كانت الأغنية هي أغنية «اولد غانغ اوف ماين» والتي تقول في بعض كلماتها وداعا أصدقائي وصديقاتي . للأبد . . .وداعا للأبد أحبائي الأعزاء وليبارك الله زملائي . . الخ .

وبشكل غير متوقع وجد بيلي نفسه مستاء من الأغنية ومن المناسبة ككل ،لم يكن لديه أبدا أي مجموعة أصدقاء قديمة ولا أحباء قدامى ولا زملاء ،لكنه نسي واحدا على أية حال . وبينما كانت الفرقة تعزف بجهد لحنا حادا على الأوتار متعمدين ذلك . . مقطع حاد . . لا يزال حادا . . حادا بشكل لا يحتمل ومن ثم مقطع آخر كان جميلا وحلوا بشكل استثنائي ، ثم تلته بعض المقاطع الحادة أيضا . كان بيلي يستجيب بشكل نفساني وجسماني حسب تغيرات الأداء الموسيقي ، وكان فمه مليئا بمذاق الليموناضة اللاذع ، وأصبح وجهه بشعا كما لو كان فعلا قد أُوثق على كرسي تعذيب .

بدا غريبا جدا للعديد من الأشخاص الذين تقدموا إليه بلطف سائلين عن حالته بعد انتهاء الأغنية . كانوا يعتقدون أنه ربما تعرض لنوبة قلبية ، وبدا بيلي وكأنه يؤكد لهم ذلك حين

أسرع إلى أقرب كرسي وجلس عليه متهالكا .

خيم الصمت .

قالت فالنسيا «اوه ، يا الهي» وهي تميل عليه .

- بيلي هل أنت بخير؟

- نعم

- لقد بدوت بشكل فظيع للغاية .

- أنا فعلا بخير .

وكان بيلي فعلا بخير عدا أنه لم يعلم السبب الذي جعل هذه الأغنية تؤثر فيه بشكل مريع هكذا . ظن بيلي أنه ومنذ سنوات لم يعد هناك أي شيء سرا بينه وبين نفسه . وها هنا دليل على أنه لا يزال يحمل سرا كبيرا في مكان ما داخله . ولم يستطع أن يتصور ما هو هذا السر .

ابتعد الناس الآن عنه حين رأوا أن لون خديه قد عاد طبيعيا ، وحين لاحظوا ابتسامته . أما فالنسيا فبقيت هي وكيلغور تروت أيضا والذي كان في هامش الحشد ، فاقترب مظهرا الاهتمام بتصنّع .

قالت فالنسيا «بدوت كما لو أنك رأيت شبحا»

- لا . قال بيلي . لم يكن بيلي قد رأى أي شيء لكن السبب في حدوث هذا كان هو وجوه هؤلاء المغنين الأربع ، هؤلاء الرجال الأربعة العاديين ذوي العيون الحزينة ، الطائشة والمعذبة والذين انتقلوا في آدائهم الموسيقي من الروعة إلى

الحدة إلى الروعة مجددا .

«هل يمكن أن أخمن» قال كيلغور تروت .

- لقد كنت تلقي نظرة من نافذة الزمن؟

- ماذا؟ قالت فالنسيا .

- فجأةً رأى بيلي الماضي أو المستقبل . . هل أنا محق؟

- لا . قال بيلي بيلغريم ونهض ووضع يده في جيبه ووجد العلبة التي تحتوي الخاتم هناك فأخرجها وقدمها بذهول إلى فالنسيا . كان ينوي أن يقدمها لها في نهاية الأغنية تحت أنظار الجميع ، الآن كان كيلجور هو الوحيد الذي يرى هذا .

- من أجلي؟ . قالت فالنسيا .

- نعم .

- يا إلهي! هتفت بصوت عالي مما أثار انتباه الآخرين فتجمعوا حولهم ، وفتحتها ، وأوشكت على الصراخ عندما رأت فص الياقوت الذي يحوي نجمة عليه . «يا إلهي» ومنحت بيلي قبلة كبيرة . . «شكرا لك ، شكرا لك ، شكرا لك .»

ومن ثم جرى حديث طويل حول روعة المجوهرات التي قدمها بيلي لفالنسيا على مدى سنوات . «يا الهي» قالت ماغي وايت «لديها بالفعل أكبر ماسة رأيتها في حياتي» وكانت تعني الألماسة التي عاد بها بيلي من الحرب .

وبالمناسبة فإن جزء طاقم الأسنان الذي كان بيلي قد وجده في معطف الموسيقي كان الآن في علبة مخصصة لأزرار

الأكمام في خزانة ملابسه . كان بيلي يملك مجموعة مميزة من أزرار الأكمام . وكانت من عادة الأسرة أن تهديه أزرار الأكمام كلما حل عيد الأب . كان يرتدي إحداها الآن ، وكان ثمنها يزيد عن المائة دولار ، لأن الأزرار صنعت من احدى العملات الرومانية القديمة . وكان يملك أيضا في خزانته بالأعلى زوجا من أزرار الأكمام التي كانت عبارة عن عجلتي روليت تعملان فعلا ، ويملك زوجا آخر من الأزرار في أحدهما ميزان حرارة يعمل وفي الآخر بوصلة حقيقية .

غادر بيلي الآن الحفلة بشكل عادي وكان كيلغور يتبعه كظله ، مشغوفا بمعرفة ما الذي رآه بيلي هناك . . كانت معظم روايات تروت تتحدث عن الالتواءت الزمنية والادراك الحسي الفائق والأشياء غير المتوقعة الأخرى . كان تروت يؤمن بهذه الأشياء فعلا وكان متحمسا كي يثبت وجودها أو يجد أدلة عليها .

- هل وضعت مرة مرآة على طول الأرضية ومن ثم أوقفت كلبا عليها؟ سأل تروت بيلي .

- لا .

- سينظر الكلب إلى الأسفل وفجأة يدرك أنه لا يقف على شيء ويعتقد أنه يقف على الهواء وسيقفز بجنون .

- حقا؟

- هذا ما ستفعله لو أدركت فجأة أنك تقف على الهواء .

بدأت فرقة الباربرشوب الغناء مجددا وبدأ بيلي بالتفاعل عاطفيا معها مجددا ، كانت هذه التجربة دون شك تتعلق بهؤلاء الأربعة المغنين لا بما يغنونه . كانوا يغنون هذه الأغنية فيما انسحب بيلي إلى الداخل :

القطن بسبع سنتات واللحم بأربعين .
كيف للرجل الفقير أن يعيش في هذا العالم؟
صلوا من أجل شروق الشمس لأنها ستمطر قريبا
والأمور ستصبح أسوأ . . . وتدفع الجميع للجنون .
ابنِ باراً واطلي جدرانه باللون البني
الأضواء ستأتي لاحقا وتجعله مشعّاً
لا فائدة من التحدث لرجل محظوظ
مع القطن بسبع سنتات واللحم بأربعين
سبعة سنتات للقطن حمولة ثقيلة من الضرائب
والحمل ثقيل جدا على ظهور فقرائنا .
وما إلى ذلك . . . .

انسحب بيلي إلى الطابق العلوي من منزله الأبيض الجميل .

كان تروت يود اللحاق به إلى الطابق العلوي لو لم يمنعه بيلي من ذلك . ذهب بيلي عبر الدرج إلى الحمام الذي كان مظلما فأغلق الباب بالقفل ، ولم يشعل الضوء لكنه أدرك ببطء أنه ليس وحده ، فقد كان ابنه هناك أيضا .

« أبي؟» قـــال ابنه من داخل الظلام ، روبرت جندي القبعات الخضر المستقبلي ، كان عمره سبع عشرة سنة آنذاك . كان بيلي يحبه لكنه لم يكن يعرفه بشكل كبير ، ولم يستطع منع نفسه من الاعتقاد بأنه لا يوجد الكثير لمعرفته عن روبرت . فتح بيلي الضوء ، كـان روبرت يجلس على مقـعـد المرحاض وبيجامته تحيط بقدميه ، كانت هناك بين يديه غيتارة الكترونية بحزام حول عنقه ، كان قد اشترى هذه الغيتارة هذا اليوم لكنه لم يكن يستطيع العزف بها بعد ، وفي الحقيقة لم يتعلم أبدا العزف عليها ، وقد كانت بلون وردي متلألأ .

- مرحبا بني قال بيلي بيلغريم .

ذهب بيلي إلى غرفة النوم مع علمه أن هناك ضيوفا يجب عليه أن يقابلهم في الطابق الأول . تمدد على السرير وشغل الأصابع السحرية ، وبدأ السرير بالاهتزاز عندما خرج كلب من تحت السرير وتمدد مجددا في الزاوية . كان ذاك هو «سبوت» ، سبوت الحبيب اللبيب الذي كان لا يزال حيا آنذاك .

فكر بيلي بعمق في التأثير الذي أحدثه الرباعي الموسيقي عليه . ومن ثم وجد أن هناك علاقة مع تجربة كان قد مر بها من قبل في الماضي البعيد ، لم يسافر عبر الزمن إلى هذه الحادثة بل تذكرها بوضوح كالآتي :

كان هناك في الأسفل في مخزن اللحوم في الليلة التي دُمرت فيها مدينة درسدن ، وكانت هناك أصوات وكأنها

خطوات عـمـالقـة في الأعلى ، كـانت تلك أصـوات القنابل شـديدة الانفجار . استـمر العـمالقة بالمشي والمشي لكن مخزن اللحوم كان ملجأ آمنا جدا . وكل ما أصابه كان رذاذا من الطلاء الأبيض تـساقط عليـهم . كـان الأمـريكيـون وأربع من حـراسـهم وبعض الجثث المغطاة هناك في الأسـفل ولا أحـد غـيرهم . كـان باقي الحراس قد ذهبوا إلى منازلهم قبل بدء الهـجوم وقُتلوا هم وعائلاتهم تحت القصف .

أما الفتيات اللائي رآهن بيلي عاريات فكن قد قتلن كلهن في ملجأ أقل عمقا من المخزن في مكان ريفي ما بدرسدن .

كان أحـد الحراس يتردد على الـدرج ليرى كـيف يبدو الأمر خـارجـا ، ثـم ينزل إلـى الأسـفل ويهـمس للحـراس الآخـرين . كـانت هناك عـاصـفة نارية خـارج درسـدن ، ثم أصـبـحت شـعلة كـبيرة واحـدة تأكل الأخـضـر واليـابس ، واشـتـعل كل مـا أتـت عليه ، ولـم يكـن من الآمن أن يخرجوا من الملجأ حتى ظهر اليوم التالي .

ولما خـرج الأمـريكيـون وحـراسـهم خـارج ملجـأهم كـانت السـمـاء مظلمـة بالدخـان وكـانـت الشـمـس بحـجـم رأس دبوس تكافح غاضبة للظهور . أصبحت درسدن كسطح القمر لا شيء عليـهـا عـدا المعـادن . كـانت الحـجـارة سـاخنة ، وكل شـخـص بالجوار كان قد قتل .

كـان الحـراس يلتـفـتـون ويمررون أعـينهم هنا وهناك بشكل

غريزي ، كانوا يحاولون رؤية تعابير وجوه بعضهم البعض . لم ينبسوا بكلمة ، رغم أن أفواههم كانت مشدوهة وفاغرة ، كانوا يبدون وكأنهم فيلم صامت لفرقة الباربرشوب الرباعية . .

«للأبد . . .» هكذا كانوا ربما يغنون .

«أصدقائي القدامى زملائي . . وداعا لأبد الآبدين .»

«أحبائي وزملائي ليباركهم الله . .»

« احكِ لي قصة» قالت مونتانا وايدهاك إحدى المرات لبيلي بيلغريم في حديقة حيوانات ترالفمادور حين كانا على الفراش بجانب بعضهما . كان يتمتعان بالخصوصية ، وكانت هناك مظلة تغطي القبة . كانت مونتانا حاملا في الشهر السادس ، كبيرة ومتوردة ، وكانت تطلب بكسل من بيلي القيام ببعض الأمور من حين لآخر . لم تكن تستطيع أن ترسل بيلي خارجا ليشتري لها الآيس كريم أو الفراولة ، لأن الجو خارج القبة كان ساما وأقرب مكان توجد فيه الفراولة والآيس كريم كان على بعد ملايين السنوات الضوئية .

لكنها كانت تستطيع ارساله إلى الثلاجة والتي كانت مزينه بزوجين يركبان دراجة ثنائية أو يمكنها الآن أن تتدلل وتقول له «احك لي حكاية يا ولد يا بيلي!»

دُمرت درسدن في ليلة الثالث عشر من فيفري سنة ١٩٤٥ ، وخرجنا من ملجأنا في اليوم التالي . وأخبر بيلي مونتانا عن الحراس الأربعة الذين كانوا معهم وعن ذهولهم

وحزنهم . وأن ذلك يشبه فرقة الباربرشوب الرباعية . أخبرها عن الضواحي الريفية وتلاشي أسيجتها وكذلك السقوف والنوافذ . وأخبرها عن رؤيته للأشلاء المتناثرة لأناس أكلتهم العاصفة النارية المشتعلة .

وأخبرها بيلي عما حدث للمباني التي كانت تحيط بالمزارع الريفية إذ دمرت تماما ، كانت النار قد التهمت حجارتها وأخشابها ، بينما تحطمت حجارتها وتراكمت فوق بعضها البعض مشكلة أكواما ملأت منحدرات التلال .

- كانت تشبه سطح القمر . قال بيلي بيلغريم .

أمر الحراس الأسرى الأمريكيين بأن يصطفوا كل أربعة منهم في صف . وهكذا فعلوا ، ثم مشوا عائدين إلى حظيرة الخنازير التي كانت منزلهم آنذاك . كانت الجدران لا تزال قائمة لكن النوافذ والسقف تلاشت . ولم يكن هناك شيء في الداخل عدا الرماد وكتل الزجاج المنصهر . أدركوا أنه لا يوجد شيء ، لا طعام ولا ماء ، وكل ما فعله الناجون الذين أرادوا البقاء على قيد الحياة هو صعود تلك الأكوام ، الكومة بعد الكومة على سطح القمر هذا ، وهذا ما فعلوه .

كانت تلك الحفر تبدو ناعمة من بعيد لكن عند تسلقها ندرك أنها مكونة من حجارة ساخنة خشنة وكانت هناك حجارة كبيرة غير ثابتة في وضعيتها وتتساقط وتسبب التعثر عند تسلقها .

لم يتحدثوا كثيرا ، مقارنة مع ما تحدثت به البعثة التي حطت على سطح القمر ، لم يكن هناك شيء مهم لقوله ، أما الشيء الواضح الوحيد فكان دون شك أن كل شخص في هذه المدينة كان ميتا . وبغض النظر عن المكان الذي كانوا فيه ، لو كان هناك شخص آخر يسير على سطح القمر لتبين أن هناك خللا واضحا في تصميم التمثيلية وبالتالي فإنه لم يكن هناك أي رجال حطوا على القمر .

كانت الطائرات المقاتلة الأمريكية تطير تحت الدخان لرؤية ما إذا كان هناك أي شيء يتحرك . ورأوا بيلي والبقية يتحركون هناك . أطلقت عليهم الطائرات المدفع الرشاش لكنها أخطأتهم . ثم رأوا أناساً آخرين يسيرون على ضفة النهر فأطلقوا عليهم النار وأصابوا بعضهم وكان الهدف من ذلك هو التعجيل قدر الامكان في وضع نهاية للحرب .

انتهى الأمر ببيلي على نحو غريب في ضاحية لم تطلها النيران أو المتفجرات . ووصل الحراس والأمريكيون بحلول الليل إلى فندق كان مفتوحا ، وكان هناك ضوء قنديل ومواقد في المكان ، وكانت هناك طاولات شاغرة وكراسي تنتظر أي أحد متوقع أن يأتي . كانت هناك أيضا أسرة وأغطية في الطابق العلوي .

كان صاحب الفندق ضريرا ، وكانت زوجته طباخة في الفندق ، وبناته كن خادمات ونادلات . كانت العائلة تعلم أن

درسدن قد دمرت ، فقد رأوا الانفجارات وسمعوا صوتها ، وكانوا يعلمون أنهم الآن على حافة صحراء مقفرة . لكنهم ظلوا يعملون فاتحين فندقهم ، لمعوا الكؤوس ، ضبطوا الساعة وأججوا المواقد وانتظروا وانتظروا ليروا من يمكن أن يأتي إلى هنا . لم تكن هناك أعداد كبيرة من اللاجئين مِن درسدن . دقت الساعات وذابت الشموع ، حينها سمعوا طرقا على الباب ، وكان على الباب أربع حراس ومئة أسير حرب أمريكي .

سأل صاحب الفندق الحراس ما إذا كانوا قد أتوا من المدينة؟

- نعم

- هل هناك أناس آخرون قادمين؟

أخبره الحراس أنهم وخلال الطريق الوعر الذي اختاروه لم يروا أي روح حية .

قال صاحب الفندق أن بإمكان الأمريكيين أن يبيتوا في الاسطبل هذه الليلة وسيقدم لهم الحساء والقهوة وبعض النبيذ ، ثم خرج إلى الاسطبل ليستمع إليهم يهيئون التبن ليناموا عليه ، فقال لهم بالألمانية «طابت ليلتكم أيها الأمريكيون ، نوما هنيئا» .

الفصل التاسع

إليكم كيف فقد بيلي بيلغريم زوجته فالنسيا : كان في غيبوبة في مستشفى بفيرمونت بعد اصطدام الطائرة بجبل شوجربوش ، فسمعت فالنسيا عن الاصطدام ومن ثم قادت من ايليوم إلى المستشفى بسيارة العائلة «الكاديلادك الدورادو كوب دي في» . كانت هستيرية لأنه بلغها أن بيلي قد يموت أو في حالة ما لم يمت فإنه سيبقى في غيبوبة .

كانت فالنسيا تحب بيلي ، وكانت تبكي وتنتحب بشدة وهي تقود حتى أنها فقدت الطريق الجانبي من الطريق السريع الرئيسي ، وهكذا ضغطت بشدة على المكابح فصدمتها مرسيدس من الخلف . لم يُصب أحد والحمد لله ، لأن كلا السائقين كانا يرتديان حزام الأمان ، الحمد الله الحمد لله . فقدت المرسيدس أحد مصابيحها الأمامية ، لكن الجزء الخلفي من الكايدلاك كان قد تحطم ، تدمرت مصداتها والصندوق الخلفي . . كان الصندوق الخلفي يشبه فم قروي أخرق مفتوح على آخره ، لا يعرف أي شيء عن أي شيء . كان المصد العلوي يحمل ملصقا يقول «ريغان رئيساً» أما النافذة الخلفية

فقد أصيبت بشقوق ، وبالنسبة لعادم السيارة فكان ملقىً على الرصيف .

خرج سائق المرسيدس وهرع إلى فالنسيا لكي يتأكد ما إذا كانت بخير . كانت تتحدث بهستيريا عن بيلي وعن اصطدام الطائرة وكيف اتخذت الطريق الاحتياطي في الطريق السريع تاركة العادم ورائها .

وعندما وصلت إلى المستشفى هرع الناس إلى النوافذ كي يروا ما وراء كل هذه الضجة . الكاديلاك وبفقدانها كاتمات الصوت في العادم كانت تصدر صوتا كطائرة مقاتلة عائدة ومستمرة في الطيران فقط بفضل بَرَكة الريح والدعاء .(١٥)

أوقفت فالنسيا المحرك ومال رأسها على عجلة القيادة مطلقا بوق السيارة بشكل مستمر ، هرع الطبيب واحدى الممرضات خارجا ليروا ما المشكلة .

كانت فالنسيا المسكينة غائبة عن الوعي ، وقد تسممت بأول أوكسيد الكربون ، كانت بلونٍ أزرق غامق . ولاحقا وبعد ساعة فارقت الحياة .

لم يعلم بيلي بهذا . كان يحلم ويسافر عبر الزمن وما إلى

(١٥) بَركة الريح والدعاء . مثل أمريكي شعبي مصدره أغنية وطنية حماسية أمريكية صدرت في الحرب العالمية الثانية تحكي عن قصة طائرة مقاتلة تضررت بشدة وتناضل من أجل عودتها للوطن فقط ببركة الرياح والصلوات . كتب الكلمات هارولد ادامسون ولحنها جيمي مك-هوغ . (المترجم)

ذلك . كان المستشفى مزدحما لدرجة أن بيلي لم يكن وحده في الغرفة ، فقد كان يشاركها مع بروفسور التاريخ في هارفارد يدعى بيرترام كوبلاند رامفورد . لم يكن رامفورد يرى بيلي لأنه كان محجوبا بستائر بيضاء متحركة حول سريره لكنه كان يستمع إلى بيلي يحدث نفسه من حين لآخر .

كانت ساق رامفورد اليسرى محاطة بالشاش الطبي ، فقد كسرت خلال التزلج . كان عمره سبعون سنة لكنه كان يملك روح وجسد رجل بنصف هذا العمر . كان في شهر عسله مع زوجته الخامسة حين كسرت ساقه ، كان اسمها ليلي ، وليلي كانت بعمر الثالثة والعشرين .

وفي الوقت الذي أعلن فيه موت فالنسيا المسكينة كانت ليلي قد أتت إلى غرفة بيلي ورامفورد محملة بالكتب الكثيرة ، وكان رامفورد قد أرسلها إلى بوسطن كي تأتي بهم . كان يعمل على مجلد تاريخي حول القوات الجوية للولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الثانية ، وكانت الكتب تدور حول القصف والمعارك الجوية التي حدثت في وقت لم تكن ليلي قد ولدت فيه حتى .

« أنتم يا شباب . . اذهبوا من دوني» قال بيلي بيلغريم وهو يهذي حين جاءت الجميلة الصغيرة ليلي ، كانت من أولئك النوع من الفتيات المبهرجات وكانت ترتدي بشكل فاضح ، عندما قرر رامفورد أن يتزوجها .

كانت قد طردت من الثانوية العامة وكان معدل ذكائها ١٠٣ .

«لقد أخافني» همست لزوجها عن بيلي بيلغريم .

رد رامفورد بقوة «لقد أصابني بالملل حتى الجحيم!»

«كل ما كان يفعله في نومه هو أن يتخلى ويترك ويستسلم ويعتذر ويطلب أن يتركوه لوحده .»

كان رامفورد عميدا متقاعدا في قوات الجو الاحتياطي ، وكان المؤرخ الرسمي لقوات الجو ، كان مدرسا محبوبا ومؤلفا لست وعشرين كتابا ومليونيرا غنيا منذ ولادته ، وأحد أهم البحارة في عصره ، وكان أحد أهم كتبه الشعبية كتاب حول الجنس وألعاب القوى للرجال الأكبر من خمس وستين سنة . والآن اقتبس من تيودور روزفلت الذي يشبهه كثيرا : «يمكنني أن أنحت من حبة موز رجلا أفضل من هذا» .

وأحد الأشياء التي طلب رامفورد من ليلي أن تجلبها له من بوسطن كان نسخة من إعلان الرئيس هاري .اس . ترومان ، والذي أعلن فيه للعالم القاء القنبلة النووية على هيروشيما .

كانت تحمل نسخة مطبوعة منها فسألها رامفورد هل قرأتها؟

«لا .» كانت لا تحسن القراءة بشكل جيد ، وهذا أحد الأسباب التي جعلها تطرد من الثانوية .

أمرها رامفورد أن تجلس وتقرأ إعلان ترومان الآن . لم يكن

يعلم أنها لا تحسن القراءة كثيرا . لم يكن يعلم عموما عنها الكثير عدا أنها كانت مجرد أداة تظهر بطولته .

وهكذا جلست ليلي متظاهرة بقراءة قصة ترومان هذه والتي كانت كالتالي :

«منذ ستين ساعة مضت ، ألقت طائرة أمريكية قنبلة على هيروشيما ، القاعدة اليابانية المهمة . هذه القنبلة أقوى من عشرين ألف طن من TNT وأقوى بألفي مرة من قوة إنفجار الغراند سْلام[١٦] البريطانية ، والتي كانت أقوى قنبلة استعملت في تاريخ الحروب .

بدأ اليابانيون الحرب جوا على بيرل هاربر وردننا عليهم الكرة أضعافا ، وهذه ليست النهاية ، فقد أضفنا بهذه القنبلة نوعا جديدا وثوريا في زيادة التدمير وتدعيم القوة المتزايدة لقواتنا المسلحة . وفي الوقت الحاضر هذا النوع من القنابل قيد الصنع بل هناك أنواع أخرى أقوى قيد التطوير .

إنها قنبلة ذرية تعتمد على تسخير قوة أساسية في الكون ، تشبه قوى الشمس . وقد أطلقناها ضد هؤلاء الذين جاؤونا محاربين من الشرق الأدنى .

(١٦) غراند سلام : قنبلة زلزالية تزن ١٠٠٠٠ كغ (٢٢٠٠٠ رطل) استخدمت من قبل قيادة قاذفة قنابل في سلاح الجو الملكي البريطاني ضد الأهداف الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية . القنبلة غير نووية ولكنها كانت أقوى قنبلة استخدمت في الحرب (المترجم)

قبل سنة ١٩٣٩ ، كان هناك اعتقاد نظري بين العلماء أنه يمكن تحرير الطاقة الذرية . لكن لم يكن أحد يعلم كيفية تحريرها عمليا . وعلى الرغم من أننا كنا نعلم بحلول سنة ١٩٤٢ أن الألمان كانوا يعملون بحماسة محمومة لإيجاد طريقة لإضافة القوة النووية لترسانة الحرب لاستعباد العالم ، لكنهم فشلوا . وقد نكون ممتنين للحقيقة التي تقول أن الألمان قد أنشؤوا متأخرين وبكميات محدودة صواريخ عابرة للقارات «فاو١» و«فاو ٢» ، ونحن ممتنين بشكل أكبر لأنهم لم يحصلوا على القنبلة النووية على الاطلاق .

كانت المعركة بين المختبرات تحمل مخاطر مصيرية بالنسبة لنا جميعا كما هي معارك الجو والبر والبحر ، وقد انتصرنا الآن في المعركة المختباراتية وانتصرنا في باقي المعارك .

ونحن الآن على استعداد لأن نمحو ، بسرعة وبشكل كامل ، أي مؤسسة انتاجية على أي مدينة يابانية من على وجه الأرض ، «قال هاري ترومان» .

«علينا أن ندمر أحواض سفنهم ومصانعهم واتصالاتهم ويجب ألا يكون هناك أي خطر علينا ، وأن ندمر بشكل كامل كل قوة اليابان الحربية . . وعلينا أن نفرّق . .» وما إلى ذلك . .

وكان أحد الكتب التي جلبتها ليلي لرامفورد يتحدث عن دمار درسدن ، كتبه انجليزي اسمه دافيد ايرفينغ ، وكانت طبعةً أمريكية من الكتاب نشرها هولت راينراهت ووينستون سنة

١٩٦٤ . وما كان يريده رامفورد من الكتاب هو مقاطع من افتتاحيات أصدقائه الجنرال سي ايركر المتقاعد من القوات الجوية الأمريكية والسير روبرت ساوندباي ماريشال الجو البريطاني الحاصل على وسام القائد الفارس من مدينة باث ووسام القائد الفارس للامبراطورية البريطانية والحاصل على صليب الشجاعة من القوات الجوية البريطانية والوسام العسكري للضباط المشاة ووسام الامتياز للقوات الجوية .

«أجد صعوبة في فهم الأمريكيين أو الانجليز الذين يتباكون على المدنيين من الأعداء الذين قُتلوا بينما لم يذرفوا ولا دمعة على الأفواج الشجاعة التي قتلت على يد العدو الوحشي خلال المعارك .» كتب صديقه الجنرال ايركر في أحد المقاطع .

«أعتقد أنه من المستحسن أن يتذكر المستر ايرفنغ خلال رسمه للصورة المرعبة للقتلى المدنيين في درسدن أن صواريخ الفاو ١ والفاو ٢ كانت تتساقط في ذلك الوقت على انجلترا وتقتل الرجال المدنيين والنساء والأطفال دون تمييز كما رُسم وخُطط لها أن تفعل . ومن المستحسن أن يتذكر أيضا معسكر بوخنفالد وكونفنتري أيضا .»

وانتهت مقدمة ايركر على هذا النحو :

«ينتابني عظيم الأسف أنه وبسبب المقاتلات الأمريكية والإنجليزية قتل نحو مائة وخمس وثلاثون ألف مدني في الهجوم على درسدن ، لكنني أتذكر من بدأ آخر حرب وأنا

متأسف بشكل أعظم على خسارة خمسة ملايين من قوات التحالف والتي أزهقت أرواحها من أجل هزيمة وتدمير النازية .»

أما ما قاله ماريشال الجو ساوندباي من بين عدّة اشياء ، فهو أن قصف درسدن كان مأساة كبيرة لا يمكن إنكارها . كانت ضرورة عسكرية سيؤمن البعض بها بعد قراءة هذا الكتاب . وهي إحدى الأمور المؤسفة التي تقع أحيانا إبان الحروب والتي نتجت عن سوء الحظ والظروف .

أما بالنسبة لأولئك الذين لا يصدقون بهذا ، فانني أعتقد أنهم بعيدون جدا عن الحقائق القاسية للحروب كي يفهموا تطبيق القوة المدمرة للقصف الجوي الذي حدث ربيع سنة ١٩٤٥ .

أما المدافعون عن فكرة نزع السلاح النووي والذين سيصدقون هذا في حالة كان يخدم أهدافهم ، وعندها فقط تصبح الحرب خيارا محتملا ومعقولا بالنسبة لهم . فعليهم أن يقرأوا هذا الكتاب ويتأملوا مصير درسدن ، حيث مات مائة وخمس وثلاثون ألف إنسان نتيجة الهجوم بأسلحة تقليدية وليس قنبلة نووية .

وفي ليلة التاسع من مارس ١٩٤٥ حدث هجوم جوي على طوكيو بالمقاتلات الأمريكية المدججة مستعملين قنابل ثقيلة وشديدة الانفجار ، وتسببوا في مقتل ٨٣,٧٩٣ شخص . بينما القنبلة النووية التي ألقيت على هيروشيما قتلت ٧١,٣٧٩ شخصا .

« إذا ما كنتم في مدينة كودي بياموينغ يوما ما . .»

قال بيلي بيلغريم عبر الستائر البيضاء .

«اسألوا فقط عن بوب المتوحش!»

ارتجفت ليلي رامفورد ، ماضية في تظاهرها بقراءة خطاب ترومان .

أما باربرا ابنة بيلي فقد أتت في وقت متأخر من ذلك اليوم . كانت مشوشة بالكامل . وكانت لديها نفس النظرة الزجاجية الحزينة للعجوز المسكين إدجار ديربي التي أبداها قبل اعدامه في درسدن .

أعطاها بعض الأطباء مهدئات كي تستمر . . رغم أن والدها لا يزال في غيبوبة ووالدتها توفيت .

كانت برفقة طبيب وممرضة وكان أخوها عائدا عبر الجو إلى المنزل قادما من معركة في الفيتنام . «ساحة المعركة» .

- أبي . قالت بتردد .

لكن بيلي كان بعيدا . بعيدا بقدر عشر سنوات . . عائدا إلى سنة ١٩٥٨ كان يفحص عيني صبي متخلف عقليا ليصف له النظارات التي تناسبه ، وكانت والدة الصبي المتخلف عقليا هناك . كانت تحاول ترجمة الكلام بين ولدها وبيلي .

سأله بيلي : كم عدد النقاط التي تراها؟ .

وعاد بيلي عبر الزمن إلى الوقت الذي كان فيه صبيا في السادسة عشرة في غرفة انتظار عيادة طبيب لأجل ابهامه

المصاب ، كان هناك مريض آخر فقط ينتظر معه ، رجل عجوز كان يتألم بسبب الغازات وكان يضرط بشكل قوي ثم يقول لبيلي اعذرني . ثم يواصل كلامه «اوه ، يا إلهي كنت أعلم أنه من السيء أن تبلغ أرذل العمر» ثم يهز رأسه «لكنني لم أكن أعلم أنه سيكون بهذا السوء» .

فتح بيلي عينيه في المستشفى بفيرمونت . لم يكن يعلم أنه تحت أنظار ابنه روبرت . كان روبرت بزيه النظامي للقبعات الخضر ، وكان شعره قصيرا وخصلاته بلون قمحي . كان روبرت مهندما ونظيفا ومرتبا ، ومتوجا بأوسمة ، قلب بنفسجي ونجمة فضية ونجمة برونزية .

كان روبرت هو الصبي الذي رسب في الثانوية العامة والذي أدمن على الكحول في سن السادسة عشر والذي هرب مع حفنة من الأطفال المتعفنين ، والذي اعتقل بجرم تقليب مئات شواهد القبور في مقبرة كاثوليكية ، لكنه استقام تماما الآن ، وتبدو هيئته الآن رائعة ، وحذاءه لامع وحزامه مشدود ، وكان قائدا على عدة رجال .

- أبي؟

وأغلق بيلي بيلغريم عينيه مجددا .

اضطر بيلي لتفويت جنازة زوجته بسبب مرضه ، كان واعيا وقت دفنت فالنسيا في أرض ايليوم ولم يتحدث بيلي كثيرا منذ استعاد وعيه ولم يرد باسهاب عن خبر موت زوجته وقدوم

ابنه من الحرب وما إلى ذلك . كان هناك اعتقاد بأن دماغه لم يعد يعمل وبدأ الحديث يدور حول عملية أخرى تسمح بتحسين الدورة الدموية في دماغه .

وفي الحقيقية ، لقد كان هناك وراء خمول ذهن بيلي ما يشبه الشاشة وقد أخفى هذا الخمول فعالية عقل بيلي الذي كان يتمتع بنشاط وحماس مثيرين ، كان عقله يحضر بشغف رسائل ودراسات حول الأطباق الطائرة وعدم أهمية الموت وحقائق عن طبيعة الزمن .

قال البروفسور رامفورد أشياء فظيعة عن بيلي ، بينما كان بيلي يستمع إليه ، مؤكدا أن بيلي لم يعد يملك أي دماغ على الاطلاق ، وهنا سأل رامفورد ليلي :

- لماذا لا يدعونه يموت؟

- لا أدري . قالت ليلي .

- لم يعد كائنا بشريا بعد الآن ، الأطباء يهتمون بالبشر ، ومن المفترض أن يُحيلوه إلى طبيب بيطري أو مُقلِّم أشجار لأ نه سيعرف ما سيفعله معه ، انظري إليه! هل هذه حياة؟ حسب الأطباء هذه ليست حياة على الاطلاق .

- لا أدري قالت ليلي .

وفي إحدى المرات ، تحدث رامفورد مع ليلي عن قصف مدينة درسدن وسمع بيلي كل ذلك . كان لرامفورد مشكلة مع درسدن ، وكان يفترض أن يكون كتابه المجلد حول تاريخ القوات

الجوية في الحرب العالمية الثانية ملخصا صغيرا للسبع وعشرين مجلدا من التاريخ الرسمي للقوات الجوية في الحرب العالمية الثانية .

وكانت المشكلة هي أنه لا يوجد أي شيء تقريبا عن الحملة الجوية ضد درسدن ، على الرغم من أنها كانت تعتبر نصرا مظفرا ، وبينما تم حفظ مدى نجاحها كَسّرٍ عن الشعب الأمريكي لعدة سنوات بعد الحرب ، لم يكن هذا يمثل أي سرٍّ بالنسبة للألمان أو للروس الذين احتلوا مدينة درسدن وبقوا فيها بعد الحرب .

وأخيرا سمع الأمريكيون عن مدينة درسدن ، قال رامفورد ، بعد ثلاثة وعشرين سنة من الحملة . والآن يعلم العديد منهم كم كانت نتائجها أسوأ من هيروشيما وهكذا يتوجب علي أن أضع شيئا حولها في كتابي ، من وجهة نظر القوات الجوية الرسمية والذي سيكون شيئا جديدا تماما .

- لماذا احتفظوا بها سرا طيلة هذا الوقت؟ سألت ليلي .

- خشية كسر الخواطر وإدماء القلوب ، أو ربما لأنه لم يكن شيئا رائعا يمكن للمرء أن يفتخر به .

والآن تحدث بيلي بيلغريم بذكاء قائلا «لقد كنتُ هناك»

كان من الصعب على رامفورد أن يأخذ بيلي على محمل الجد ، لأنه كان يعتقد بشدة أن بيلي نكرة من المستحسن موته بدل حياته ، والآن مع حديث بيلي الواضح عالجت أذنا رامفورد

الكلمات كلغة أجنبية لا تستحق الإنتباه ، «ماذا قال؟» سأل رامفورد .

أوضحت ليلي كأنها تترجم ما بينهما : هو يقول أنه كان هناك .

- أين كان؟
- لا أدري . قالت ليلي وسألت بيلي :
- أين كنت؟
- في درسدن ، قال بيلي .
- درسدن ، قالت ليلي لرامفورد .
- هو يردد وحسب ما كنا نحكي عنه ، قال رامفورد
- آه . قالت ليلي .
- والآن هو مصاب بالايكولاليا .
- آه .

والايكولاليا هو مرض عقلي يجعل المصابين به يكررون الكلام مباشرة بعد أن يتحدث به الناس من حولهم . لكن بيلي في الحقيقة لم يكن مصابا به . أصر رامفورد على ذلك من أجل أن يريح نفسه بأن بيلي مصاب به . كان رامفورد يفكر بطريقة عسكرية : هذا شخص غير سوي ، يتمنى موته بشدة لأسباب عملية ، ويعاني من مرض مثير للاشمئزاز .

أصر رامفورد لعدة ساعات على أن بيلي كان مصابا بالايكولاليا وأخبر الممرضات والطبيب أن بيلي مصاب به .

وأجـريت بعض الاخـتـبـارات على بيلي وحـاول الطبـيب والممرضـات أن يجعلوا بيلي يكرر بعض الكلمات لكنه لم يرد عليهم .

« هو لـن يقـوم بهـا الآن» قـال رامـفـورد بعناد «وبمجـرد أن تغادروا سيبدأ بفعلها من جديد» .

لم يأخذ أحد تشخيص رامفورد على محمل الجد ، وكان الطاقم الطبي يرى أن رامفورد شخص بغيض ومغرور وفظ .

كان يقول لهم دائما بطريقة أو بأخرى أن الناس الضعفاء يستحقون الموت ، بينما الطاقم الطبي على العكس كان مقتنعا بفكرة أن ضعاف الناس يستحقون المساعدة قدر الإمكان ، وأن لا أحد يستحق الموت .

وهناك في المستشفى ، كان بيلي يقوم بمغامرة مألوفة بين الناس الذين لاحول لهم ولا قوة في زمن الحرب . كان يحاول أن يوضح لعدوه الأصم الأعمى الأبكم أن هناك شيئا يستحق المشاهدة والسماع . مكث بيلي صامتا حتى أُطفئت الأنوار وخيم الصمت لمدة لا تسمح أن يكرر أي شيء فيها ، وقال لرامفورد :

- لقد كنت في درسدن حين قصفت . كنت سجين حرب .

تنهد رامفورد بنفاد صبر .

- أعطني كلمة شرف ، قال بيلي بيلغريم ، هل تصدقني؟

- هل يجب أن نتحدث عن هذا الآن؟ قال رامفورد .

كان قد سمعه لكنه لم يصدقه .

- لا يجب علينا إطلاقا أن نتحدث عن الأمر ، أردتك فقط أن تعلم أني كنت هناك .

ولم يقل بيلي أي شيء آخر عن درسدن في تلك الليلة ، وأغلق عينيه وسافر عبر الزمن إلى مساء من أيام شهر مايو ، يومين بعد نهاية الحرب العالمية الثانية في أوروبا .

كان بيلي وخمسة من أسرى الحرب الأمريكيين يركبون عربة خضراء اللون على هيئة تابوت مربوطة إلى فرسين ، والتي وجدت مهجورة في مكان ما في ضاحية من ضواحي درسدن .

كانت العربة تتأرجح على وقع خطى الخيول ، ماضية بين الطرق الضيقة على أرضية المدينة التي حفرت بشكل يشبه القمر ، كانوا عائدين إلى المسلخ لأخذ تذكارات الحرب . وقد كان هذا يذكر بيلي بوقع خطى خيول موزع الحليب في الصباح الباكر في ايليوم حين كان صبيا .

كان بيلي يجلس في آخر العربة المهتزة ، وكان رأسه ملقى إلى الخلف وأنفه متوهجا ، كان سعيدا ودافئا ، وكان هناك طعام في العربة ونبيذ وكاميرا ومجموعة من الأختام ودمية بومة محشوة وجهاز كان يحوي ساعة ومؤشرات الضغط الجوية . وقد ذهب الأمريكيون إلى المنازل الخاوية التي سُجنوا بها في الضواحي ، وأخذوا كل هذه الأغراض وغيرها .

أما أصحاب المنازل فكانوا قد فروا حين سمعوا أن الروس قادمون ، يقتلون ويغتصبون وينهبون ويحرقون كل شيء .

لكن الروس لم يكونوا قد أتوا بعد ، حتى بعد مرور يومين على الحرب . كان السلام يخيم على الأطلال . رأى بيلي شخصا آخر ، واحدا فقط ، في طريقه إلى المسلخ ، وكان عجوزا يدفع عربة أطفال ، كان في العربة أواني وكؤوس وأسلاك مطارية وبعض الأشياء الأخرى التي وجدها هنا وهناك .

ظل بيلي في العربة حين وصلوا إلى المسلخ ، تحت أشعة الشمس . وذهب الآخرون للبحث عن التذكارات . ولاحقا في خضم الحياة ، سينصح الترالفمادوريون بيلي بأن يركز على اللحظات السعيدة في حياته ، وأن يتجاهل السيئة منها وأن يتأمل فقط الأشياء الرائعة وكأنها تدوم للأبد ، ولو كان هذا الخيار متاحا لبيلي لكان اختار تلك اللحظة التي كان مستلقيا فيها تحت الشمس غافيا على العربة .

كان بيلي مسلحا للمرة الأولى منذ تدريبه الأولي وهو يأخذ تلك الغفوة ، وقد أصر رفاقه على أن يسلح نفسه فالله وحده يعلم كم نوعاً من القتلة يقبعون في تلك الجحور من سطح القمر هذا ، كلاب متوحشة ، جموع الجذران المتوحشة التي سمنت بأكلها الجثث ، مجانين فارّين وقتلة ، وجنود لا يتوقفون أبدا عن القتل حتى يموتوا .

كان لدى بيلي مسدس فروسية هائل الحجم في حزامه ،

وكان من بقايا آثار الحرب العالمية الأولى . كانت في نهايته حلقة وكان يحشى برصاصات بحجم بيض العصافير ، كان بيلي قد وجده في طاولة سرير في إحدى المنازل .

وإليكم إحدى الأمور التي تحدث في نهاية الحروب :

أي شخص يريد أن يحصل على سلاح سيجد واحدا . فقد كانت الأسلحة ملقاة وموجودة في كل مكان .

حصل بيلي أيضا على سيف ، وكان سيفا شرفيا للقوات الجوية الألمانية .

كان مقبضه مزينا بزخرفة نسر يصرخ ، وكان النسر يحمل رمز الصليب المعقوف وينظر إلى الأسفل ، وقد وجده بيلي عالقا على عمود هاتف ، فسحبه من هناك حين مرت العربة بجانبه .

لكن غفوته هذه قد أصبحت أخف لاستماعه لرجل وامرأة يتحدثان الألمانية بنغمة تثير الأسى . كان المتحدثان يتحدثان لبعضهما بشكل يثير العطف والأسى وقبل أن يفتح بيلي عينيه بدا له أن هذه النغمة في الحديث قد تشابه تلك التي تحدث بها أصدقاء المسيح حين أنزلوا جسده المتهالك من على الصليب .

فتح بيلي عينيه وكان هناك رجل كهل وزوجته ، كانا يدمدمان قرب الخيول ، وقد لاحظا ما لم يلاحظه الأمريكيون ، وهو أن أفواه الخيول كانت تنزف من أثر العض الشديد عليها ، لأن حوافرهم كانت قد كسرت وبالتالي فقد كانت كل خطوة

تحمل ألما عظيما . وكانت الخيول تعاني من العطش الشديد ، فقد استخدمها الأمريكيون للنقل وكأنهم يستخدمون سيارة شيفروله ذات ست اسطوانات لا تحس ولا تتألم .

تحرك الرجل والمرأة على طول العربة إلى الخلف ، أين كانا يحدقان فيها مقتربين من بيلي . كان بيلي بيلغريم مستيقظا من مدة في هيئته السخيفة ، سترته الزرقاء وحذائه الفضي اللون ، ولم يثر خوفهما . لم يكونا يخافان من أي شيء . كانا طبيبين ، وكلاهما في قسم التوليد ، وحتى لحظة القصف كانا لا يزال يولدّان النساء إلى أن هُدم المستشفى تماما . والآن ها هما يتسكعان في هذا المكان الذي كانت فيه شقتهما من قبل .

كانت المرأة جميلة ، لكنها شاحبة لأنها كانت تتغذى على البطاطس لفترة طويلة ، وكان الرجل يرتدي بذلة رجل أعمال وربطة عنق وما إلى ذلك وقد جعلته البطاطس هزيلا أيضاً .

كان طويلا بقدر طول بيلي تقريبا ، ويرتدي نظارة ثلاثية الطبقات إطارها من حديد . هذين الزوجين ، اللذين عملا طيلة حياتهما في توليد الأطفال ، لم ينجبا قط ، على الرغم من أنهما يستطيعان ، وكان هذا مجرد قلق نفسي مثير حول فكرة الانجاب برمّتها .

كانا يتقنان مع بعضهما تسع لغات . في الأول جربا البولندية مع بيلي بيلغريم نظرا للباسه التهريجي ونظرا إلى أن

البولنديين البؤساء كانوا مهرجين خارج إرادتهم في الحرب العالمية الثانية ، سألهم بيلي بالانجليزية ماذا يريدان؟ ومباشرة ودفعة واحدة وبخّاه بالانجليزية حول حالة الخيول ، وجعلاه يخرج من العربة وينظر إلى الخيول ، وحين رأى بيلي حالتها أجهش بالبكاء . لم يبكي بيلي من قبل على أي شيء في الحرب .

وفي وقت لاحق ، وكأخصائي بصريات كهل ، كان بيلي يبكي بصمت وخفية أحيانا لكنه لم يكن يصرخ أو ينشج في بكائه ولم يكن يحدث أي ضجة . ولهذا جاء اقتباس هذا الكتاب من أبيات ترنيمة عيد الميلاد المشهورة . كان بيلي يبكي قليلا حتى ولو رأى أشياء تستحق البكاء فعلا . وفي هذا الأمر- على الأقل - كان يشبه ترنيمة عيد الميلاد :

نسمعُ خوار الماشية

الطفل يستيقظ .

لكن السيد المسيح الصغير .

لا يبكي بعد الآن .

سافر بيلي عبر الزمن عائدا إلى المستشفى بيفرمونت ، كان الفطور قد انتهى للتو وبدا أن البروفسور رامفورد قد أصبح مهتما ، ولو على مضض ، ببيلي ككائن بشري حي .

سأل رامفورد بيلي بفظاظة مقنعا نفسه أن بيلي كان فعلا في درسدن : كيف بدا الأمر؟ .

فأخبره بيلي عن الخيول والزوجين اللذان كانا يتنزهان على القمر .

وانتهت قصة الخيول كالآتي : فك بيلي والطبيبين لجام الخيول لكنها لم تستطع أن تذهب إلى أي مكان لأن حوافرها قد تضررت بشدة وكانت تؤلمها جدا . ومن ثم داهمهم الروس على الدراجات النارية واعتقلوا الجميع ما عدا الخيول .

وبعد هذا بيومين ، أُعيد بيلي إلى الأمريكيين حيث نُقل عبر البحر إلى الوطن . كانت سفينة شحن بطيئة جدا تدعى لوكريسيا ، بالتحديد ايه .موت . لوكريسيا ، وكانت إيه .موت امرأة ناشطة في حقوق النساء ماتت منذ زمن . .

– كان أمرا مقضيا . قال رامفورد لبيلي معلقا على دمار درسدن .

– أعلم .

– هذه هي الحرب .

– أعرف . أنا لا أشكو من الأمر .

– يبدو أنها كانت جحيما هناك .

– لقد كانت فعلا كذلك .

– أشفق على الرجال الذين فعلوا هذا .

– أنا أيضا .

– أظن أنك كنت مشوش المشاعر هناك على الأرض؟

– لقد كان كل شيء على ما يرام .

كل شيء كان على ما يرام . وكل إنسان فعل ما يتوجب عليه فعله . لقد تعلمت هذا في ترالفامادور .

أخذته ابنته في وقت لاحق من هذا اليوم إلى منزله ، ووضعته في الفراش وشغلت الأصابع السحرية . كانت هناك ممرضة متمرسة في البيت ، ولم يكن على بيلي أن يعمل أو أن يغادر المنزل لفترة من الزمن . على الأقل هو الآن تحت المراقبة . لكن بيلي تسلل خارجا حين غفلت عنه الممرضة وقاد السيارة إلى مدينة نيويورك . حيث أمل أن يظهر على التلفاز ويخبر العالم عن الدروس التي تلقاها في ترالفامادور .

حجز بيلي في فندق رويالتون بالحي الرابع والأربعين بنيويورك وبالصدفة حصل على غرفة كانت سابقا منزل جورج جين ناثان ، الناقد والمحرر ناثان الذي ، وحسب المفهوم الأرضي للزمن ، توفي سنة ١٩٥٨ ، وحسب المفهوم الترالفامادوري فإن ناثان بالطبع لا زال ولا يزال حيا في مكان ما .

كانت الغرفة صغيرة ومتواضعة ، إلا أنها كانت في الدور العلوي . كانت أبوابها فرنسية وتفتح على شرفة كبيرة الحجم بقدر الغرفة نفسها . وكانت الشرفة تطل على الجادة الرابعة والأربعين في نيويورك .

استند بيلي على حافة الشرفة ناظرا إلى الأسفل ، إلى كل هؤلاء الناس الذين يسيرون من هنا وهناك في خطوط ملتوية ومتعرجة . . وتمتع بيلي بهذا المنظر .

شعر بالبرد ، فقد كانت ليلة باردة ، فدخل إلى الداخل وأغلق الأبواب الفرنسية ، وبغلقه إياها تذكر شهر عسله ، فقد كانت هناك أيضا أبواب فرنسية في شرفته بكابي آن أين قضى شهر العسل ، ومن المؤكد أنها لا تزال هناك وستبقى هناك دوما وأبدا .

فتح بيلي التلفزيون وتنقل بين قنواته هنا وهناك باحثا عن برامج من المحتمل أن تسمح له بالظهور فيها ، لكن الوقت كان لا يزال مبكرا على هذه البرامج التي يمكن أن تسمح للناس أن يبدو فيها آرائهم الغريبة . إلا أنه بعد الساعة الثامنة بقليل بدأت كل البرامج التي تتكلم إما عن التوافه أو عن جرائم القتل وما إلى ذلك .

غادر بيلي غرفته ونزل عبر المصعد البطيء واجتاز ميدان تايمز سكوير ليلمح نافذة محل كتب متواضع للكتب الزهيدة وعلى النافذة كانت هناك مئات الكتب حول الجنس واللواط والقتل ، وكان هناك دليل شوارع مدينة نيويورك ونموذج من تمثال الحرية يحتوي على مقياس حرارة .

في النافذة أيضا وبين الغبار وفضلات الذباب كانت هناك أربع كتب بطبعة شعبية لروايات كتبها صديق بيلي : كيلغور تروت .

وكانت أخبار اليوم في نفس الوقت قد كتبت على شريط ضوئي على المبنى خلف بيلي . عكست النافذة الأخبار التي

كانت تتحدث عن الطاقة والرياضة والغضب والموت .

ودخل بيلي إلى المكتبة .

كانت هناك لافتة تقول «يسمح للبالغين فقط بدخول خلفية المكتبة» ، وفي الخلفية كانت هناك شاشة تعرض أفلاما فيها نساء صغيرات ورجال عرايا ، وكان ثمن النظر إليها لمدة دقيقة واحدة هو ربع دولار ، وكانت هناك أيضا صورعارية لشبان وشابات للبيع .

يمكنك أن تشتري الصور ، وتأخدها معك إلى المنزل ويبدو أن الصور من ناحية ترالفامدورية أكثر فائدة من الأفلام لأنه يمكنك أن تراها وقتما تشاء دون أن تتغير الصورة . فحتى بعد عشرين سنة في المستقبل ستظل هؤلاء الفتيات شابات وسيبقين مبتسمات أو شبقات أو يظهرن بغباوة فاتحات أرجلهن على اتساعها ، كان البعض منهن يلتهمن مصاصات أو حبات موز . وسيبقين يأكلنها للأبد . أما أعضاء الشبان اليافعين ستظل شبه منتصبة كما هي ، وستبقى عضلاتهم مشدودة وقوية كالمدافع .

لكن الجزء الخلفي من المحل لم يكن يغري بيلي بل كان يشعربالإثارة والحماس تجاه روايات كيلغور تروت المعروضة على الواجهة . كانت هذه العناوين كلها جديدة بالنسبة إليه أو اعتقد أنها كذلك . والآن فتح واحدا ، وكان لا بأس بالنسبة لبيلي أن يفعل هذا . كان بقية من في المحل ينبشون الأشياء

أيضاً . كان عنوان الكتاب «منصة العرض الكبيرة» وأدرك بعد قراءة عدة فقرات أنه قرأه من قبل منذ عدة سنوات في مستشفى قدامى المحاربين ، وكان يحكي عن رجل أرضي وامرأة خطفهما الفضائيون ووضعوهما للعرض في حديقة حيوانات في كوكب يدعى زيركون-٢١٢,

كانت لدى هذه الشخصيات الخيالية شاشة عرض كبيرة تعرض سوق الأوراق المالية ، عروض الأسعار وأسعار السلع الأساسية ، في حائط واحد أمامها وكان هناك شريط أخبار وهاتف يفترض أن يكون متصلا بسمسار مالي على الأرض . أخبر مخلوقات كوكب زيركون-٢١٢ رهينتيهما أنهم قد استثمروا مليون دولار لأجلهما في الأرض وعليهما الآن أن يعتنوا ويديروا هذا الاستثمار وهكذا سيكونان أغنياء جدا لدى عودتهما إلى الأرض .

كان الهاتف والمنصة الكبيرة وشريط الأخبار مزيفين بالطبع ، فقد كانت مجرد نماذج صُنعت لجعل الأرضيين يبدوان حيويان وعلى طبيعتهما لزوار الحديقة ، ولجعلهما يفرحان ويغضبان ويهتفان أو يشتمان أو يبدوان مكتئبين أو ينتفان شعرهما وليبدوا خائفين أوهادئين كأنهما طفلين بين أذرع أُمّيهما .

قام الأرضيان بالعمل الورقي لهذا الأمر بشكل ممتاز ، وكان ذلك طبعا جزءا من التلاعب بهما أيضا . ومن ثم دمج

الفضائيون الدين في اللعبة ، فعرضوا عليهما شريط الأخبار بأن رئيس الولايات المتحدة قد أعلن عن «الأسبوع الوطني للصلاة» ، وأنه على كل مواطن أن يصلي . وكان الأرضيان قد مرا بأسبوع سيء قبل هذا وكانا قد ضيعا جزءا من ثروتهما في الاستثمار في زيت الزيتون ، وبالتالي لم يكن الأرضيان ليخسرا شيئا فقاما بإعطاء الصلاة فرصة لتجريبها .

ونجح الأمر ، وعاود استثمار زيت الزيتون إلى الصعود .

كان هناك كتاب آخر على النافذة لتروت كيلغور والذي كان يحكي عن رجل بنى آلة الزمن ليعود ويرى المسيح ، ونجح في ذلك ، فرأى المسيح حين كان في عمره اثني عشرة سنة ، وكان يتعلم النجارة مع والده ، فأتى جنديان رومانيان إلى المحل ومعهما مخطط لجهاز ميكانيكي على ورق البردي كانا يريدانه جاهزا بحلول صباح الغد . كان صليبا سيستعمل في إعدام أحد محرضي الشعب . وقام المسيح ووالده بانشائه ، وكانا مسرورين لأنهما قد حصلا على هذا العمل . وأُعدم محرض الشعب على تلك الآلة .

كان يدير محل الكتب هذا خمسة رجال يبدون كالتوائم ، قصار القامة وصُلعا يمضغون سيجارا مستهلكا ومبللا ، ولا يبتسمون قط . كانوا يجلسون كل واحد في كرسيه ، ويديرون تجارة بغاء تتمثل في المطبوعات والفيديوهات الإباحية ، لم يعانوا من أي صعوبات في هذا الأمر ، كذلك لم

يكن بيلي يعاني من أي صعوبات في حياته . . لكن الآخرين كانوا يعانون منها . كان محلا سخيفا وكل ما فيه يدور حول الحب والأطفال .

كان هؤلاء الموظفون يقولون مرارا لأحد الزوار أن يشتري أو أن يخرج بدل أن يستمر بالتحديق والتحديق وإفساد الأشياء . وكان البعض من الزوار ينظرون إلى بعضهم البعض بدل النظر إلى البضائع .

اقترب أحد أصحاب المحل إلى بيلي وأخبره أن السلعة الجيدة موجودة في الجزء الخلفي من المحل وأن الكتب التي يتصفحها بيلي الآن هي مجرد ديكور للواجهة .

«إنها ليست ما تبحث عنه بحق المسيح . ما تريده يوجد في الردهة .» وهكذا تقدم بيلي إلى الجزء الخلفي قليلا لكنه لم يبتعد إلى الجزء المخصص للبالغين فقط . وقد تقدّم لأنه شرد وفقد تفكيره حاملا كتاب تروت معه ، الكتاب الذي كان يتكلم عن المسيح وآلة الزمن .

كان المسافر عبر الزمن يعود إلى الكتاب المقدس عدة مرات كي يحدد شيئا ما : سواء أكان المسيح مات على الصليب أم لا ، أو أنه أنزل من على الصليب وهو لا يزال حيا أو سواءً تابع حياته أم لا ، فقد كان بطل القصة يحمل سماعة طبية معه طيلة الوقت .

تجاوز بيلي الصفحات إلى نهاية الكتاب حيث اختلط

البطل بالناس الذين كـانوا ينزِلون المسـيح من على الصليب ، كان البطل هو أول من يرتقي إلى منصة الصلب ، وكان يرتدي كما يرتدي أهل ذلك الزمان ، مال مقتربا من المسيح كي لا يراه الناس يستعمل السماعات الطبية ، واستمع ولم يكن هناك أي نبض صادر عن صدره الهزيل . ابن الله كان ميتا وشبع موتا .

قـام المسـافـر عـبـر الزمن ، والذي كـان يُدعى «لاينس كـوروين» ، أيضا بقيـاس طول المسيح لكنه لـم يزنه . كـان طوله خمسة أقدام وثلاثة انشات ونصف .

اقـترب أحـد مـالكي المحل من بيلي وسـأله هل ينوي شـراء الكتاب أم لا ، فقال بيلي أنه يريد شرائه . كان خلف بيلي رف كتب كامل حول الاتصال الجنسي الفموي ، تاريخه من قدماء المصريين إلى العصر الحالي وما إلى ذلك . وكان المالك يعتقد أن بيلي كـان يقـرأ إحـدى هذه الكتب لكنه اندهش حين رأى كتاب بيلي .

«يا إلهي!» قال المالك «أين وجدت هذا الشيء؟» كان يريد أن يخبر موظفي المحل الآخرين عن المختل الذي يريد أن يشتري مـا وضع كـديكور للواجـهـة . كـان باقي الموظفين يعلمـون بأمـر بيلي ، لأنهم كانوا يراقبونه أيضا .

كان هناك مجلات نسائية قديمة قرب الكاونتر الذي كان بيلي ينتظر أمامه ليـدفع ثمن الكتـاب . ألقى بيلى نظرة بطرف عـينه على إحـداها وقـرأ هذا السـؤال على غـلافـهـا : كـيف

أصبحت مونتانا وايدهاك؟

هكذا قرأ بيلي ، وكان يعلم أين كانت مونتانا وايدهاك فعلا . بالطبع كانت قد عادت من ترالفامادور وهي تعتني بوليدها الآن ، لكن المجلة التي كان عنوانها «قطط منتصف الليل» ، كانت تقول أن مونتانا تستمتع بوقتها على شاطئ أمواج البحر المالحة في خليج سان بيدرو .

أوشك بيلي على الضحك ، فهذه المجلة التي كانت موجهة للرجال الذين يشعرون بالوحدة كي يستمنوا بها ، قد أوردت هذه القصة فقط لتتمكن من نشر صور مأخوذة من الأفلام الزرقاء الاباحية التي صورتها مونتانا في مراهقتها . لم ينظر بيلي إلى هذا عن كثب . كانت أشياء مشوشة وغير واضحة وكان بالامكان أن يكون أي شخص آخر هناك .

اتجه بيلي مجددا إلى خلفية المحل ، ودخل إليها هذه المرة . ابتعد بحّار ضعيف البنية عن آلة العرض الاباحية بينما لا يزال الفيلم يعرض . كانت هناك مونتانا وايدهاك لوحدها في الفراش تقشر موزة ثم تغيرت الصورة ، لم يكن بيلي يريد أن يرى ما الذي سيحدث بعد هذا . دعاه الموظف كي يأتي ويرى بعض السلع الخاصة المثيرة التي يحتفظ بها تحت الكاونتر للخبراء فقط .

كان لدى بيلي فضول عادي عما يمكن أن تكونه هذه الأشياء المخبأة تحت الكاونتر . جلبها الموظف وعرضها عليه ،

كانت صورة فوتوغرافية لإمراة ومهر حصان صغير كانا يحاولان القيام باتصال جنسي بين عمودي بناءٍ يبدوان من المعمار اليوناني ، أمام ستائر مخملية مزخرفة .

لم يظهر بيلي على التلفزيون تلك الليلة في نيويورك ، لكنه ظهر في برنامج إذاعي . كانت هناك محطة إذاعية بالضبط أمام الفندق الذي كان بيلي يرتاده . كان قد رأى رمزها على مدخل مبنى مكاتب هناك ، فذهب إلى الاستديو عبر مصعد اتوماتيكي ، وكان هناك أناس آخرون هناك ينتظرون أيضا ، كانوا نقادا أدبيين وظنوا أن بيلي مثلهم أيضا ، وكانوا سيناقشون موضوع ما إذا كانت الرواية قد ماتت أم لا .

أخذ بيلي والآخرون أماكنهم أمام طاولة دائرية ، وكان أمام كل واحد فيهم ميكروفون خاص به . وسأله مذيع الحصة عن اسمه ومن أي جريدة هو؟ فأخبره بيلي أنه من جريدة ايليوم غازيتي ، كان متوترا لكنه سعيد وردد لنفسه :

« إذا ما كنتم في مدينة كودي بياموينغ يوما ما . . اسألوا فقط عن بوب المتوحش!»

لم يتدخل بيلي في النقاش في جزءه الأول لكن الآخرين اندمجوا في النقاش . قال أحدهم أن هذا هو الوقت المناسب لدفن الرواية . الآن وبعد مئة عام من معركة أبوماتوكس كتب أحدهم من ولاية فرجينيا رواية كوخ العم توم .

قال أحد آخر أن الناس لم يعد بإمكانهم القراءة جيدا بعد

الآن ليحولوا الكتابة إلى أفكار مثيرة في أذهانهم ، لهذا فعل الكتّاب ما فعله نورمان مايلر والذي كان قد أقدم علنا على القيام بما كان قد كتبه . سألهم المذيع ما هو دور الرواية في المجتمع الحديث ، فأجاب أحد النقاد :

« لجعل الغرف مليئة بالألوان بينما هي في الحقيقة تحتوي جدرانا بيضاء فقط»

قال آخر :

« لوصف الجنس الفموي بشكل فنيّ»

« لإرشاد زوجات أصحاب الشركات الشبان إلى ما سيشترينه لاحقا وكيف يتصرفن عند زيارة مطعم فرنسي»

وهكذا أتى دور بيلي كي يتحدث بصوته الخبير في الإلقاء مخبرا عن الأطباق الطائرة ومونتانا وايدهاك وما إلى ذلك .

طُرد بيلي بلطف من الاستديو خلال فقرة الإشهارات . وعاد إلى غرفته بالفندق ووضع ربع دولار في جهاز الأصابع السحرية المتصل بسريره وغط في النوم .

وسافر عبر الزمن عائدا إلى ترالفامادور .

« سافرت عبر الزمن مجددا؟» قالت مونتانا ، كانت هناك أمسية مصطنعة في القبة ، وكانت مونتانا ترضع وليدها من صدرها .

- هممم؟ قال بيلي .

- لقد كنت تسافر عبر الزمن مجددا . أنا أعرف هذا .

- امم

- أين ذهبت هذه المرة؟ لم تكن الحرب يمكنني أن أعرف هذا أيضا .

- نيويورك .

- التفاحة الكبيرة .

- هم‌م؟

- هذا هو الإسم المألوف لها .

- أوه .

- هل ذهبت لرؤية أي مسرحيات أو أفلام؟

- لا ، كنت أتنزه فقط حول ميدان التايمز سكوير . ابتعت كتابا لكيلغور تروت .

- يالك من محظوظ! . لكنها لم تكن تشاركه اهتمامه وحماسته لكيلغور تروت .

ذكر لها بيلي عَرَضا أنه رأى جزءا من الفيلم الأزرق الذي ظهرت فيه .

كانت ردة فعلها لا مبالية . كانت تتصرف بطريقة ترالفامادورية خالية من الشعور بالذنب : «نعم وأنا أيضا سمعت عنك حين كنت في الحرب وأي مهرج كنته ، وسمعت أيضا عن مدرس الثانوية العامة الذي رمي بالرصاص ، حتى هو أيضا قام بفيلم أزرق إباحي مع الفرقة التي أطلقت عليه النار .»

نقلت وليدها إلى الثدي الآخر ، لأن تلك اللحظة الزمنية كانت ببساطة مبنية على أساس أن تفعل هذا الفعل بالتحديد .

ومرت هنيهة صمت .

- إنهم يتلاعبون بالوقت مجددا .

نهضت وهي تستعد لوضع الطفل في مهده . كانت تقصد بقولها أن مشرفي القبة يقدمون الساعات أحيانا ، يسرعون في بعضها ويبطئون في أخرى ، مشاهدين هذه العائلة الأرضية من خلال فتحات رؤية .

كانت هناك قلادة فضية حول عنق مونتانا وايدهاك تنتهي بين نهديها بصورة لأمها مدمنة الكحول ، كانت الصورة مغبشة وغير واضحة وكان يمكن أن تكون صورة لأي شخص آخر ، وقد نقش حول حامل الصورة المتدلية من السلسلة الكلمات التالية :

«ربِّ ارزقني السكينة
لقبول الأشياء التي
لا أستطيع تغييرها .
وامنحني الشجاعة
كي أغير الأشياء التي أستطيع تغييرها .
وامنحني الحكمة كي أعرف دوما
الفرق بينهما .»

الفصل العاشر

روبرت كينيدي -الذي كان منزله الصيفي يبعد ثمانية أميال عن منزلي الذي كنت أعيش فيه لعدة سنوات -أُطلق عليه الرصاص منذ ليلتين . ومات ليلة أمس .

قُتل مارتن لوثر كينغ قبل شهر .

وكل يوم تخبرني الحكومة بعدد القتلى الذين تسببت العلوم العسكرية بموتهم في فيتنام .

توفي أبي منذ عدة سنوات وكانت وفاته لأسباب طبيعية . كان رجلا طيبا . وكان مهووسا بالمسدسات وترك لي مسدساته . لكنها تآكلت الآن بفعل الصدأ .

وفي كوكب ترالفامادور يقول بيلي بيلغريم لا يوجد اهتمام كبير بالسيد المسيح . والشخصية الأرضية الأهم بالنسبة للترالفامدوريين - يقول بيلي - هي تشارلز داروين الذي كان يفكر أن الذين ماتوا كان عليهم أن يموتوا ، وأن جثثهم ما هي إلا تحسينات .

ونفس هذه الفكرة العامة ظهرت في رواية «منصة العرض الكبيرة» لكيلغور تروت ، وقد سألت المخلوقات التي اختطفت بطل رواية تروت عن داروين . وسألته أيضا عن رياضة الغولف .

ولو كان ما تعلمه بيلي من سكان ترالفامادور صحيحا ، فإننا أحياءٌ للأبد . لا يهم كم نبدو أمواتاً وغير أحياء في بعض الأحيان الأخرى . لكن هذه الحقيقة لا تغمرني بالسعادة ، حتى ولو كان باستطاعتي انفاق الأبدية في زيارة هذه اللحظة أو تلك . . بل أنا ممتن وشاكر لحقيقةَ أن العديد من هذه اللحظات كانت جميلة حقا .

وإحدى أجمل تلك اللحظات الحديثة هي رحلة عودتي إلى درسدن مع صديق الحرب القديم اوهير .

استقلينا الخطوط الجوية المجرية من برلين الشرقية ، كان للطيّار شارب على شكل مقود دراجة ، وكان يشبه أدولف مينغو ، وكان يدخن سيجارا كوبيا حين كانت الطائرة تملأ بالوقود .

وعندما أقلعت الطائرة ، لم يكن هناك أي نصائح بخصوص ربط حزام الأمان ، وعندما استقرت في الجو ، قدمت لنا مضيفة شابة خبز الجاودار والسجق المملح ، والزبدة والجبن والنبيذ الأبيض . لم نتمكن من فتح الطاولة القابلة للطي التي أمامي ، فذهبت المضيفة إلى قمرة القيادة للبحث عن أداة ، ورجعت مع فتاحة علب الجعة ، واستعملتها لتحل الطاولة .

لم يكن هناك إلا ست مسافرين آخرين ، يتحدثون بمختلف اللغات ، وكانوا يحظون بوقت طيب . كانت ألمانيا الشرقية هناك في الأسفل تتلألأ بالأضواء ، وتخيلت قصف هذه الأضواء

بالقنابل ، وهذه القرى والمدن والبلديات .

لم نكن أنا واوهير نتوقع أننا سنجني المال ، لكننا ها نحن هنا الآن ، أغنياء جدا .

« إذا ما كنتم في مدينة كودي بياموينغ يوما ما . .» قلت له بكسل «اسألوا فقط عن بوب المتوحش!»

كان مع اوهير مفكرة صغيرة ، كان غلافها الخلفي مطبوعا بتعريفات البريد والمسافات الجوية والارتفاعات وأشهر قمم الجبال وبعض المعلومات المفتاحية الأخرى عن العالم . كان يبحث عن عدد سكان درسدن ، لكنه لم يكون موجودا في المفكرة ، إلا أنه عثر على هذا وأعطاني لأقرأه :

«في المتوسط يولد ٣٢١,٠٠٠ مولود جديد في العالم كل يوم وخلال نفس اليوم يموت ١٠,٠٠٠ إنسان في المتوسط جوعا أو جراء سوء التغذية . بالاضافة إلى أن ١٢٣,٠٠٠ إنسان يموتون لأسباب أخرى . وهكذا بخصم معدلات الموت يتبقى حوالي ١٩١,٠٠٠ مولود كل يوم عبر العالم .

يتوقع مكتب إحصاء السكان أن يتضاعف التعداد العام لسكان العالم إلى سبعة ملايير قبل حلول العام ٢٠٠٠ .»

- أعتقد أن كل ما يريدونه هو أن يعيشوا بكرامة . قلتُ

- اعتقد ذلك . قال اوهير .

وفي تلك الأثناء كان بيلي بيلغريم مسافرا عبر الزمن إلى درسدن ، لكن ليس في وقتنا الحاضر . عاد هناك إلى سنة

١٩٤٥ بعد يومين من دمار المدينة . كان بيلي والآخرون يمشون فوق الأنقاض برفقة حرسهم . كنت هناك ، وكان اوهير هناك أيضا . قضينا ليليتين في الفندق الذي كان صاحبه ضريرا . عثرت علينا السلطات هناك وأخبرونا ما ينبغي علينا فعله ، استعرنا المعاول والمجارف والعتلات والعربات اليدوية من الجيران ، ثم مضينا بهذه الأدوات إلى بعض الأماكن وسط الأنقاض ، على استعداد للعمل .

كانت هناك أشجار سرو في الطرق الرئيسية تقود إلى الأنقاض . توقف الألمان هناك ، ولم يكونوا قد أخذوا الإذن بعد باستكشاف القمر .

أتى أسرى الحرب من مختلف البلدان مع بعضهم ذلك الصباح من مختلف مناطق درسدن . كان هناك مرسوم يقضي باستخراج الجثث هنا . وهكذا بدأ الحفر .

وجد بيلي نفسه يحفر مع رجلٍ ماوري[١٧] ، أحد سكان نيوزيلندا الأصليين . كان قد أسر في طبرق ، وكان بنيا بلون الشوكولاتة ولديه وشوم بشكل دوامات على جبهته وخديه .

حفر بيلي والماوري بكسل أكوام الحصى القمرية ، كانت المعادن قد تفتت وهكذا كانت هناك دوما انهيارات صغيرة بشكل مستمر .

---

(١٧) الماوري هم السكان الأصليون لنيوزلندا وجزر كوك (المترجم)

كانت هناك عدة حفر في نفس الوقت . ولا أحد يعلم بعد ما الذي يمكن أن يكون فيها . كانت معظم الحفر تؤدي إلى الرصيف دون أن تجد فيها أي شيء أو تقودك إلى صخور كبيرة ضخمة لا يمكن نقلها . ولم تكن هناك أي آلات لفعل ذلك ، لا توجد حتى الخيول أو البغال أو الثيران عبر سطح القمر هذا .

عثر بيلي والماوري في حفرتهم ، بمساعدة الآخرين ، أخيرا على طبقة من الأخشاب فوق الصخور كانت قد كونت بشكل عرضي ما يشبه القبة . ثقبوا حفرة في الطبقة الخشبية وكان هناك ظلام وفراغ تحتها .

نزل جندي ألماني بضوء كشاف معه إلى الأسفل المظلم ، ومر وقت طويل حتى عاد وأخبر قائده الذي كان ينتظر على الحافة أن هناك في الحفرة العشرات من جثث أشخاص كانوا جالسين على المقاعد .

قال القائد أن الثقب يجب أن يوسع وأن يوضع في الحفرة سلم وهكذا يمكن استخراج الجثث ، وهكذا بدأ أول منجم للجثث في العمل في درسدن .

كانت هناك مئات مناجم الجثث تعمل هنا وهناك . لم تكن الرائحة سيئة ، وكانت الجثث في بداية الأمر تشبه التماثيل الشمعية في المتحف . ولكن بعد ذلك بدأت الجثث في التحلل والتفسخ وكانت رائحة عفنها تشبه رائحة غاز الخردل والزهور .

كان بيلي والماوري يعملان بمشقة عظيمة ويكادان يموتان من الشعور بالغثيان ، وبعد أن أُمرا بالنزول للعمل في تلك النتانة . كان بيلي يتمزق أشلاءً وهو يتقيأ ويتقيأ .

وهكذا تم ابتكار تقنية جديدة . لم يستخرجوا أي جثث أخرى ، بل أحرقت الجثث أينما وجدت بواسطة جنود يحملون قاذفات لهب . كان الجنود يقفون خارج الملاجىء ويطلقون عليها القذائف . وفي مكان ما هناك كان العجوز المسكين مدرس الثانوية العامة ادجار ديربي قد أدين لأخذه ابريق شاي من تراث الموتى . فألقي عليه القبض بتهمة النهب ، وتمت محاكمته وأطلق عليه النار .

وفي مكان ما هناك أيضا كان الربيع قد بدأ وانتهت الأشغال في مناجم الجثث وغادر جميع الجنود لمحاربة الروس ، وفي الضواحي كانت النساء والأطفال يخبأون بنادق الجنود في الحُفر .

أما بيلي والبقية فقد أُغلق عليهم الباب في حظيرة في إحدى الضواحي ، وفي إحدى الصباحات استيقظوا ليكتشفوا أن الباب قد فتح . كانت الحرب العالمية الثانية قد انتهت في أوروبا .

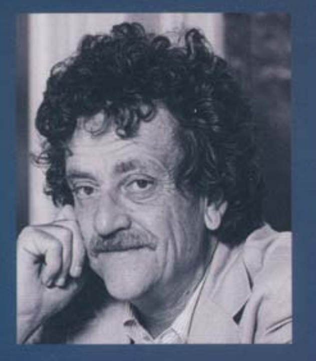
خرج بيلي والبقية يتجولون في الشوارع الرمادية بينما أوراق الأشجار تتساقط ولم يكن هناك أي شيء يحدث في الخارج . لا توجد أي حركة من أي نوع . كانت هناك فقط عربة

وحيدة . عربة مهجورة يقودها فرسين . كانت العربة خضراء اللون وعلى هيئة تابوت .

كانت الطيور تتكلم .

وأحدها قال لبيلي بيلغريم : «بو تويت؟»

المسلخ رقم 05



kurt
vonnegut

كان كورت فونيغوت شاهدَ عيان على ماحدث في دريسدين؛ كان محتجزًا في أحد المسالخ مع آخرين من جنود الحلفاء الذين تم أسرهم إبّان المعارك على يد الألمان.

لقد نجا فونيغوت من المحرقة لسبب منطقي، وهو أنّ المسلخ الذي احتجز فيه كان مشيدًا تحت الأرض.

وحتى يُجسِّم فونيغوت الفظائع التي نتجت عن قصف دريسدين بالقنابل الحارقة؛ فقد عمدَ إلى كتابة رواية تجلت فيها عبقريته على الصعيدين التقني والفكري؛ من أجل أن يسبغ على كارثة دريسدين أبعادًا غيرَ مألوفة، تجعل منها حادثة تفوق واقعها التاريخي وتندّ عنه. لقد دفع واقع دريسدين المشوش، وصعوبة تشكيله فونيغوت إلى نبذ مواضعات الرواية التقليدية، واعتماد الفانتازيا الخرافية بوصفها الوسيط الأنسب لتجسيد هكذا تجربة فظيعة...

إن رواية "المسلخ رقم 5" التي كتبها كورت فونيغوت الابن في العام 1969 واحدة من أوسع الروايات رواجًا وشعبية في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. وتعزى شعبيتها إلى حقيقة كونها تعتمد بقوة على رصيد رواية الخيال العلمي؛ فالأسطورة المبتدعة التي تنفخ الروح في نص الرواية هي أسطورة السفر إلى الفضاء. ولإنْ كانت أجزاء الرواية المفعمة بالخيال العلمي، تشبع حاجة القارئ المعاصر للتحليق في أجواء الخيال، فإنّ الأجزاء المتعلقة بالحرب العالمية الثانية تخلف في وجدانه انطباعًا غائرًا لا يزول من جراء ويلات هذه الحرب، وما صاحبَها من فظائع.

صديق محمد جوهر


ISBN-13: 978-99966-92-03-1
9 789996 692031



رسم : GUOHS_ART تصميم : 6Y4